موسوعة القيم الإسلامية

دعوة للسلام والأمن

والتعاون على البر والتقوى

تأليف

مايز أحمد المرسي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : موسوعة القيم الإسلامية

المـــــــؤلف : مايز أحمد المرسي

رقــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٧

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_٥@yahoo.com

تمهيد

موضوع الموسوعة

لقد سعينا من خلال هذه الموسوعة لتعريف الإسلام للعالمين مسلمين وغير مسلمين وتقديمه للعالمين من خلال عقائده و شرائعه ومنهجيته وما تقوم عليه المبادئ والقيم السامية التى لم تجد كمالها ولا سموها إلا فى هذا الدين. والتأكيد على أن منظومة القيم الإسلامية منظومة كاملة متكاملة وذات مناعة قوية تحول دون سوء استغلالها للشر أو تبديل نعمة الله كفرا.

وهذه الموسوعة دعوة لفهم الإسلام من خلال القيم الإسلامية فهما يصحح الصورة المغلوطة والمشوهة لما تحتويه من الأكاذيب والمفاهيم الخاطئة، عن الإسلام لدى غير المسلمين، تلك الصورة التى كانت السبب الكامن وراء ما يلصق بالإسلام والمسلمين من التهم الباطلة ووصف الإسلام بأنه يدعو للإرهاب، وأنه من وراء ما أصابهم من التخلف فى كثير من المجالات. إن تلك الصورة المشوهة الخاطئة كانت هى السبب الكامن وراء كل ما أصاب المسلمين من الاستهداف بالعدوان بكافة صوره الفكرية والاقتصادية والعسكرية على مر التاريخ.

وهى دعوة للمسلمين ليكون سلوكهم نابعا من قيم هذا الدين الحنيف، ليكونوا صورة صادقة وأمينة ومشرفة للإسلام. صورة يرى ناظرها فى المسلمين الإسلام بأنواره و سماحته وما يؤكد عليه من مكارم الأخلاق. صورة لا تجعل بين مبادئ الإسلام وواقع المسلمين بعد ما بين المشرق والمغرب. صورة تستقى ملامحها من القرآن الكريم ومن رسول الله ﷺ والذى كان الأسوة الحسنة التامة والكاملة لمكارم الأخلاق التى لا تشوبها شائبة أو يعتريها نقص من أى نوع كان.

وهذه الموسوعة تقدم رؤية ثقافية لنظرة الإسلام تجاه الآخر المختلف عنه فى الدين أو الثقافة ...

وتنبع هذه النظرة للتعامل مع الآخر من كون الإسلام هو دين الرحمة للعالمين:

فرسول الله ﷺ كما قال تعالى عنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، **وأنه رحمة للعالمين فقد اعترف بأديان أهل الكتاب من اليهود والنصارى وبأنبيائهم وكتبهم ...**

لقد اعترف الإسلام بأهل الكتاب رغم ما تضمنته شهادته على عقائدهم وكتبهم بالتحريف والتشويه والحذف منها وإضافة ما لم يقله الله عز وجل ورسله ونسبته إليهم زورا وبهتانا ... لأنه دين الرحمة ...

واعترف الإسلام بأهل الكتاب رغم إنكاره لما تضمنته عقائدهم من الشرك ووصف الله تعالى بما لا يليق بكماله ... لأنه دين الرحمة ...

وجعل حقوق أهل الكتاب مقررة فى الكتاب والسنة بنصوص قاطعة بينة لا مثيل لها فى أى كتاب سماوى أو غير سماوى، وليست منحة يعطيها الحكام لهم متى شاءوا، وليست مشروطة بالمعاملة بالمثل. ولن تجد فى دين من الأديان من أعطى الأقليات الدينية مثل هذه الحقوق المكفولة لهم فى الإسلام.

ولأن الإسلام هو دين الرحمة للعالمين:

فقد عظم كرامة الإنسان حين حرم انتهاك حرية الإنسان أيا كان دينه أو جنسه وحرم وجرم إكراهه حتى لو كان لما فيه مصلحته مثل الدخول فى دين الحق ...

وعظم الإسلام قيمة الحرية كما لم يفعل دين أو مذهب آخر ... واحترم الإسلام حرية الإنسان حين حرم الإكراه فى أمور الدين فى نص وا ضح بين صريح قاطع لا مثيل له فى كتب الآخرين المقد سة فى قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[البقرة:]، **وسـخر القرآن الكريم ممن عرفوا رسـول الله ﷺ وعظيم أخلاقه وسـمو منهجه فى الدعوة إلى الله عز وجل ...** ثم يدعون بعد ذلك أو يظنون أنه يكره الناس على الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس] .

ولأن الإسلام هو دين الرحمة:

فقد شرع التعامل بين المسلمين وأهل الكتاب بل والكافرين ... وأجاز أكل طعام أهل الكتاب والتزوج من نسائهم، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [المائدة] .

وأجاز التعاون معهم فى كافة المجالات ...

ولأن الإسلام هو دين الرحمة: فقد أمر الله عز وجل المسلمين بالوفاء بالعهود والعقود مع كافة البشر كما قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ الإسراء: ٣٤ ،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة].

ولأن الإسلام هو دين الرحمة: **فقد شرع إجارة المسلم للمشرك إن استجار به كما قال تعالى:** ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة]، **وكان رسول الله ﷺ يحفظ أمانات كفار قريش عنده** فقد كان المؤتمن عندهم وقد أجابهم إلى ما طلبوا، وردها إليهم قبل هجرته إلى المدينة، حين كلف بذلك عليا ابن أبى طالب رضى الله عنه.

ولأن الإسلام هو دين الرحمة للعالمين:

فقد أكدت الموسوعة على أنه الإسلام لا يحرص على تغيير ما يعتنقه اليهود أو النصارى وغيرهم من العقائد التى تتنافى مع عقيدة التوحيد أو تتنافى مع الحق إلا من خلال ما أقره الإسلام من قواعد الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل]، وهذه الدعوة ليست اتباعا وتقليدا أعمى بل تكون على بصيرة وكما يقول تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

لأن الإسلام قد أرسى مبدأ فريدا لا مثيل له فيما بين أيدى الآخرين من أهل الكتاب أو غيرهم وهو مبدأ حرية الاعتقاد والذى أرسته آيات القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ. ففى قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف]، **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

ولأن الإسلام هو دين الرحمة للعالمين:

فقد أكدت الموسوعة على أنه لن يضر الإسلام أن يعبد الآخرون حجرا أو شجرا أو أن يكون إلههم الذى خلقهم تمثالا يضعون أنموذجه فى منازلهم أو على سياراتهم أو حتى يعلقونه فى أعناقهم.

ولأن الإسلام هو دين الرحمة للعالمين:

فلا يحرص الإسلام على أن تتوحد بالقوة والإكراه آلهة الآخرين التى يعبدونها ويقدسونها أو تتعدد كما فى الثقافة اليونانية التى كانت أصلا لكثير من معتقدات الكتاب المقدس والهيلينية التى ارتضاها مفكروا النصارى وأدخلوها فى عقائدهم...

ولا يضر الإسلام أن يكون إله الآخرين الذى يعبدونه ويقدسونه رمزا مقدسا...

ولا يضر الإسلام أن يكون إله الآخرين الذى يعبدونه ويقدسونه حتى مجرد هوى كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾ [الجاثية]، **وقوله تعالى :** ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)﴾ [الفرقان].

ولا يضر الإ سلام أن يكون إله الآخرين الذى يعبدونه ويقد سونه حتى مجرد فكرة خيالية عجيبة لا يجد الإنسان مهما بذل من جهد دليلا على صدقها.

<u>ولأن الإسلام هو دين الرحمة للعالمين:</u>

فقد أكدت الموسـوعة على أن الذى يهم الإسـلام ويحرص عليه وهو دين الأمن والسـلام والذى جاء ر سوله رحمة للعالمين هو أن يسود الأمن والسلام بين البشر، وألا يعتدى أحد على أحد لفرض عقيدته عليه بالقوة كما فعلت النصـارى فى حروبها الصـليبية القديمة والجديدة والمتجددة. وألا يحرم أحد الآخرين من حرية العبادة كما يفعل اليهود بالمسجد الأقصى الذى يحرمون المسـلمين من حرية الصـلاة فيه ويسعون لتدميره دون أن يرتفع صوت بنداء حق لينهاهم عما يفعلون.

والذى يهم الإسلام ويحرص عليه وهو دين الأمن والسلام والذى جاء رسوله رحمة للعالمين هو ضمان حرية الأديان وممارسة الشعائر، وألا يقاتل المسلمون أو غير المسلمين أو تهان مقد ساتهم ... والإ سلام يعطى للآخرين الحق فى حوار المسـلمين ثقافيا أو حضـاريا ...فى حوار يقوم على أن يعرض كل بضـاعته وثقافته على الآخرين...ولكنه لا يعطيه الحق فى أن يقاتلوا من يختلف عنهم فى الدين والعقيدة...

<u>ولأن محمدا ﷺ جاء رحمة للعالمين:</u>

فلم يجعل اختلاف الناس مبررا لخلافاتهم واشتعال نار الفتن والفرقة بينهم ...

ولم يجعل خلافاتهم مبررا لرفض بعضهم للبعض الآخر ...

ولم يجعل رفض الآخر مبررا لاتخاذه عدوا ...

ولم يجعل معاداة الآخر مبررا للعدوان على مقدساته وقتل أبنائه ونهب ثرواتهم وأرضهم ...

فقد بين القرآن الكريم أن هذا كان أول وأفدح الأخطاء التى تخوف منها الملائكة من سلوك البشر فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، **وهو الذى حذر منه القرآن الكريم دائما ومنها قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾** [محمد].

ولأن محمدا ﷺ جاء رحمة للعالمين:

فقد وجدنا أن دعوته ﷺ لا تقوم على قتل وإهلاك كل من لم يؤمن برسـالته، لقد كانت هذه هى مبادئ الدعوات الســابقة لســيدنا محمد ﷺ فى عهد نوح ولوط وعاد وغيرهم، وهى التى تجعل أمام قومه أحد خيارين لا ثالث لهما: إما الإيمان بالرســول أو الدمار. فكان النبى يدعوا قومه فإن آمنوا نجوا وإن كفروا به دعا عليهم بالإهلاك كما هو معرف فى شــأن من ذكر نا من الأنبياء نوح ولوط وعاد وأمثالهم من الأنبياء والرســل. ومرجع ذلك إلى أن محمد رســول الله ﷺ جاءت دعوته رحمة للعالمين وكرامة للبشــر أجمعين وقد بين ر سول الله ﷺ ذلك فى الحديث: (لكل نبي دعوة م ستجابة يدعو بها في ستجاب له فيؤتاها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة). أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

فإذا كان ر سول الله ﷺ لم يسع لإهلاك من كفر به بأيسر السبل وهى الدعاء عليهم بالهلاك، ولو قال لحل بهم الهلاك كما حدث مع من سبقه من الأنبياء والرسل.

وحدث عندما ذهب لدعوة أهل الطائف للإ سلام فأغروا به صبيانهم و سفهاءهم فآذوه، فأر سل الله تعالى إليه جبريل فقال: إن الله عز وجل قد ســمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد! فقال ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، قلت بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا). من الحديث الذى أخرجه مسلم و أحمد والبيهقى عن عائشة.

وقد كان كما قال ﷺ. فلم يكن رسول الله ﷺ يعنيه أن يقتل من لم يؤمن به ولكنه كان يعنيه أن يتبدل الحال فيهم أو فى ذريتاهم من بعدهم من الكفر للإيمان.

وفى هذا رد على الســفهاء والجاهلين الذين يتهمون الإســلام بأنه دعوة تهدد بالســيف من لا يدخل فى الإسلام، فكيف ذلك وقد ترفع رسول الله ﷺ حتى عما كان عليه من سبقوه من الأنبياء والرسل بالدعوة على أقوامهم ا لذين لم يدخلوا فى دينهم. لقد كان الأمر ممكنا بمجرد ا لدعاء عليهم، ولم يكن الأمر ليحتاج أن تجيش الجيوش أو تسفك فيها الدماء.

ويتبين صـــدق مقالنا فى دعوته ﷺ على صـــناديد قريش كعتبة ابن ربيعة و أبو جهل ... لقد دعا عليهم وهلكوا جميعا فى غزوة بدر ...

إنه لم يدع عليهم لأنهم كفروا به ... فلم يكونوا وحدهم الكافرين بمحمد ﷺ...

ولكنه دعا عليهم لأنهم كانوا أظلم الناس وأفجر الناس وأقســاهم قلوبا وأفحشـــهم وأبعدهم عن مكارم الأخلاق ...

لقد تجلت فيهم العنصرية ضد من آمن بمحمد ﷺ خاصة من العبيد، فقد كانوا يستكثرون أن يدخل عبد أسود الجنة، فهو عندهم أحقر حتى من دوابهم التى كانوا يركبونها.

لقد دعا عليهم رســول الله ﷺ **ورحمته للعالمين ليرحم الله تعالى بهلاكهم البشــرية** من ظلمهم وإيذائهم للأبرياء الذى لا مثيل له ... لقد كانوا أحرص الناس على إيذاء من آمن بالله الواحد الأحد ... فكانوا يضـعون على ظهر بلال الـصخرة الكبيرة ويجرونه على الرمال الـساخنة فى حر صيف مكة الـشديد ليرجع عن الإيمان بمحمد ﷺ ... فكان يتعذب ويقول: أحد أحد ... ولم يسلم من أذاهم الضعفاء أو النساء ... فعذبوا آل ياسر ... وكان رسول الله ﷺ يمر عليهم ويقول لهم: (ا صبروا يا آل يا سر! فإن موعدكم الجنة). أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عمار وعن عثمان، وأخرجه ابن منده. وكانت هذه الكلمات من رسول الله ﷺ تنزل على قلوبهم أمنا وبردا وســلاما ويقينا يهون عليهم العذاب أمام ما ينتظرونه من وعد الله ورســوله لهم بالجنة وحســن الثواب ... وكانت (سمية) رضى الله عنها أول شهيدة فى الإسلام ... شهيدة الاضطهاد ... شهيدة العنصرية ... شهيدة التعذيب الذى لا مثيل له فى شدته أو عنفه أو ظلمه ... شهيدة تحملت كل ذلك فى سبيل الله عز وجل ...

لقد دعا عليهم رســول الله ﷺ **ورحمته للعالمين** لأنهم لم يكتفوا بكونهم رموز الكفر والضــلال بل طغوا طغيانا كبيرا وعلوا علوا كبير فنكلوا بكل من آمن وحرموهم حقهم فى الحياة وسلبوا أموالهم وأخرجوهم من ديارهم.

قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]، وتأمل معى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس].

إنه تعجب وربما ا ستنكار من أن يـ صل الأمر بعاقل منـ صف صادق محقق درس ووعى ما جاء به القرآن الكريم و ما قامت عليه دعوة رســول الله ﷺ فيفهم منها أن الرســول ﷺ إنما يريد بهذا المنهج فى الدعوة أن يكره الناس على الدخول فى الإسلام ...إن من قال بذلك لا يو صف بأقل من الجهل الشديد وإن تعدد ما ناله من الشهادات العلمية العالية والجوائز الرفيعة ...

ومن قال بذلك لا يو صف بأقل من تعمد المغالطة والكذب على الله ور سوله **وتعمد لى** الحقائق وإخفائها مهما تعدد ما نسب إليه من الصدق أو ما أضفوا عليه من منازل الصديقين ...

الرؤية الإسلامية تجاه الديانات والثقافات الأخرى:

نؤكد هنا على أن ما نعرضه من رؤية إسلامية تجاه اليهودية والمسيحية ليس الغرض منه النيل منها أو حتى مجرد النقد. ولا يجب أن يفهم منه قط أنه يدخل تحت مسـمى الإسـاءة للأديان السـماوية أو غيرها. فنحن المسملمون نؤمن بجميع الأنبياء والرسل ونؤمن بما أنزل الله عليهم من الهدى والكتب.

ولكننا نعرض شهادة الإسلام عن عقائد وثقافة الآخرين لما يمليه علينا دورنا القيمى الهام فى العالم الذى نعيش فيه وهو ذلك الدور الذى قال عنه رب العزة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة]. **وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾** [الطلاق]. **وأن نبلغ ما جاء فى كتابنا من الحق إلى الناس و خاصـــة فيما يتعلق بما اختلف فيه الناس من حقائق الكون والعقائد والأخلاق كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾** [النمل]. **فقد بين القرآن حقائق الألوهية والعقائد وتقييمه لأهم الأحداث والمواقف التاريخية فى حياة الإنسان.**

ونعرض شهادة الإسلام عن عقائد وثقافة الآخرين كما يقومون فى كافة كتاباتهم ووسائل إعلامهم بعرض وجهة نظرهم فى دين الإسلام وفى نبى الإسلام.

وهذه الموسوعة تقدم قراءة ورؤية ثقافية، ودعوة متحررة من الأغلال ...

فهى قراءة لتاريخ العالم منذ خلق الله الأرض ومن عليها إلى قيام الســاعة، يســتنبط منها ســنن الله تعالى فى الكون والحياة وأسباب تطور الأمم ورقيها او تخلفها وانهيارها ودمارها.

وهى قراءة لثقافة الإنســان التى تمثل نتاجه الثقافى على مر الزمان ... وقراءة لتاثير هذا النتاج الثقافى على حياة الإنسان إيجابا و سلبا ... فهذا النتاج الثقافى هو الذى أفرز الحضارات والعمار ... وهو الذى تسبب فى الحروب الضارية ... وقتل الإنسان لأخيه الإنسان والإفساد فى الأرض، و سبب لكافة مشاكل الإنسان التى يعانى منها، خاصة الفقر والجهل والمرض ...

وتقدم هذه المو سوعة رؤية ثقافية لأ سباب فقد الإنسان للأمن والسلام على الأرض و شقائه على ظهرها من جراء ذلك ...

والموسوعة تقدم دعوة إلى الله على بصيرة ...

والموسوعة تقدم دعوة متحررة من كل الأغلال ...

من أغلال العداوات التاريخية بين البشر ...

ومن أغلال الأهواء التى تزج بالناس زجا نحو مهالكهم وبعيدا عن الصراط المستقيم ...

ومن أغلال الشـهوات ... شـهوات السـلطة ... وحب المال ... و حب الجاه ... وحب الشـهوات ... وحب التعالى على الآخرين ... ونحو ذلك ...

ومن أغلال التعصب الأعمى، الذى يعمى صاحبه عن مراجعة نفسه وأحواله وثوابته بين الحين والحين ... ويعميه عن قراءة معالم الطريق الذى يسـير عليه، ليعلم إلى أين يذهب به ... هل يذهب به إلى نجاته أو إلى مهلكته ...

إنها دعوة للإنسان لينطلق متحررا من كل القيود والأغلال نحو:

- البحث عن الحقيقة وإتباع دعوة الحق وأحسن ما أنزل الله على رسله.

- والاستماع لقول كل ذى رأى رشيد وإتباع أحسنه.

- وتفعيل مكارم الأخلاق فى العلاقات الإنسانية.

- والتعاون على البر والتقوى ونبذ التعاون على الإثم والعدوان، من أجل أن يملأ الأمن والسـلام حياة الإنسان على الأرض.

وهى دعوة للدخول فى الإسلام لمن أراد الله واليوم الآخر وسعادة الدارين الدنيا و الآخرة.

التساؤلات التى أجابت عنها الموسوعة

تقدم المو سوعة الإ سلام للعالمين دينا وثقافة ور سالة وغاية و منهجا من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

التساؤل الأول:

س١ : لماذا كان بعث محمد ر سول الله ﷺ حتميا؟ وما هى الأدلة على صدق ر سالته للعالمين و صدق بلاغه عن رب العالمين؟

التساؤل الثانى:

س٢: ما هو الإسلام وما هى مكانته بين الأديان السماوية والمذاهب الإنسانية؟

وتقدم الموسوعة الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال المقارنة بين الإسلام والديانات السماوية الثلاث من ناحية وبين الإسلام والمذاهب الإنسانية من ناحية أخرى من حيث الأصول التى يقوم عليها كل منها وقراءته للكون والحياة وغايته التى يسعى أن يوصل الإنسانية إليها ومنهجيته فى تحقيق غايته، مع مراجعة لمسيرته ودوره الذى قام به فى حياة الإنسان على مر الزمان.

التساؤل الثالث:

ما هى رسالة الإسلام للعالمين؟

وعند بحثنا و تحليلنا وتقديمنا لهذه الرسالة قمنا بتوضيحها من خلال الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

أ- ما هى الرؤية التى وضعها الإسلام لحياة الإنسان؟

ب- وإذا كانت رسالة محمد ﷺ هى الرحمة للعالمين فما هو مفهوم الرحمة؟ وما هو منهجه وآلياته لتحقيقها؟

ج- وإذا كانت السعادة الأبدية الدائمة هى وعد الله للمتقين فى الآخرة، فما هو مفهوم السعادة من المنظور الإسلامى؟ وما هو منهجه وآلياته لتحقيقها ؟

التساؤل الرابع :

ما هى الثقافة الإ سلامية و ما هى أ صولها التى تنبع منها وما هى الأ سس والقواعد التى تقوم عليها؟ وما هى مكوناتها الثقافية (العقائد، القيم، المبادئ ...الخ؟) وما مدى رسوخها؟ وما هى قدرتها على مواجهة أعظم التحديات الثقافية والمتمثله فى تحقيق الأمن والسلام ومنع الفساد فى الأرض والتعاون من أجل خير الإنسانية مع الآخر المختلف معها فى العقائد والمناهج؟

وكيف توجهنا الثقافة الإسلامية لقراءة الإنسان والعالم الذى يعيش فيه؟

وما هى رسالة هذه الثقافة – من خلال القيم الخاصة بها – تجاه أهلها خاصة، وتجاه الإنسانية عامة؟

وما هو مفهوم السعادة فى نظرها؟ وما هى آليات تحقيقها للإنسان؟

وما هو تقييمنا للدور الذى قامت به تجاه أهلها و تجاه الإنسانية على مدى تاريخها؟

وما هى الرؤية الإسلامية لمستقبل الثقافة فى ضوء سنن الله فى الكون والتى تحدد أسباب الاستمرار والبقاء أو الفناء والدمار للأمم والحضارات والثقافات؟

وعند بحثنا و تحليلنا وتقديمنا لهذه القراءة قمنا بتوضيحها من خلال الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

أ- كيف تقرأ الكون من حولنا بكافة مكوناته المادية والمعنوية؟

ب- كيف تقرأ الإنسان ... نشأته وتاريخه وحياته وغايته ومصيره؟

ج- كيف تقرأ الأديان السماوية والبشرية والمذاهب الإنسانية التى سيطرت على حياة الإنسان وحددت مسيرتها على مر الزمان؟

وعند دراستنا وتحليلنا لـــ (ثقافات العالم ومنها الثقافة الإسلامية) قمنا بتوضيحها من خلال الإجابة عن التساؤلات الفرعية الآتية:

أ- ما هى جذور الثقافة وأصولها التى تستقى منها غذائها وتثبيتها وثباتها وقدرتها على الصمود أمام رياح التغير والمحو والاقتلاع والتدمير؟

ب- ما هى غايتها التى تسعى لتحقيقها والوصول إليها؟ وهل السعادة هى الغاية؟ وإذا كانت كذلك فما هى السعادة وكيف تتحقق؟

ج- ما هى المنهجية التى تحقق بها الثقافة أهدافها وتصل بها إلى غايتها؟

د- وما هى الأدوات والآليات التى تستخدمها تلك الثقافة لتحيق الأهداف الثقافية؟ وهل هى مادية فقط؟ أم أن لها جانبان: أحدهما مادى والآخر معنوى أو روحى؟ وما هى آليات الدعوة والتبشير والتعريف؟ وما هى الآليات التى تضمن الحفاظ على تلك الثقافة صد عوامل المحو والتغيير والتدمير والتشويه وتضمن لها الصمود أمام تيارات الغزو الثقافى والاجتياح بالقوة المادية والعسكرية؟

هــ- وما هى المناهج الأخلاقية التى تفرزها هذه الثقافة وتسعى لتوطينها بين أهلها؟ وما سماتها المميزة لها؟ وما هى طبيعتها؟

و- وما هو مجال عمل تلك الثقافة، هل هو قاصر على أصحابها فقط؟ وهل تتمحور غايتها حول تحقيق مصالح أصحابها فقط؟ أم يمكنها أن تتعداهم إلى من سواهم؟ وهل يمكن أن تتسع تك الدائرة لتشمل العالمين أجمعين؟ وما هو مفهوم العالمية لديهم؟ هل هى عالمية السيطرة والهيمنة وبسط النفوذ وا ستغلال خيرات وموارد الآخرين وجعلهم سوقا لتصريف السلع الثقافية والمادية ونفى النفايات الضارة؟ أم أنها علمته تحقيق الخير والسعادة للعالمين أجمعين؟ وهل يمكن أن تتحقق سعادتك بتحقيق السعادة للآخرين أم أنها تتحقق دائما على حساب سعادة الآخرين؟ هل يمكن أن تكون الغاية لهذه الثقافة هى تحقيق السعادة والرحمة لأصحابها فقط فتكون ثقافة أنانية؟ أم أنها عالمية الغاية تهدف لتحقيقها للعالم اجمع، وليس لأمة أو فئة على حساب أخرى؟ وهل يقتصر الالتزام بالقيم الأخلاقية التى تدعو إليها على دائرة أبناء تلك الثقافة؟ أم أن الالتزام واجب تجاه كافة البشر؟ ونضرب لذلك مثلا وهو خلق العدالة، هل تلتزم بالعدالة فى كافة أمور حياتك بينك وبين من تحب وتصادق وبينك وبين من تكره وتعادى أم أنها قاصرة على دائرة الأحباب والحلفاء والأصدقاء وليست ملزمة أو واجبة تجاه الأعداء ومن لا يحبهم الإنسان؟ هل تحكم فى كافة قضاياك بالعدل حتى مع من تكره أو تعادى؟ وهل تعنى العالمية عالم الحلفاء و الأقارب والأصدقاء أم العالمين أجمعين؟

ز- وما هى أساليب الدعوة إلى تلك الثقافة؟ هل هى من خلال التعليم ؟ أم الإغراء المادى؟ أم من خلال القوة والقسر والإكراه عليها؟ وهل تعتبر من أكره على ثقافتك تابعا لها أم ترفضه وتتحفظ على تبعيته؟

التساؤل الخامس :

كيف ندعو العالمين إلى الله تعالى على بصيرة ؟

المصاعب التى واجهت البحث فى الموسوعة:

لا شك أن الشروع فى إعداد هذه الموسوعة قد واجه العديد من المصاعب والتى نشير فيما يلى إلى أهمها:

المصاعب التى ترتبط بطبيعة وتكوين الثقافة ذاتها وما فيها من العقائد والقيم والمبادئ والتى تتمثل فى الآتى:

أ- الصعوبات المرتبطة بالعقائد:

تباين العقائد من ثقافة لأخرى تباينا كبيرا:

فهناك العقائد التى تقوم على التوحيد، وعلى رأ سها الإ سلام، والذى تقوم عقيدته على الإيمان بالله الواحد الأحد الذى لا شريك له، وتنسب إليه مطلق صفات الكمال المتناهى، وتنفى عنه كل نقص، وأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ فى ذاته ولاصفاته ولا أفعاله.

وهناك اليهودية التى تقوم على التوحيد، ولكنها تصوره فى صورة مادية وتنسب إليه أخطاء وقصور فى صفاته، ومنها ما سجله الله تعالى عنهم قولهم: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران]، ومنها قولهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة] .

وهناك العقائد التى تقوم على التوحيد، ولكنها تنحى فى توحيدها منحى متفردا حول طبيعة الإله وهى بعض طوائف المسيحية حيث تجعل المسيح هو الله عز وجل وهى الطائفة التى قال الله تعالى عنها: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة].

وهناك العقائد التى تقوم على الشــرك بالله عز وجل وتعدد الآلهة، ومنها النصــرانية التى تقوم على رؤى متباينة حول طبيعة المسيح عليه السلام، فمنها من تؤمن بأن الله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإ سراء] : ثالث ثلاثة، وترى طوائف أخرى أن المسيح ابن الله وأخرى ترى أن المسيح هو الله.

ومن العقائد التى تقوم على الشرك بالله عز وجل هو أنموذج كفار مكة، والذين صنعوا الأصنام لتقربهم من الله عز وجل فقد كانوا يظنون أن الله تعالى بعيد لا يعلم كثيرا مما يقولون وقد سجل ذلك عنهم القرآن الكريم الذى لم يفرط فى أمر ذى بال من أمور الكون والحياة فى قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾]الزمر] ، وقوله تعالى﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت] ، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك].

وهناك العقائد التى تقوم على الإلحاد والكفر بالله عز وجل، وهى العقائد المرتبطة بالفلسـفات المادية ومنها الشيوعية التى تقوم على إنكار الدين وقضايا الألوهية. ومنها المذاهب الفلسفية الإلحادية المعاصرة.

ومنها العقائد التى تتخذ من دون الله آلهة يقدسونها ويعبدونها، ومنها الهندوسية التى تقدس الأبقار.

ب- الصعوبات المرتبطة بالقيم و المبادئ:

لقد تنوعت القيم التى أفرزتها الثقافات تباينا كبيرا، فهناك من الثقافات ما يغلب على قيمها الطبيعة المادية وهناك ثقافات أخرى تغلب على قيمها الطابع الروحى وهناك من الثقافات ما أفرزت قيما يغلب عليها طابع الالتزام والطابع المحافظ وهناك ما اتسـمت قيمها بالتحرر من القيود، وربما تمادت فى تحررها فلم تلتزم بقيم الأخلاق بل سادت فيها المصالح وسيطرت عليها ووجهتها كما تشاء، وجميع هذه القيم تتباين فيما بينها تباينا كبيرا، ويؤدى هذا التباين فى القيم إلى تزايد وتعمق الخلافات بين أهلها، بل قد تصـل هذه الاختلافات إلى درجة أن يكون تصرف ما أخلاقيا فى مذاهب معينه، وعلى النقيض تراه غير أخلاقى فى مذاهب أخرى.

والمبادئ من مفرزات القيم لهذا فهى تصـطبغ بصـبغتها، وتتبعها فى توجهاتها أينما توجهت، وبالتالى تنعكس سـماتها على دورها فى حياة الناس، سـواء بجمعهم وتوحيدهم أو بتفريقهم وتنمية الخلافات والصراعات بينهم.

والمفكر الذى يصـيغ فكره ورأيه ورؤيته فى مذاهب الآخرين وقيمهم يجد صـعوبات كبيرة فى إقناع الآخرين والوصول بهم إلى اتفاق حول كثير من الأمور، خاصة إذا تضمنت دعوته إليهم أمرا له سمة معينة فى ثقافته، وله صفة مخالفة أو مناقضة فى ثقافة الآخر.

د- الصعوبات المرتبطة بالعادات والتقاليد:

فالعادات والتقاليد تتباين بين أهل الثقافات تباينا كبيرا ويظهر ذلك فى تصـرفات الإنسـان فى أسـاليب إدارتهم للحياة اليومية وفى الاحتفالات والمهرجانات والمناسبات القومية والدينية والتاريخية ونحوها. وقد تكون العادات المرغوبة عند ثقافة معينة، عادات غريبة أو غير مرغوب فيها فى ثقافة أخرى، وهذا مسئول عن نسبة من أسباب قبول الإنسان للآخر.

هـ- الصعوبات المرتبطة باللغة:

ترتبط الثقافة ارتباطا وثيقا باللغة، ومفرداتها، ومصــطلحاتها، وآدابها ولا يكفى تعلم لغة قوم أو أمة لتفهم أحوالهم وســهولة التعامل والتفاهم معهم، وفهم مقالاتهم وأحاديثهم، بل يلزم لمن يتعلم اللغة أن يتعلم الآداب والعادات والتقاليد ونمط الحياة وأسلوبهم فى استخدام مفردات اللغة والتعبير بها فضلا عن تضمن هذه المعرفة معايشة أهل تلك الثقافة فى حياتهم اليومية لفترة كافية من الزمن.

وتتضح صعوبة عامل اللغة فى حالة تعامل الإنسان مع الآخر من خلال نصوص مترجمة، والتى تصطبغ ثقافيا بثقافة المترجم نفسه ومدى قدراته العقلية وخبرته فى اللغة والحياة.

والمطلع على الأعمال المترجمة كثيرا ما يجد عند مقارنتها بأصلها قدرا من الاختلاف، وخاصة عند ترجمة الشعر، فالترجمة تفقد الشعر موسيقاه وألحانه التى كانت مع اللغة الأصلية بصورة لا تكاد تصلح القصيدة المترجمة لتكون لحنا راقيا كما كانت القصــيدة الأصــلية، بل ربما تكون بمثابة شــرح أو تفســير لها أكثر من كونها ترجمة أمينة للنص الأصلى.

ولهذا تباينت النصــوص المترجمة للكتاب المقدس من لغة إلى أخرى، وظهرت الكثير من الأخطاء والتى أصبحت على مر الزمان معضلات يصعب معها معرفة حقيقة الأصول المعرفية للكتاب المقدس، بسبب كثرة الأخطاء والتى عدتها دائرة المعارف البريطانية بالآلاف.

وربما كانت هذه الأســباب من وراء رفض كثير من العلماء لترجمة القرآن الكريم والتعبد بالنص المترجم واعتباره حجة، لأنه قد داخله ما ليس فيه من فكر وثقافة البشــر، ولا يأمن بعد ذلك تراكم الأخطاء، والمخالفات للمعانى الروحية واللغوية الموجودة فى النص الأصــلى، وذلك راجع إلى أن اللفظ المترجم لا يحمل نفس الأبعاد المعرفية والروحية والثقافية للنص الأصــلى. ولهذا تعتبر النصــوص القرآنية التى كتبت باللغات الأجنبية، تفســيرات أو إيضــاحات، ولا أظن أن أحدا أفتى بالتعبد بالنصــوص القرآنية المترجمة أو اعتبرها لها قدسية النص العربى.

و- المصاعب المرتبطة بالأدوات الثقافية:

(١) المصاعب المرتبطة بثورة المعلومات والإتصالات:

لقد أصبح العالم الذى نعيش فيه قرية صغيــرة بعد أن قربت وسائل الاتصال والمواصلات بين الناس فى أنـــحاء المعمورة كلها، وزادت من ســهولة انتقال الأفراد والســلع والخدمات والأفكار والمعلومات والثقافات. وأصبحت حياة العالم أكثر سرعة وتعقيدا.

لقد كان البعض يتصور مع بدء هذه الثورة الهائلة فى الاتصالات أن يصاحبها تطور هائل يصيب الدول النامية بعد أن تنفتح على الدول الغنية والمتقدمة فى كافة المجالات، إتباعا للمثل المصرى القائل**(من جاور السعيد يسعد)**، ولكن هذه الثورة ما لبثت أن ألقت بأوزارها على العالم النامى، فكشفت أقمار التجسس عورات الشعوب وأسرارها وخصوصياتها، ودخل الغزو الفكرى والثقافى خلال وسائل الإعلام والفضائيات والإنترنت كل بيت، وكما قربت وسائل الاتصال والمواصلات بين الناس ونقلت سلعهم وخدماتهم بسرعة و سهولة، ساعدت وأ سرعت فى نقل الثقافات والعادات والتقاليد والمو ضات ونقل المشاكل والأمراض المادية والمعنويه بين الناس فى أقطار المعمورة. ولعل أشهر ما نقلته وسائل المواصلات بين دول العالم ذلك المرض الواسع الانتشار والمعروف باسم أنفلونزا الخنازير الذى سرى بين أقطار المعمورة أسرع من سريان النار فى الهشيم ومن الرياح فى سرعة انتقالها على سطح الأرض. وا ستطاع أن يخترق كافة إجراءات الوقاية منه حتى طالعتنا فى يوم ٢٥ يوليو ٢٠٠٩م صحيفة الأهرام بتوقعات خبراء الصحة فى الولايات المتحدة الأمريكية حول مستقبل فيروس أنفلونزا الخنازير بأنه من المنتظر أن تصل نسبة الإصابة به خلال عامين إلى نحو أربعين فى المائة من أبناء الشعب الأمريكى وأن تصل الوفيات إلى نحو مئة ألف ما لم تحدث معجزة علمية أو معحزة من السماء.

(٢) الفضائيات و أثرها فى توجيه ثقافات الشعوب:

ويمكن للباحث والمتأمل فى أحوال القنوات الفضائية أن يتأكد بسهولة من أن معظم هذه القنوات الفضائية قنوات موجهة بمعنى إنها تنفذ سيا سة إعلامية معينة، فالقنوات الر سمية موجهة بحكم أنها قنوات تابعة لدول بعينها ذات سيا سات وأهداف تسعى لتحقيقها أو الدعاية أو الترويج لها. أما القنوات الفضائية الخاصة فيوجهها مالكها للوجهة التى يريدها سواء أكانت لنشر ما يؤمن به من أفكار أو مذاهب أو يديرها إدارة اقتصادية، للوجهة التى تضمن لها الربحية تحت أى مسمى، فأصبحت الفضائيات فى الحالة الأولى شأنها شأن المادة الإعلانية فهى تسعى للترويج لسياسات الدول وتبريرها شأنها فى ذلك شأن الإعلانات التى تبث للترويج للسلع أو الخدمات، وأما فى الحالة الثانية فأصبحت كأفلام السينما تبحث عن نجم الشباك وعن المو ضوعات المثيرة التى تدر أكبر عائد على صاحبها وإن جاءت تلك المو ضوعات فى بعض الأحيان متقدمة فى أسبقياتها على القيم والمبادئ أو ربما موجهة وقائدة لها.

ومما عقد الأمور فى بلادنا ما نراه من احتلال القنوات الفضائية الدينية مساحة كبيرة على الشاشات، وأصبح المسلم يستمع إلى الفتاوى والأحكام على كافة المذاهب وعلى أيدى علماء تعددت مشاربهم واذواقهم وثقافاتهم. فهذه قناة تمجد الصحابة رضوان الله عليهم وهذه قنوات لا تذكر عنهم إلا كل نقيصة،

فتنوعت المشـــارب بين المذاهب المتنوعة المتفقة فى الأصــول والمتباينة فى الفروع والأهداف. بل زاد الطين بلة أن كل من امتلك ميكروفونا صـــار عالما ومفتيا، وظهرت العديد من الفتاوى التى تناولت موضوعات فرعية شغلت الأمة بها، **كرضاعة الكبير**، والأحاديث المختلف على صحتها فى كتب الصحاح، كما توسع مفسرو الرؤى والأحلام، ما بين صادق ومنافق يسعى للشهرة أو المكسب، وثارت بسببها مشاكل عديدة نتجت عن التوقعات التى تثار من تفسـير تلك الرؤى، كما فتحت الفضـائيات الجدل الشـديد حول العديد من المسائل الدينية وذات الخصوصية على الهواء، وتكلم فيها رجال الثقافة والسياسة وأصحاب المذاهب الدينية المعتدلة والمتشــددة وأصــحاب المذاهب الإلحادية وغيرهم، وأفتوا فى كثير من أموره، وانشــغل الناس بها عن جوهر هذا الدين الحنيف الذى قال عنه رســول الله ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** حتى أصبحت الفتاوي مهنة من لا عمل له.

ومما زاد الأمور تعقيدا أن الدين لم يعد ينال وقته الكاف للتدريس فى المدارس وأصبحت حصيلة المتعلم لا تكاد تجعله يلم بأصول وأركان وأساسيات هذا الدين، فتعلمها من الفضائيات تعليما عشوائيا لا يستند إلى قواعد وأصــول صــحيحة راســخة فى العقول والقلوب ويتلقى معلومات متفرقة فى أوقات متفرقة من علماء ودعاة متباينين فى ثقافاتهم فتكون حصيلة المتلقى مجموعة من المعارف الدينية غير المتكاملة أو المتناسقة أو المتوائمة مع بعضـــها البعض. فمشـــاهد القنوات الفضـــائية يجد أمامه كافة المذاهب الفكرية والثقافية والدينية دون أن تتوفر لهذا القارئ القدرة على التمييز بين المهم والأهم وبين الغالي والثمين وما يعنيه ومالا يعنيه. وصار شأنه فى تناول أمور دينه وثقافته كشأن من تناول طعامه على موائد الشحاذين.

(٣) التعليم الأجنبى وأثره على الهوية:

إن التعليم فى سائر الدول مهمة قومية، توجه الثقافة والحضارة والفكر، ولهذا تحرص الدول المتقدمة أن يكون التعليم بكافة أدواته تحت القبضة الكاملة للدولة، ولا يسمح بالتعليم والتثقيف الأجنبى(غير الوطنى) فى أى دولة من دول العالم المتقدم خاصـــة فى المراحل الســـنية الأولى والمبكرة حفاظا على الهوية الثقافية والحضارة من الاندثار أو التشوه.

أما فى الدول النامية فالأمر مختلف حيث نجد أن كثيرا من الدول النامية حين أرادت أن تطور التعليم، توســعت فى فتح المدارس والجامعات الأجنبية التى تعمل كل منها طبقا لنظام التعليم فى بلدها، وتســعى من خلال نظم تعليمها لنشـــر ثقافتها وتاريخها وقيمها ومعتقداتها، فهذه جامعات ومدارس أمريكية، والأخرى فرنســية والثالثة بريطانية أو روســية أو يابانية كل هذا فى البلد الواحد. والأســوأ فى هذا أن تجد الطفل (وهذا شاهدناه بين ابنائنا) يتعلم اللغة الأجنبية فى سنوات الحضانة الأولى مع لغته الأم، فصار الطفل ينطق بالكلمة

وربما لا يكاد يدرى لأى لغة تنتمى، ويجمع فى حديثه بين العديد من اللغات فى الحديث أو الحوار الواحد أو ربما فى الجملة الواحدة.

وأجمل تعليق سمعته فى هذا الشأن، عندما كنا على مائدة إفطار فى رمضان، اجتمعت عليها كافة أصناف الطعام من أسماك ولحوم وفواكه وغيرها، فقال أحد الحاضرين، إنها أشبه بمائدة الشحاذين، قلت له كيف ذلك فقال: يطرق الشحاذ الأبواب فهذا يعطيه طبقا من اللحوم وآخر يعطيه سمكة، والثالث ثمرة فاكهة، وغيره رغيف خبز أو طبق أرز أو مكرونة أو ملوخية، **فهو لا يأخذ منهم ما يريد أن يأكله أو ما يفيده و يحتاجه بل ما يريدون له أن يأكله، فهو طعام تكفى كميته لتحقيق الشبع، أما من حيث الكيف فهو طعام لا تربط بين مكوناته أو كمياته أو نوعياته فكرة واحدة تحقق للجسم منه الاستفادة دون خوف من الضرر.**

وإذا استعرنا هذا التعليق فى حديثنا على التعليم الأجنبى والثقافة من الفضائيات لقلنا أن الإنسان يتلقى تعليما وثقافة أمريكية والآخر يتلقى ثقافة فرنسية والثالث روسية وصينية أو ألمانية كل ذلك بجانب ثقافته الوطنية والتى كثيرا ما تلبس ثياب التخلف فى أسلوب عرضها وتقديمها. ويصبح الإنسان المتلقى لتلك الثقافات مضطرب الشخصية خاصة إذا بدأ فى تعلم ثقافات ولغة الآخر قبل أن يتعلم ثقافته الأم مع خطواته الأولى.

د- الصعوبات المرتبطة بطبيعة العالم الذى نعيش فيه:

فالعالم الذي نعيش فيه الآن:

عالم عجيب ... عجيب حقا ... إنه عالم شديد التغير وسريع التقلب ...

فيه أمم كانت ذات حضارة ... فأصبحت ذات تاريخ ... وأصبحت حضارتها تاريخا و ذكريات ...

ودول كانت متقدمة وذات قوة ومنعة ثم صارت ... نامية بعد أن كانت متطورة ومتحضرة ... ثم استمرت فى التهاوى حتى صارت متخلفة ... وانتهى بها المطاف إلى أن صارت بسبب شدة تمسكها بأسباب التخلف وحرصها عليها ... أمما مصرة على التخلف ... غارقة فى مستنقعه ... لا تريد أن تخرج منه ... ولا ترضى عنه بديلا ...

وفى المقابل نجد أمما كانت ذات ماض بغيض وبربرى مؤلم فأصبحت ذات غنى فاحش ... وحضارة ... وتقدمت فى شتى المجالات ... ولكنها بنت حضارتها على القوة المفرطة والغنى الفاحش المفتقر إلى قيم حق وخير وأمن وسلام تسوسه وتروض وحشيته، فعاثوا فى الأرض فسادا، وقتلوا و ظلموا...

وتكاد تكون قد ترسخت مفاهيم معينة حول الحضارة ومقوماتها ... فالمفهوم الشائع هو أن القوة والغنى هما أساس بناء وبقاء الحضارات والأمم ...

ولكن ليس ذلك هو كل الحقيقة ... فليس مقياس التطور والتحضـــر هو القوة المادية أو ارتفاع البنيان الشاهق أو توفر أسباب الرفاهية ... كلا ... بل مقياس التحضر هو ما لدى الإنسان من قيم ... ومدى تفعيله لهذه القيم ...

فقد انهار الاتحاد الســوفيتى وتهاوى بســرعة مذهلة ... وهو يمتلك أقوى ترســانة نووية وتقليدية عرفها تاريخ الإنسان ...

فالإنســان هو أســاس الحضــارة ... وقيمة الإنســان بقدر ما يحمل من قيم ... وقيمة الحضــارة بقدر ما يؤسسها عليه الإنسان من القيم ...

والبنيان الفخم ... الذى لا يقطنه أحد من البشر ... خراب وأطلال ... وإن بلغ الروعة فى البنيان ...

والبنيان الفخم ... الذى يقطنه الأشرار هو وكر للشيطان ...

أما البيت الـ صغير العامر بالحب والقيم والخير فهو عامر ومتحـ ضر، وإن كان قليل المرافق أو بـ سيطا فى البنيان ...

لقد نسوا جميعا فى غمرة لهوهم بمباهج الحياة ما أكده القرآن الكريم من سنن الله تعالى فى الأرض، والتى منها أن الظلم والإسراف وارتكاب الفواحش والمنكرات هى أعظم ما يقوض الأمم والشعوب والحضارات ويزلزل بنيانها ويدمر كيانها، وإن امتلكت القوة الغاشمة المفرطة. كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ الحج: ٤٥، ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النمل].

إنه حقا عالم مسرف وظالم ... وعالم فاسد وخانق وقاتل ...

اختلط فيه الحق بالباطل ...

وقتلت فيه حرية الإنسان من أجل حقوق الإنسان ...

وعز فيه الأمل من فرط الألم ...

وضاع فيه الرجاء من فرط الشقاء ...

ونصب فيه الميزان ليرفع أهل البهتان ويحط بأهل الإيمان.

واعتبروا ارتفاع كفة الميزان بأهل البهتان من علو الشأن.

وسنت فيه القوانين لتجريم المؤمنين و تأمين المجرمين ...

وساووا فيه بين نقيضين أو طرفي نقيض فرق الله بينهما وهما: المسلمين والمجرمين.

ودمروا فيه الفضائل و القيم باسم الحفاظ على القيم.

ودمروا الإنسان تحت ستر حماية حقوق الإنسان.

وانحطوا من أحسن تقويم إلى أسفل سافلين بسخريتهم من رحمة الله للعالمين سينا محمد ﷺ، الذي لولاه ما خلقوا وما أمنوا، فمما يسخرون غير جهلهم وحقدهم وسوء أخلاقهم؟

هل يسخرون منه لأنه أمرهم بالإيمان بالله الواحد الأحد وترك الكفر والشرك وعبادة الشيطان وهوى النفس وإضلالها كما قال تعالى مبيننا أسس الحوار مع أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

هل يسخرون منه لأنه أمرهم بقيم العدل والإحسان ونهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي كما قال تعالى:
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [النحل].

هل يسخرون منه لأنه أمرهم بأن يكونوا أمناء وأن يؤدوا الأمانة إلى أهلها وأن يحكموا بين الناس بالعدل وألا يكون هذا العدل قاصرا على قضاياهم فقط بل للناس جميعا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

أم يـ سخرون منه لأنه أمرهم بحـ سن الخلق والتى تربع هو على عر شها بـ شهادة ربه عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم] ؟

التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية على العالم العربى والإسلامى:

أ- زيادة حدة التفرق العربى كأحد النتائج السلبية لثقافة العولمة:

إن حاصــل التأثيرات الســابقة قد بدت ثماره على الإنســان العربى والتى تظهرعندما يتلاقى هؤلاء الذين تلقوا تعليمهم وتشــكلت ثقافاتهم على يد مدارس تعليمية متباينة فى أهدافها وأنظمتها فى عمل أو حوار تجد التباين واضــحا فى أســلوب التفكير وإدارة الحوار، وهو نفس ما تجده وما تراه فى الحوار العربى حول كافة القضايا.

فالعرب تعلموا كيف يتفرقوا، وأن يجهـضوا أى محاولة لجمع الـ شمل، وقد ا ستطاع العرب فى تاريخهم المعاصــر أن يبدأوا العشــرات من الموضــوعات والمشــروعات الكبيرة عظيمة الفائدة الســامية فى غاياتها، ولكنهم قلما يستطيعوا أن يتموا أو يكملوا منها إلا النذر اليسير، بل ربما تجد ما اكتمل من هذه المشروعات سرعان ما يصيبه التصدع والتفكك والانهيار أو يبقى شكلا وهيئة مفرغة من جوهرها ومضمونها. وكثيرا ما تجدهم يبدأون حواراتهم لمناقـشة مـشكلة معينة، وبعد فترة تطول ينتهى النقاش والحوار وتكون النتيجة هى أن المـشكلة قد تعقدت وقد يزيد الأمر سوءا نتيجة عدم إحرازهم لقدر من التقدم فى حل المـشكلة الأم التى اجتمعوا من أجل حلها. بل قد تكون النتيجة أن تصــبح المشــكلة مســتعصــية على الحل بل ربما لا نكون مبالغين إذا قلنا أنه بعض الحوارات التى تقام لحل مـ شكلة ما قد تنتهى بميلاد جديد لعدد أكبر من المـ شاكل التى لم تكن موجودة بين الأطراف قبل بدء الحوار.

وإن شئت أمثلة لذلك فراجع ما أحرزه العرب من تقدم فى مـ شروعاتهم القومية أو الوطنية على مر تاريخنا المعاصــر والتى من أبرزها: ملفات التعاون العربى من أجل التنمية والهيئة العربية للتصــنيع واتفاقية الدفاع المشترك، واتفاقية دمشق التى بدأت إثر حرب الخليج الأولى وغيرها من القضايا. وملفات مشروعات

الوحدة العربية والسوق العربية المشتركة التى بدأت قبل أوروبا بنحو عشر سنوات ولم تتقدم خطواتها بجدية وفاعلية، وعلى المقابل تجد تقدما كبيرا أحرزته أوروبا من تقدم كبير فى هذا المجال رغم ما كان بينهم من أسباب تعيق إقامة وحدتهم.

ب- ضياع الصيغ المشتركة حول القضايا الكبرى:

وفوق ذلك كله نجد أن قضية فلسطين التى بدأت بسبب التفرق العربى واستمرت وترعرعت على ما تغذت به من طعام قامت بطهيه على نيران الفرقة العربية.

لقد ألقت الثقافة العربية بظلالها الكئيبة على الهوية الثقافية العربية، فجاءت على نمطها من التنوع غير التناسق أو المتناغم أو المتكامل، والذى وجه بدوره قراراتنا صغيرها وكبيرها فى كافة أمور حياتنا ... ووجهها نحو الانعزالية والأنانية وحصرها داخل حدود المصالح الفردية أو على حد أقصى داخل إطار المصالح الوطنية التى لا يتسع صدرها لجيرانها وأشقائها، وإن اتسعت رغم أنفها للأجنبى الغريب عنها، وصاروا على الوجه الذى حذرنا منه رسول الله ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا حديث: (إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم واسألوا الله حقكم. رواه البخارى والترمذى عن ابن مسعود).

وفى رواية: (ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم). أخرجه البخاري في صحيحه ومسلم وأحمد – عن ابن مسعود).

(ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل) أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر. وحديث: (إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة! فإن دخل على أحد منكم بيته فليكن كخير ابني آدم). أخرجه أبو داود وأحمد وابن ماجة والحاكم عن أبي موسى. وحديث: (ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به). رواه الشيخان عن أبى هريرة.

وتجاهلوا قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال]، وأمرهم بالإعتصام بحبل الله جميعا وعدم التفرق فى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران].

وبرأ رسول الله ﷺ من تلك الفئة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام]، وكانت هذه البيئة الثقافية التى تربت فيها الفردية والانعزالية والأنانية وضيق الأفق بيئة تربت وترعرعت فيها الفتن وأسباب الفرقة لأتفه الأسباب.

لقد أدت ثقافتنا العربية إلى اتسامنا بالكثير من الصبر تجاه ظلم العالم لنا، والقليل أو إن شئت فقل إنعدام صبرنا على بعضنا البعض، فقد تسامحنا كثيرا من كل من ظلمنا من غير جنسنا والتى كان من أبرز أمثلتها ما كان منهم فى فترة الاستعمار الغربى، وتقسيم الدول العربية، وزرع إسرائيل فى المنطقة حلا لمشاكل أوروبا التى أتعبها تواجد اليهود بكثرة فى بلادهم وما نتج عنه العديد من المشاكل والصراعات، فصدروا مشاكلهم للمنطقة العربية والتى كانت مؤهلة لقبولها بما تعج به من تفرق وتنازع على أتفه الأمور. أما عن ظلم الآخرين لنا فى الحاضر فيتمثل فى نهب أموالنا بالمليارات فى بنوك أوروبا وأمريكا دون أن نبدى حزننا الشديد عليها، بينما لو حدثت أدنى مشكلة ماليه تجاه أخ شقيق لا تمر بلا عقاب وقصاص، ونرى أيضا إسرائيل تهاجم دولا عربية و تكتفى تلك الدول بأن تصرح بأنها تحتفظ لنفسها بحق الرد.

أما عن الظلم العربى العربى فلو أن أى مخالفة بسيطة حدثت من شقيق عربى أو جار مسلم، لا تجدها تمر ببساطة أو سهولة دون عقاب رادع، وإجراء حاسم وفورى، لا ينتظر حتى يتم التحقق من الأمور، ولا تقبل فيه الأعذار أو جهود الوساطة لتهدئة الأمور أو تغليب العقلانية فى الحكم عليها، بل تستمر الإدانة والحديث عن هذه الجريمة البشعة دهرا، بل ربما توارثتها الأجيال جيلا بعد جيل كل يلقن سابقه بها. وارجع إن شئت إلى المهاترات العربية المتبالدة حول كافة قضايا الخلاف، وارجع أيضا إلى سجلات الخلافات بين فتح وحماس، ونحو ذلك.

ج- عمق الخلافات الثقافية العربية وأثرها فى صعوبة جمع الشمل العربى:

إذا كانت الشعوب والأفراد على مستوى العالم يجتمعون على اختلاف مذاهبهم وأذواقهم وتوجهاتهم أمام الكوارث والقضايا الهامة والمصيرية وفى مواجهة التهديدات الخارجية، فإن العرب لم يجتمعوا أمام أى من ذلك. فلم تساعدهم التهديدات المحيطة بهم على أن تجتمع كلمتهم بل زادتهم كافة المشاكل المحيطة بهم

تفرقا واختلافا وعداءا، ولم تساعدهم وحدة لغتهم على تجمعهم وتقارب فكرهم، بل سعوا إلى تدمير تلك اللغة حتى صرت تجد العربى يجيد اللغة الأجنبية بآدابها وقواعدها، ولا يكاد يبين عند تحدثه بلغته الأم.

ولم تجمعهم ق ضية فلـ سطين أو ق ضية القدس وحرق الم سجد الق صى وتهويد القدس وقتل الأبرياء من الفلسطينيين كل يوم، بل سعوا إلى تدويلها، وزاد الطين بلة تنازع وتفرق الفلسطينيين أنفسهم وفيما بينهم فى الفكر وحول السلطة والمنهج. وربما كان مرجع ذلك على تدخل قوى إقليمية ودوليه فى الصراع لتوجهه لتحقيق مصالحها فى المنطقة بدلا من وضع القضية الفلسطينية على طريق الحل الصحيح. ولكن تبقى مسئولية الفلسطينيين عن تفرقهم ومسئولية العرب عن خلافاتهم وتنازعهم حول كافة الأمور .

والعرب لم يجمع شملهم دينهم الحنيف القائم على توحيد الله عز وجل، وعلى نبذ الفرقة فيه كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى].

فالدين لم يجمع شملهم لأنهم تفرقوا واختلفوا فيه.

والعرب لم تدفعهم خطورة قضيتهم وما يحيط بهم من أخطار وتحديات إلى التجمع. ربما لأن المصالح والسياسات المتضاربة والتى تصبغها الأنانية كانت فوق كل ذلك وهى التى توجه كل ذلك.

د- تهديدات العولمة للهوية الثقافية العربية:

(١) تفتيته للهوية:

لقد أخفقت نظم التعليم فى البلاد العربية والإسلامية – فى كثير من الأحيان – فى خلق هوية ثقافية متينة والحفاظ على الهوية الثقافية والحضارة من الاندثار أو التشوه. وأخفقت فى خلق وعى عربى وإسلامى واحد تجاه قضايانا المصيرية وفشلت فى تحقيق وحدة الهدف ووحدة الصف وفشلت فى تنمية الرغبة فى التعاون المشترك، لأنها نظم متباينة فى أهدافها ومناهجها وأساليبها.

والمرء – ضعيف الهوية الثقافية – فى ظل السماوات المفتوحة بين مخافتين أولاهما أن يدخل بعمق معها، ويكون عندئذ مهددا بطمس هويته الثقافية أو تبدلها، أما أن كان قراره واختياره هو الحفاظ على هويته دون أدنى تأثر برياح الغزو الثقافى فهو يحكم على نفسه بالعزلة عن ركب الثقافة العالمية، وهى عزلة لا يستطيع تحملها. وقليل من يمتلك المهارة التى يستطيع بها أن يوائم بين هاتين النقيصتين المتناقضتين. فيستفيد من إيجابياتها و يتفادى أضارها.

إن أسوأ ما تصيبه الشعوب ضعيفة الهوية الثقافية من السماوات المفتوحة هو تهديد الهوية الثقافية لها، لأن ذلك هو الطريق لتفتيت وحدة الشعوب والأوطان ويمهد الطريق لتنامى الفتن والصراعات التى تهدد أمن وسلامة الأوطان.

وهذا التفتيت لا يأتى مرة واحدة بل يأتى تدريجيا، ويتسلل إلى الأوطان خلسة. تبدأ بشعور المرء بالغربة بينه وبين أقرانه وأهله ثم بينه وبين بنى وطنه. ولعلك لو راقبت سلوك نفر ممن تعلموا تعليما أجنبيا مع من تعلموا تعليما يفترض أنه فى مدارس وطنية، لوجدت حديث الأول تتداخل فيه الكلمات الأجنبية يلوكها، ليظهر للآخر أنه دونه ثقافته ورقيه، ويشعر كلاهما بالغربة عن الآخر.

(٢) الغربة الثقافية بين بين العرب والعالم وبين بنى الوطن الواحد:

إن ما تتسم به الثقافة من عدم الانسجام والتناغم والتكامل يجعل الإنسان يشعر بالغربة رغم أنه يعيش بين أهله وبنى وطنه، فهو يجد نفسه غريبا عنهم، عقليا وفكريا وروحيا، غريبا عنهم فى طموحاته وآماله. فهو وإن كان يعيش بينهم بجسده ولكن روحه وعقله وهواجسه تعيش بعيدة عن هذا الوطن.

وفى المقابل تجد طائفة أخرى غابت بجسدها وروحها وعقلها عن الوطن والأهل والأصحاب، وعاشوا مع أقوام آخرين ويكتسبوا منهم عاداتهم وتقاليدهم وطباعهم وربما أخلاقهم. وعندما يعودوا إلى بلادهم وأهلهم بعد طول غياب يشعرون بغرابة طباعهم وتصرفاتهم.

وهناك من يعرف الغربة بأنها شعور ينتاب الإنسان إذا تواجد فى مكان غريب أو عاش بعيدا عن أهله ووطنه، أما الاغتراب فهو أشد لأنه شعور داخل النفس بالغربة رغم وجودك بين أهلك أو أصدقائك ووسط كل من تعرفهم ويعرفونك.

ولكنك تشعر أنك غريب بينهم، وتشعر بالوحدة رغم وجود الناس حولك ولا تشعر بأحد ولا تجد من تحدثه فيه إلا نفسك وتشعر بأنك تعيش فى عالم من الهموم والأحزان تفتقر فيه إلى صفاء النفس والإنس بالناس بل تشعر بالخوف منهم وعدم الأمان والثقة فيهم.

(٣) أصبحت الأوطان العربية أسواقا لتسويق المنتجات الثقافية بجانب المنتجات المادية:

إن دخولنا عصر السماوات المفتوحة زاد الأمور تعقيدًا ... فبدلا مما كنا نتوقعه من انفتاح على العالم المتقدم فى جميع المجالات، نجد أن الانفتاح اقتصر على الانفتاح الثقافى دون غيره، وأصبحت أبواق الدعاية الغربية تصرخ فى آذاننا وأعيننا بما تريده. ولم تساهم الفضائيات أو الإنترنت فى نقل التكنولوجيا أو تطوير

التعليم لدينا، والنتيجة أننا أصبحنا سوقا لتصريف السلع التى يبثها لنا الآخرون سواء أكانت سلعا ثقافية أو أيديولوجية أو اقتصادية بعد أن كنا سوقا لتصريف السلع الاقتصادية فقط ... وأصبح الإنسان الفضائى الثقافة والتعليم كمثل الفريسة التى يتنافس عليها الغزاة الثقافيون، وصاروا أقرب فى وصفهم إلى ماقاله رسول الله ﷺ عنهم فى الحديث: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله! فمن قلة بنا يومئذ؟ قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل يجعل الوهن (الوهن: الضعف) في قلوبكم وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهتكم الموت). أخرجه أبو داود وأحمد عن ثوبان.

وفى رواية لأبى داود : عن ثوبان قال: (قال رسول الله –ﷺ: «تو شك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قِلّةٍ نحن يومئذٍ؟. قال: «بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول اللّه، وما الوهن؟. قال: «حبُّ الدنيا وكراهية الموت»).

وهكذا يكون دائما شأن الإنسان الضعيف ثقافيا وعقائديا وماديا، يخسر فى كل معركة يدخلها، ويكون كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهةُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ [النحل] ، ويكون شأن الإنسان المشتت بين ثقافات الآخرين تتجاذبه و تتنازعه كمثل العبد الذى قال تعالى عنه: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النحل]، ومن الأمثال التى ضربها الله تعالى لبيان أثر توحيد العبد وعبادته لله الواحد الأحد، وما يحتار به المشركون بين آلهتهم المتعددة من أثر ذلك فى تشتيت الأمة وإضعافها قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر].

(٤) فقد المرجعيات و الأسوة الحسنة:

وهذه النقاشات وغيرها تدور بين الناس، دون أن يتوفر بينهم فى كثير من الأحيان مرجعا يبين لهم صواب ما يختصمون فيه. والأعجب أن يكون ذلك حتى بين أهل الدين الواحد والملة الواحدة. ومن ذلك أنك تجد نفرا من الناس يتسمون بضيق صدورهم فى الحوار وعند وجود أدنى خلاف مع من يحاورهم، فهم لا يقبلون ولا يرضون إلا عمن كان على شاكلتهم شكلا ومظهرا، أما الجوهر فلا يعلمه إلا الله تعالى.

وربما يرجع ذلك أيضا إلى أن كثيرا من الناس لا يدركون الفروق فيما أمر الله به ورسوله ﷺ، وتصنيف الأوامر إلى ما هو فرض وواجب ومنبوذ ومستحب ونحو ذلك من المسميات فتراهم يعطونها جميعا نفس القدر من الأهمية، ويتنازعون حول أمور بسيطة تنازعا لا يليق بها بينما يتسع القبول فيها لأكثر من رأى.

المصاعب التى ترتبط بطبيعة البيئة الثقافية العالمية:

أ- تعقد البيئة الثقافية العالمية المحيطة بالإســلام والمســلمين تعقيدا شــديدا. والتى يمكننا أن نلخص ملامحها الرئيسية فى الآتى:

(١) الحملات المستمرة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين والتى اتخذت كافة صور الحرب من حرب فكرية إلى حرب مادية ضــد المســلمين، وهم يتهمونهم دائما بالإرهاب رغم أن الغالبية العظمى من قتلى المســلمين يكون على أراضــيهم و أحيانا فى عقر دارهم، كما هو الحال فى فلســطين والشــيشــان والبوســنة وأفغانســتان وغيرها من بلاد المســلمين، فحروبهم التى يقتلون فيها تدور غالبيتها على أراضــيهم مما يكون مؤشرا على أنهم يهاجمون ويعتدى عليهم فى أوطانهم وأحيانا كثيرة فى بيوتهم.

(٢) ا ستهداف الحروب الموجهة للإ سلام والمسلمين لثوابته العقائدية القائمة على التوحيد الخالص لله عز وجل، وتفحل الحملة الشرسة ضد رموز الإسلام والتى من أهمها محمد رسول الله ﷺ.

(٣) عدم اعتراف الآخر بالمســلمين الاعتراف اللائق بهم، فرغم أن المســلمين يقوم دينهم على الإيمان بكافة الرســالات والشــرائع الســابقة و التى من أشــهرها الملة الإبراهيمية ورســالة موســى وعيســى عليهما السلام، بل ويجعلون لأهل الكتاب حقوقا أصيلة على المسلمين، إلا أن الآخرين وخاصة اليهود والنصارى لا يكتفون بالاعتراف بهم كدين، واعتبار المســلمين ثقافة من الثقافات الإنســانية، إلا أنهم لا يعترفون بحق المسلمين فى ممارسة ما تمليه عليهم ثقافاتهم (على حد تعبير الغرب الذى يحول الإسلام و يختزله إلى مجرد ثقافة)، ومن أمثلة ذلك الواضــحة هو ماتراه منهم من أنهم ينكرون الحجاب ويحاربون المحجبات من المسلمات فى المدارس وأماكن العمل رغم اعترافهم بأزياء كافة الثقافات الهندية واليابانية والأفريقية.

وينكرون على رجال الدين الإســلامى ملابســهم المميزة رغم احترامهم لملابس رجال الدين اليهودى والمسيحى، كما ينكرون علي المسلمين ذبح الأضاحى، ولا ينكرون نفس الشئ على اليهود، رغم أن اليهود لا يأكلون ألا الذبائح مستنزفة الدماء ولا يأكلون الخنزير.

(٤) تباين الهويات الثقافية بين دول العالم التى يتعامل المســلمون معها تباينا كبيرا. وخاصــة الهويات الثقافية التى تميل للعنف وعدم احترام المخالف لها فى الدين أو الجنس أو المصالح.

ب- ما تتسم به البيئات الثقافية فى البلاد الإ سلامية وما تموج به أجواؤها الثقافية من ظواهر ثقافية معقدة ومنها:

(١) تباين على نطاق واسـع فى الآراء، وقد زاد من اتسـاع هذا البون هو دخول كل من يمتلك مالا أو قناة فضـائية أو ميكروفونا أو حتى لسـانا ناطقا لمجال الدعوة دون أن يكون له نصـيب وافر من سـابق العلم أو المعرفة أو الخبرة، فالكل يتحدث ما دام قادرا على ذلك.

(٢) صـعوبة تحمل بعض أصـحاب الرأى لوجود الرأى الآخر، مادام لكل منهما أصـل فى الشـرع، مما يؤدى فى كثير من الأحيان إلى تحول الاختلافات فى الرأى إلى خلافات بين أصـحاب الرأى، والتى قد تتطور إلى جدال أو نزاع بين أصـحاب الرأى. وقد رأينا ما عجت به السـاحة من مسـائل عرضـت على الجمهور كمشـروعية فوائد البنوك، ونقل الأعضـاء، وغيرها من المسـائل والتى رغم أنها قد بدأ ظهورها منذ عقود أو ربما قرون، إلا أنه مازالت حتى الآن غير محسـومة لأنها لم تأخذ حظها من الدراسـة والتحليل، ولم يسـعى أصحاب الآراء المتباينة إلى تقريب وجهات النظر حول فهمها.

(٣) الميراث الثقافى الإسـلامى والذى تحفل به كتب التراث والذى يحفل بالتنوع فى تناول المذاهب الفقهية والفكرية لقضايا المسلمين، وما يحويه من آراء ونصوص تضم بجانب الصحيح ما هو ضعيف أو منكر، وزاد من أهمية ذلك تباين الآراء فى قبول الأحاديث الضـعيفة من عدمه، وتباين تفسـير القرآن فى بعض المسائل، وخاصة ماكان منها من المتشابهات.

ج- تباين الخلافات بين المسلمين خاصة فى المجالات السياسية:

وقد انعكاس ذلك على تناول المسـلمين لقضـاياهم المصـيرية، ومن أهم تلك الخلافات وأبرزها ما هو قائم بين السنة والشيعة رغم أنهما يتفقان فى أصول الدين وأساسياته، فإلههم واحد وكتابهم واحد وهو القرآن الكريم ونبيهم وا حد وهو محمد ﷺ، وقبلتهم وا حدة وهى الكعبة وعباداتهم ونسـكهم وا حدة، ولكن التوجهات السيا سية والتعصب المذهبى حالا دون تقاربهما أو حتى تعاونهما على البر والتقوى كما يأمرهم الله عز وجل.

د- تخلف المسلمين الملحوظ:

وهو التخلف عن ركب الحضارة الإنسانية وعن معظم مجالات التكنولوجيا، والأخطر من ذلك كله هو عدم تفعيلهم لمبادئ الإسلام كواقع حى فى حياتهم يملؤها رحمة وعلما وعدلا ونورا وسعادة. فلا تكاد تجد

أمامك نموذجا إسلاميا متكاملا بصورة مقبولة يمكن اعتباره نموذجا طيبا يمثل الإسلام، تتوفر فيه صورة صادقة ومشرقة لمبادئه وقيمه تكون بديلا لتلك الصورة التى رسمها أعداؤه والتى تصفهم بأنهم طائفة لهم مظهر معين قوامه لباس جلباب قصير للرجال ولحى كثة وتكشير عن الأنياب وترتدى نساؤهم النقاب أو الحجاب، دون أن يكون من وراء هذا المظهر رصيد طيب من مكارم الأخلاق ووعى نابه للعصر الذى يعيشون فيه، وعقل قادر على التعامل مع هذا العصر وعلومه وتقنياته وتهديداته ومخاطره سواء بسواء.

هـ- صعوبة التعامل مع الآخر من خلال مصطلحاته دون معرفة أصولها الثقافية وجوهرها وتطورها:

لقد رحب مفكروا الإسلام بفكر الحداثة لما يظهر من اصطلاحه المترجم من أنه دعوة للتطور واعتبروها اتجاها يتمشى مع قيم الإسلام ويرحب به الإسلام، ولكن تلك النظرة وجدت وضعتهم فى مأزق المواجهة مع الثقافة الغربية بعد أن تأكد ارتباط مفهوم الحداثة بفكر التنوير المبنى على فكرة أن الإنسان هو مركز الكون وسيده، وأن العقل الإنسانى له السيادة على كل شئ وأنه هو القادر على دراسة الواقع أو إدارة المجتمع أو للتمييز بين الخير والشر، وأن العلم هو أساس الفكر، ومصدر المعني والقيمة، وأن التكنولوجيا هي الآلية الأساسية لتسخير الطبيعة بما يحقق للإنسان سعادته. وبعد أن ظهرت الحداثة بمفهومها الغربى كدعوة لاستخدام العقل والعلم والتكنولوجيا بمعزل عن القيم، أو بعيدا عنها ومتحررة من قيودها أو كما يعبر عنها المصطلح الإنجليزى (Value-free). فهى دعوة لبناء عالم متجرد من القيم بمفهومها المطلق، دعوة إلى النسبية فى كل شئ، تلك النسبية التى تتساوى معها كل الأمور وتغيب فيه كل القيم المطلقة، وهذا يؤدى بالتأكيد إلى صعوبة الحكم علي الأمور، أو التمييز بين الخير والشر وبين العدل والظلم، وبين الجوهري والهامشى. **وفى العالم الذى تغيب فيه القيم المطلقة، ذات المرجعية التى تجعلها الأساس فى الاحتكام لها تختفى المعايير التى يمكننا أن نحسم بها النزاعات والصراعات، ونسوي بها الخلافات، فالإنسان هو المرجعية، فما يراه يحقق مصالحه فهو الخير وما يتعارض مع مصالحه هو الشر.**

ومن يستوعب هذا المفهوم لا يجد غرابة فى السياسات التى تنتهجها الدول الكبرى تجاه قضايانا. **إن تلك الثقافات لم تصاغ لتظل حبيسة الأدراج أو أوراق الكتب أو ذاكرة العقل الإنسانى، وإنما وجدت لتجد تطبيقاتها على الأرض وفى العالم الذى يريد الغرب منه أن يكون طوعا له بخيراته وثرواته وطيعا له بسياساته دون أدنى مقاومة أو معارضة.** إنها وجدت لتصنع القبول العالمى للغرب وسياساته التى ينتهجها فى العالم من أجل تحقيق مصالحه حتى ولو جاءت على حساب مصالح الآخرين. إنها وجدت وأعدت لكى توجه التعليم فى المدارس الأجنبية وتوجه خطاب الرؤساء والمسئولين ووجدت لتوجه المفاوض الغربى عندما يتفاوض مع غيره حول قضية من القضايا. ووجدت لتوجه وتصيغ العبارات التى يتحدث بها من يقابل مسئولا فى

دولة عربية يسعى لأمريكا أو فرنسا ويطلب سلاحا متطورا يؤمن به بلاده ضد ما يهددها. ووجدت لتوجه الحوارات فى الملتقيات الثقافية، ووجدت لتبرر تواجد القوى الكبرى فى البر والبحر والتفتيش على أى سفن تسير فى أعالى البحار وما تحمله من مواد. ووجدت لتبرر تواجد الدول الكبرى المكثف فى الفضاء الخارجى بأقمار التجسس والاتصالات وربما مستقبلا بأسلحتها فى إطار برنامج حرب النجوم، وفى نفس الوقت لا تقبل بأن تطلق دولا أخرى كإيران أو كوريا الشمالية أى أقمار اصطناعية للفضاء وتعتبرها أعمالا عدوانية وخرقا للقانون الدولى وتهديدا لأمنه وسلامه. ووجدت لتوجه مندوبى الأمم المتحدة لتلك الدول وخاصة فى مجلس الأمن لإصدار القرارات التى تتمشى مع مصالحهم، ومنع إصدار أى قرارات تتعارض مع مصالحهم حتى وإن استدعى الأمر استخدام حق الاعتراض (الفيتو).

إن من يستوعب كل ذلك يمكنه أن يفهم لماذا انتهجوا ما يسمى بسياسة الكيل بمكيالين تجاه قضايانا المصيرية. ويفهم لماذا سمحوا لإسرائيل بامتلاك التفوق فى التسليح على كافة الدول العربية مجتمعة بامتلاكها ترسانة عسكرية تقليدية متطورة وقوية بالإضافة إلى السلاح النووى الفتاك كسلاح ردع وعصا غليظة ترهب بها كل من تسول له نفسه أن يهدد أمن إسرائيل، ولو استطاعوا لجعلوا إسرائيل تتفوق على كافة دول الشرق الأوسط بكاملها وضد كل من تراه إسرائيل يمثل خطرا عليها سواء أكان هذا الخطر فى باكستان أو إيران أو غيرهما. ويفهم لماذا تظل قرارات مجلس الأمن التى قد تصدر لغير صالح إسرائيل مجمدة والتى من أشهرها القرار الشهير ٢٤٢ الخاص بالانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة، بينما تنفذ القرارات ضد سائر الدول فور أو ربما قبل صدورها، والتى كان من أمثلتها ما صدر بشأن لوكيربى، والعراق والرئيس البشير.

إن من تربى فى أحضان ثقافتهم يتفهم كل ذلك بسهولة ويتفهم مبرراتهم لهذا الأداء فى كافة المجالات ولا يجد فيها أى غرابة أو شذوذ عن توجهاتهم الثقافية. وأذكر للقارئ مثالا حيا، فقد كان لى زميل لامع، وكانت لى معه حوارات متعددة، وعند فتح الحوار ذات مرة حول التعليم الأجنبى فى مصر، استفاض فى إيضاح جوانب تطوره من حيث التقنيات والأدوات التى تستخدمها المدارس فى التعليم وتطور أساليب التعليم التى يستخدمها المعلم ليوصل العلوم والمفاهيم بسهولة للدارسين ... بعيدا عن الحفظ ... ومع استمرار الحوار معه من جانبى حول مخاطر التعليم الأجنبى على الثقافة الوطنية ... فاجأنى بقوله ...« **ولهذا السبب لم أدخل أبنائى هذه المدرسة التى كنت أدرس فيها وكنت أعتز بها»** ... فعجبت لقوله ولقراره ... و سألته عن السبب ... فقال « **لقد وجدت نفسى لا أملك نفسى وروحى ...فقد صارت نفسى وروحى ملكا لهم ... فأنا لا أستطيع ولا أملك إلا أن أحبهم وأقدرهم مهما فعلوا ... ومهما تحدث الناس عن أخطائهم وجرائمهم أجد**

نفسى متعاطفا معهم وأجد لدى شعورا داخليا ونداءا من داخلى يقول لى أنهم لا شك على صواب ولا بد أن هناك أمرا ما أخطأ من يعارضهم فى فهمه ... إنهم عقلانيون ومتطورون و لديهم قيم ومبادئ تحترم الإنسان وحقوقه وتتعارض مع الظلم ولا أصدق أنهم يقعون فى مثل هذه الأخطاء والجرائم ... ولكن مع مرور الزمان وتزايد المعارضة لسياسات الدول الكبرى التى توجه التعليم الأجنبى فى مصر على وسائل الإعلام المصرية والعربية وحتى رجل الشارع البسيط وتواجد رأى عام عربى و إسلامى ضدهم ... أحسست حينئذ أننى ربما أصبح فى القريب غريبا عن هذا البلد وهذه المنطقة التى هى وطنى وعن هذا الدين الذى هو الإ سلام ... إننى كلما حضرت نقا شا حولهم وجدت لدى الرغبة الشديدة فى الدفاع عنهم وتبرير تصرفاتهم واختياراتهم ... ولكنى كنت أشعر بالحرج ... الحرج لمجرد إحساس من حولى بتواجد هذا الشعور والتعاطف لدى تجاه من يرونهم ظالمين ... ووجدت نفسى أتساءل ... هل هؤلاء من بنى وطنى من مصر والعرب مظلومون حقا وأنا الذى فقدت الشعور بالمظلوم وحقه ووقفت مع الظالم لمجرد أننى تلقيت على يديه تعليمى وثقافتى رغم أننى الذى دفعت ثمن وتكلفة هذا التعليم من جهد و مال أبى؟... هل فقدت الحيدة والإنصاف فى حكمى على الأمور؟ ... هل فقدت القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وبين الخير والشر وبين الضار والنافع ... أم أننى أصبحت أزن الأمور بموازينهم وأقيسها بمقاييسهم .... وأقيمها بمعاييرهم؟ هل برمجونى لصالحهم دون أن يكلفوا أنفسهم حتى دفع ثمن هذه البرمجة التى دفعت ثمنها غاليا ؟ ... وأترك الاستفاضة فى الحديث إلى آخرة لتوقع القارئ.

و- **وأخيرا عدم وجود قدر كاف من الحرية الثقافية التى تيسر على الباحث أن يبرز دائما رأيه بصراحة وو ضوح**، ويرجع هذا الانتقاص من الحرية إلى عوامل متعددة منها التداخل الشديد بين الثقافة والسياسة، ونقصد بالسياسة هنا كافة صورها كالسياسات الاقتصادية والعسكرية والإعلامية والدبلوماسية والاجتماعية. وقد أدى هذا إلى وجود المراقبة القوية والشديدة واللصيقة والمباشرة من الساسة لموارد الثقافة باعتبار أن الثقافة هى التى توجه الشعوب والرأى العام ضد مختلف القضايا.

بل قد يصل الأمر فى بعض الأحيان إلى اتخاذ الإجراءات القانونية للملاحقة لأصحاب الرأى والفكر فى أى مجال من المجالات إن جانبه التأييد لما يذهب إليه أصحاب النفوذ السياسى، ومن أشهر ما سن من القوانين فى هذا الشأن القوانين التى تجرم معادة السامية، والتى تقتصر على انتقاد اليهود دون غيرهم من الأجناس حتى ولو كانوا من كانوا من أ صول سامية. كما سنت القوانين لتجرم من ينكرون بعض الأحداث التاريخية مثل واقعة الهولوكوست، أو اعتبار فترة الاستعمار فترة ظلمت فيها الدول المستعمرة من كانوا تحت الاحتلال. فلو أنك قلت أن هناك منتجا معينا محرم شرعا وكان وراء هذا المنتج مؤسسة عالمية كبرى

تتضـــرر مصـــالحها من ذيوع هذا الرأى والاقتناع به، لوجدت تلك المؤســـسـات تجند لها من الباحثين والمفكرين من يقاتل حتى الموت فى ســبيل إبطال هذا الرأى وتفنيده. ولم يتوقف الأمر عند حدود المراقبة والمعاقبة لتعدى المثقفين وذوى الرأى للخطوط الحمراء، ولكنه يتعداه لتوجيه الثقافة لتكون تحت إمرة وفى خدمة مصـــالح وأهواء لذوى النفوذ من الأفراد أو الجماعات أو الدول. وهؤلاء هم من يطلق عليهم جماعات الضغط على متخذى القرار وعلى رموز الفكر والثقافة والمعرفة وهم يهدفون من وراء ذلك إلى توجه الرأى العام والفكر والثقافة بل والتعليم ليؤهل الناس لقبول هذا الفكر أو ذاك. ومما يروق لى أن ا ستدل به فى هذا المقام، ما تراه من ردود الأفعال القوية والجارفة ضد أى مثقف يتناول قضية الهولوكوست بالتحليل أو عرض الوثائق، فهم لا يقبلون من يخالفهم فى الرأى أو يحيد عنه قيد أنملة. أو أن يتعامل أحد مع هذه القضية بقول يخرج عن تعريفها كحقيقة ثابتة لا تقبل الجدل أو فتحها للحوار، فقضـــية الألوهية عندهم مقبول فتح الحوار حولها أما هذه فلا.

أما أخطر وأشد المصاعب وأعصاها وأكثرها تمردا:

فهى ما تقيمه تلك الثقافات العالمية من أســس للتعامل مع الآخر ... تلك هى التى أطلق عليها القرآن فى أول ما نزل من آياته الكريمة:(ثقافة الطغيان والاستغناء عن الآخر) كما قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق]، **فمعظم الثقافات– فيما عدا الثقافة الإســلامية– تقيم قواعد تعاملها مع الآخر على نظرة تجاه الآخر تتسم بالتعالى والحرص على أن تسمو فوق الآخرين** ... فهذه الثقافة اليهودية تجعل من اليهود شعب الله المختار الجدير بكل خير رغم ما قدموه للإنسانية على مر الزمان من ويلات وحروب وفتن ... وهذه الثقافة النازية تقوم على التعالى على الآخرون وبتميز الجنس الجرمانى على من سواه ... وهو نزعات بدأت فى التعالى على الآخرين فى العصــر الحديث بعد أن خبثت فترة إثر هزيمة ألمانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية.

وهناك ثقافات تقوم نظرتها تجاه الآخر على الطمع فى ثروات الآخرين ...

وهناك ثقافات تقوم نظرتها تجاه الآخر على السيطرة على مقدرات الآخرين ...

وهناك ثقافات تقوم نظرتها تجاه الآخر على نهب كرامة الآخرين وحرياتهم واستقلالهم وسيادتهم ...

وهناك ثقافات ترفض أن تسيطر قيم الحق و العدل على تعاملها مع الآخر ...

والخلاصة أن هذه المصاعب كان لها دورها فى الآتى:

أ- تواجد قدر كبير من التباين بين الثقافات المختلفة فى قراءتها للتاريخ وللآخر وتقيم الأحداث التاريخية والأداء الحضارى للإنسان على مر الزمان، بصورة يصعب معها تحقيق التقارب حولها فى معظم الأحيان.

ب- تواجد قدر كبير من التباين بين الثقافات المختلفة فى المعايير الثقافية بين كافة المذاهب فى تقييم الأمور والحكم عليها بالصحة أو الخطأ وتقييمها خيرا أو شرا.

ج- التباين الكبير بينها فى المصالح والتوجهات والغايات والمناهج.

وكان من نتيجة ذلك كله:

أ- تنامى وتعمق الخلافات بين العرب والمسلمين والعالم حول كثير من الموضوعات والقضايا المصيرية، وعدم قدرة العرب على اكتساب تعاطف العالم معهم أو تفهم قضاياهم، الأمر الذى يؤدى إلى صدور الكثير من القرارات المصيرية فى المنظمات والمحافل الدولية لغير صالحهم، وعدم قدرتهم فى الكثير من الأحيان على إقناع العالم بحقوقهم المشروعة وكسب تأييدهم لها أو على الأقل تجنب معاداتهم للمصالح العربية والإسلامية.

ب- تنامى الخلافات العربية العربية والعربية الإسلامية بين الحكومات والشعوب وعدم قدرتهم على تحقيق الانسجام أو التوافق أو التعاون الفعال والقوى فى القضايا الهامة والمصيرية.

ج- صعوبة نجاح الحوار الثقافى الغربى – العربى أو العربى العربى أو الإسلامى الغربى أو وصوله إلى نتائج إيجابية وبناءة، ويرجع ذلك إلى التباين الكبير فى العقائد والثقافات واللغات والتوجهات والغايات.

د- زيادة الصراعات المحلية ونشوب العديد من الحروب الإقليمية والدولية والتى ترجع أسباب نشوبها إلى صعوبة تحقيق التقارب الثقافى بين الشعوب أو تسوية الصراعات بينها بالطرق السلمية.

هـ- تحول العالم إلى عالم متعدد الأقطاب والتحالفات والتجمعات الإقليمية والتى ترجع أسباب قيامها إلى تعدد الثقافات وتباينها فى المقام الأول.

و- وأخيرا صعوبة وصول الحوارات الثقافية بين ثقافات العالم إلى قدر مناسب من التلاقى يليق بهذا الإنسان الذى أكرمه الله تعالى وكرمه وفضله على كثير من خلق، بشتى النعم وبالعقل والفكر والقدرة على الإنتاج الثقافى، وأرسل إليه الرسل لهدايته إلى الطريق المستقيم.

منهج الموسوعة

١- منهج الموسوعة فى التغلب على الصعوبات الثقافية التى واجهت إعداد الموسوعة:

لقد كان لهذه المصاعب أثرها فى تحديد مجموعة من الأسس والاعتبارات التى تمت مراعاتها فى إعداد الموسوعة باعتبارها موسوعة ثقافية إسلامية والتى من أهمها ما يلى:

أ- الأسس المرتبطة بإسلامية الموسوعة:

إن الموسوعة إسلامية فى صبغتها وتظهر هذه الصبغة وتتأكد فى كافة أجزاء الموسوعة، ومما يبين الوجه الإسلامى للموسوعة ويؤكده ويميزه هو قيامها على الأسس الآتية:

(١) أن الله تعالى هو القدوس الذى استحق كل صفات الكمال وهو سبحانه وتعالى منزه عن كل نقص.
والحق لا يكون إلا من الله عز وجل. فالله تعالى هو الحق كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٣٠ ﴾ [لقمان]، وقوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢ ﴾ [يونس]، وقوله هو الحق كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣ ﴾ [الأنعام]، والحق هو ما جاء به رسول الله ﷺ من ربه كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٧ ﴾ [هود] ، **وقوله تعالى:** ﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١ ﴾ [الرعد]، **وقوله تعـــالى:** ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ ﴾ [الكهف] ، **وقوله تعالى:** ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣ ﴾ [يونس]، والحق هو ما أحقه الله تعالى والباطل هو ما أبطله الله تعالى فهو سبحانه هو الذى يحق الحق بكلماته وهو الذى يبطل الباطل كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨ ﴾ [الأنفال].

وهو فى عقيدة المسلمين مطلق الكمال فى العلم والمعرفة والقدرة وفى كافة صفاته. وهو سبحانه وتعالى له المثل الأعلى فى السماء والأرض، وليس كمثله شئ فى أسمائه و صفاته وأفعاله. وتنبع قدسية النصوص من صدق نسبتها إلى الله عز وجل. **والله سبحانه وتعالى هو المرجع وإليه المنتهى، منتهى كل شئ كما قال تعالى:**
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾ [المائدة] ، **وقوله تعـــالى:** ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢ ﴾ [النجم]، لأنه سبحانه وتعالى هو الحق.

(٢) إن محمد رسول الله ﷺ، هو المعصوم الذى عصمه الله عز وجل من الناس كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، فهو معصوم من أن ينطق بما يجانب الحق لأن الله تعالى جعل نطقه وحيا كما قال تعـــالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]، وهو ﷺ لا يتبع إلا ما يوحى إليه من ربه ولا يتبع أهواء الظالمين كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف]، وعصمه حين حفظ القرآن الكريم من التحريف أو التبديل أو نسيان رسول الله ﷺ له كما قال تعالـــى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر]، **وقوله تعـــالى:**

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ الأعلى: ٦، **وقوله تعالى:** ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة].

وقد عصمه الله تعالى ممن حوله من المنافقين وأصحاب المصالح، الذين أضلوا جبلا كثيرا من المشاهير والقادة والزعماء، فغيروا مسيرتهم ووجهوهم إلى ما فيه مصالحهم الشخصية بعيدا عن الحق والعدل، فلم يسـيطر أحد ممن حول رســول الله ﷺ عليه أو يضــله عن جوهر رســالته ودعوته إلى الله تعالى على بصــيرة. وعصمه الله تعالى من المعا صى والذنوب وطهره من كل عيب وآفة ونزهه عن كل نقص. وكمله فى كل شئ، فى إيمانه وخلقه فكان أ سمى وأعلى من كل ما عرفته البشرية من مكارم الأخلاق كما قال تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم] .

وبناءا على هذا وغيره مما لم نذكره، كانت طاعة رســول الله ﷺ واجبة على الأمة، وكانت ســنته واجبة الإتباع، وكان هو ذاته أهلا لأقصى درجات الحب والاحترام فوق كل ما يستحقه سواه من البشر كما قال ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين). متفق عليه، ورواه أحمد والنســائى وابن ماجة عن أنس. وحديث: (والذي نفســي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده). رواه البخارى و أحمد والنسائى عن أبي هريرة.

ومن أجل ذلك كان أسوة حسنة كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، ولما لا، وهو أول المسلمين قدرا وأول من أ سلم سبقا، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام] ، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام]، وأول العابدين كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف]. والرسل

مثل وأسوة لأممهم وحجة عليهم، وهم معصومون فى بلاغهم عن الله عز وجل، ولا يجوز أن نوجه إليهم النقد أو نلحق بهم النقائص أو سوء الأخلاق.

(٣) وكل ما عدا هؤلاء، فهم بشـــر يجوز توجيه النقد إليهم وتقييمهم ومراجعة أدائهم وأخلاقهم والأخذ منهم والرد، والقبول والرفض، على الأسس والمرجعيات السابقة.

والأصل فى ذلك قول رسول الله ﷺ: (كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون). رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة والحاكم في المســتدرك عن أنس.وحديث:(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون) أخرجه الترمذي واستغربه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس.

ولا يجب أن يتعدى النقد لفكر ومعتقدات وأخلاق وأفعال وسلوك البشر حدود النقد إلى السب أو الذم. فليس منهجنا هو السب أو التجريح أو التشهير، خاصة بالرموز والمرجعيات، بل يقتصر دورنا على تقييمه بمعايير الإسلام وبيان ما فيه من خطأ وصواب وخير و شر وحق وباطل. ونحن نجرم الفعل المجرد دون أن نتعدى ذلك إلى الحكم على فاعله.

(٤) والأديان عندنا هى الأديان السماوية الكتابية التى بعث الله تعالى بها رسله لهداية الناس إلى الحق. أى أن الأديان السماوية هى الأديان التى تشهد لله الواحد الأحد بالربوبية وتتسم بربانية المصدر والمنهج والغاية والتوجه والمرجعية وأن يكون قد بلغ بها عن الله عز وجل رسول مبعوث من الله عز وجل إلى الأمة محل الدعوة أو الرسالة. ويخرج بهذه الشروط عن مسمى الدين كافة المعتقدات والمذاهب البشرية أو الوضعية فهى ثقافات لا قدسية لها وليست من الأديان السماوية فى شئ. وأهل هذه الأديان السماوية هم من يسميهم الله عز وجل فى القرآن الكريم بأهل الكتاب. وتنصرف الأديان السماوية فى عصرنا هذا – والتى سبقت بعث محمد ﷺ بدين الإسلام – إلى ما أنزل الله تعالى على موسى وعيسى عليهما السلام وهما اليهودية والنصرانية باعتبارهما يمثلان ديانات الغالبية العظمى من أهل الكتاب. والأديان الكتابية وكل ما أنزل الله تعالى من التعاليم والقيم إنما أنزلها لهداية الناس أو الأمم التى بعث الله تعالى إليها رسله وأنزل عليهم الوحى من الله عز وجل. وكل ما أنزل الله تعالى على رسله من الوحى هو حق وصدق وواجب الاحترام فكيف لا نؤمن بما أنزل الله تعالى على رسله وكيف لا نصدقه ولا نحترمه !!!. قال تعالى: ﴿ **قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦** ﴾ [البقرة]، **وقوله تعالى:** ﴿ **قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤** ﴾ [آل عمران] .

أما المتدينون فهم بشـــر يقيمون وينقدون ويخطأون ويصـــوبون طبقا لما كان عليه أداؤهم من موافقة أو مخالفة ما أنزل الله تعالى على رســـله. فهناك إذن فارق بين الدين وســـلوك أتباعه وهو ما نســـميه التدين. والقرآن الكريم حافل بنقد إيمان وأخلاق وسلوك أهل الأديان السابقة أو أهل الكتاب وخاصة اليهود والنصارى، فالقرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه. والمسلمون شهداء على الأمم التى سبقتهم ورسولنا محمد ﷺ شهيد علينا كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة]، ويكون الحكم على الدين من خلال نصوصه التى نزلت فى كتاب هذا الدين أو على نبيه عليه السلام. **ونعتبر أن الأمر من الدين إن ثبت ورود هذا الأمر فى نص من نصوص الكتاب أو على لسان النبى فى خبر صحيح عنه.** وعلى هذا فنحن لا نقبل أن ينسب إلى الدين (أيا كان هذا الدين) فضل أو نقيصة لم يرد فيها نص فى كتابه أو عن نبيه كما لا نقبل أن ينفى عن هذا الدين فضل أو نقيصة ثابتة فى نصوصه من الكتاب أو عن رسوله. أما الحكم على أهل هذا الدين أو ذاك فيكون بناء على أقوالهم أو أفعالهم أو أخلاقهم والتى إن وافقت نصـــوص الدين كان الدين مسئولا عنها، وإن خالفته كان أصحابها مسئولين عنها وكان دينهم منها بريئا. والأديان السماوية جميعا تقوم على توحيد الله عز وجل أما الشـــرك فهو دخيل على الأديان، والمشـــركون نجس كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [التوبة] ، **وهذا يؤكد مبدأ إســـلاميا هاما وهو أنه لا قدسية لمشرك، وأن الشرك نجاسة تذهب بقدسية وطهارة وقدسية ما تلوث بها سواء أكان ذلك فكرا أو كتابا أو شخصا أو فئة أو أمة.**

(٥) وأن الحق هو الأساس الذى تقوم عليه الموسوعة وهو الذى بيناه فى موضعه من الموسوعة بأدلته وبراهينه ولكننا نقتطف هنا خلاصته وهى:

« بين القرآن الكريم أن الله تعالى هو الحق وأن الحق هو الأســـاس الذى خلق الله تعالى به الســـماوات والأرض وهو الذى بعث به الأنبياء والرســـل ليحكموا بين الناس بالحق. وبين القرآن الكريم أن الحق هو كلام الله تعالى وقوله وكل ما أحقه الله تعالى بكلماته وكل ما جاء من عند الله من كتاب أو وحى.

فالحق هو ما أنزله الله تعالى على أنبيائه ورسله أو أنزله إليهم. والحق هو ما أنزله الله تعالى على نبيه ورسوله محمد ﷺ من القرآن والوحى وهو الهدى ودين الحق المصدق لما أنزله الله على الأنبياء والرسل من قبله من كتاب أو وحى، ليحكموا به بين الناس بالحق. والحق هو ما أنزله على موسى عليه السلام من التوراة والوحى وعلى عيسى عليه السلام من الإنجيل والوحى وما أنزله الله تعالى على سائر الأنبياء والرسل أو إليهم.

وكل دين أو معتقد أو مذهب أو فكر يخالف ما أنزله الله على رسله من الحق هو كفر أو غلو أو ظن جاهلية لأنه مخالف للحق.

وكل حكم بغير الحق كفر أو فسوق أو خروج عما أمر به من الحق وهو فى جميع أحواله ظلم للمتخاصمين لأنه لا يحقق العدل كما أمر به الله تعالى. فالعدل لا يتحقق إلا إذا كان الحكم قائما على معايير الحق.

(٦) والموسوعة تحترم العقل الإنسانى وتؤكد على دوره العظيم فى حياة الإنسان والذى باختلاله تتسم علوم ومعارف الإنسان وتقييمه للأمور وأخلاقه و سلوكياته وتصرفاته بالجنون والغوغائية وعدم العقلانية. ولكننا نؤكد على أن العقل الإنسانى يحسن ويبدع وينفع ويوجه الإنسان إلى الاختيار الصحيح بين البدائل التى يتعرض لها فى حياته، ويكون كل ذلك مؤكدا فى نتائجه الطيبة وحسن عواقبه إن أحسن وضع العقل فى موضعه الصحيح وكلف بما يطيق ورفع عنه ما يقيد فكره وحرية اختياره أو ما يكرهه على اختيار أمر دون سواه، ويتطلب ذلك أن تعرض عليه كافة الاتجاهات والحقائق بأمانة دون تزييف أو تشويه أو تضليل أو إخفاء لبعضها دون بعض. فضلا عن صيانة العقل وحفظه من كل ما يذهب أو يضعف قدرته على التفكير السليم الراشد أو يوهن قدراته العقلية من داء أو مرض أو مسكر أو نحو ذلك.

ب- أما الأسس المرتبطة بكون الموسوعة موسوعة ثقافية فهى:

الموسوعة ذات طبيعة وصفة ثقافية وصبغة إسلامية فى رسالتها وهى تستقى ذلك مما جاء به محمد رسول الله ﷺ مبلغا عن ربه من الهدى ودين الحق، دون أى صفة سياسية بمعنى أنها ليست منبرا لطائفة أو فئة أو جماعة ولا تنتمى أو تعبر عن فكر طائفة أو جماعة. كما أنها أيضا ليست موجهة ضد فكر فئة أو طائفة أو جماعة. وهى ليست موجهة ضد أهل ملة أو دين من الأديان السماوية، بل هى تقوم على ما أكدناه مرارا من احترام الأديان السماوية وإعطاء رسل الله وماجاؤا به من الحق ما يستحقونه من الإيمان بهم والاحترام لهم ولرسالتهم التى جاؤا بها لهداية البشرية، وإن اختلفنا مع فهم أتباعهم من البشر الذين ورثوا عنهم القيم وصبغوها بصبغتهم. فنحن نتفق معها بقدر اتفاقهم مع ما جاءت به رسلهم من الحق، ونختلف معهم بقدر ما اختلفوا به عما جاءت به رسلهم من الحق. كما أن الموسوعة بهذه القراءة والرؤية الثقافية التى تقوم عليها، وما تعرضه من مقارنات بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات لا تنصب نفسها حكما بين الثقافات أو المذاهب أو الشعوب أو الأديان بل تعرض مادتها العلمية بصورتها المجردة فى كثير من الأحوال عن إصدار الأحكام.

منهج الموسوعة فى التعامل مع النصوص:

تقيم النصوص الدينية والثقافية فى هذه الموسوعة طبقا لمجموعة من المعايير **والتى تتلخص فى الآتى:**

أ- النصـوص التى تتحدث عن الذات الإلهية أو تتعرض للعقائد والغيبيات، فلا تثبت إلا إذا ثبتت صـحة نسـبها لله تعالى كنص من عند الله عز وجل فى كتاب سـماوى منزل على النبى أو الرسـول أو كوحى سـماوى للرسول أو النبى من الله عز وجل. وترد النصوص فى حالة عدم ثبوت صحة نسبتها إلى الله عز وجل كوحى سماوى. وترد النصوص المنسوبة إلى الله عز وجل والرؤى الثقافية أو الدينية إذا كانت تتنافى مع كمالات الله عز وجل أو تتضمن صفات نقص لا تليق بالله عز وجل.

ب- أما النصوص التى تتضمن أحداثا تاريخية فيلزمها توثيق الأخبار وصدق الرواية والنقل.

ج- والنصوص التى تتناول قضايا علمية أو كونية يلزمها عدم التعارض مع الحقائق الكونية الثابتة.

د- والنصوص التى تتناول قضايا أخلاقية يلزمها ألا تقر بالفواحش ما ظهر منها و ما بطن، وألا تتضمن ما يتنافى مع مكارم الأخلاق.

هـــ- والنصوص التى تتحدث عن المثل والرموز والتى من أهمها الأنبياء والرسل، يلزم لقبولها ألا تشوه هذه المثل أو تلصق بها التهم والنقائص التى تشوه حقيقتها.

و- والنصـوص التى تتحدث عن المسـتقبليات يلزمها أم تتحقق نبوآتها فى كل حدث يأتى زمانه و تتحقق شروط ميلاده.

ز- والنصوص التى تقوم عليها الشرائع ينبغى ألا تحيد عن تفعيل قيم الحق والعدل والحرية والرحمة من خلال نصوص الشرائع. والنصوص التى تشرع العبادات تكون مقبولة إذا كانت تتوجه بالعبادة لله وحده دون سـواه من خلقه. وأن تكون الغاية منها التواضـع والخضـوع لله تعالى، وان تكون ثمرتها فى تطهير النفس الإنسانية من الآفات الظاهرة والباطنة.

و- وبوجه عام ينبغى ألا تتعارض النصـوص أو تتناقض فيما بينها أو مع صـريح وواضـح المعقولات أو ثابت المنقولات (وهى النصوص الربانية التى ثبتت صحة نسبتها إلى الله عز وجل و إلى رسوله الكريم) أو الفطرة السليمة.

٢- منهج الموسوعة فى التعامل مع الآخر: ويقوم على مجموعة من المبادئ والقيم التي أكدتها الموسوعة وهي قيم التعارف والحوار من أجل التقارب وقبول الآخر واحترام حرية الدين والاعتقاد دون إكراه. كما تؤكد على التعاون ضد أعداء الإنسانية لبناء السلام القائم على العدل واحترام حقوق الإنسان وعدم العدوان ودعم التعاون من أجل التنمية المستدامة وفي كافة المجالات.

٣- منهج الموسوعة فى البحث العلمى:

البحث هو عملية منظمة تهدف إلى التوصـــل للحقائق أو إلى حلول لمشــكلات محددة، أو إجابة عن تساؤلات معينة باستخدام أساليب علمية محددة، يمكن أن تؤدي إلى معرفة علمية جديدة، والتوصل من كل ذلك إلى نتائج جديدة.

وبصـفة عامة توجد أربعة مناهج أسـاسـية للبحث العلمى هى: المنهج التجريبى لدراسـة الظاهرة، والمنهج الوصفى التحليلى لوصف الظاهرة، والمنهج التاريخى لتتبع الظاهرة، والمنهج المتكامل المستخدم فى البحوث التطبيقية هذا بالإضافة إلى بعض الطرق البحثية غير المنهجية مثل الطرق الإحصائية وطرق المحاولة والخطأ.

وتختلف الطريقة العلمية المســتخدمة في العلوم الطبيعية عن الطريقة التي تســتخدم في مجالات العلوم الاجتماعية، خصوصاً في درجة الدقة لاختلاف الظواهر في كل منهما، وهناك صعوبات تحول دون التطبيق الكامل للمنهج العلمي في العلوم الاجتماعية والســلوكية منها: ما تتصــف به الظواهر الاجتماعية بالتعقيد والتشابك، وصعوبة ملاحظتها بدرجة عالية من الدقة فضلا عن ضبطها وقياسها قياساً موضوعياً.

وإســلامية المنهج تؤكد على التزامه بالقيم الإســلامية وهى قيم الحرية والحق والعدل والرحمة والالتزام بمكارم الأخلاق.

وهذا المنهج قد تأكدت صحته على مر الزمان ... ووجد دليل صدقة مع من استعان به، ومن استهان به على حد ســواء ... فكل المجتمعات الغربية التى قامت أنظمتها على قيم الحرية والحق والعدل والرحمة، قد نجحت فى إقامة حياة ميسره لأبنائها وقويت شوكتهم ضد أعدائهم رغم عدم دخولهم فى الإسلام كدين ... أما الذين رغم دخولهم فى الإسلام كدين استهانوا بما لديهم من قيم الإسلام، قد صارت حياتهم جحيما لا

يطاق من كثرة ما عانوا من الفتن والخلافات والصراعات لأتفه الأ سباب، حتى أدى ذلك إلى انفراط عقد كرامتهم وضياع هيبتهم بين الأمم، وجعلهم فريسة سهلة و منهبة لأعدائهم.

وقد التزمنا فى منهجنا بما اشترطه العلماء فى المنهج العلمى والتى من أبرزها:

(الأول) : التحديد والوضوح.

<u>(الثاني) : ملائمة المنهج لموضوع البحث:</u>

وهو من أبرز مميزات المنهجية الإ سلامية والتى تجعل لكل مو ضوع من المعرفة منهجاً ينا سبه، فالبحث في الطبيعة واكتشـاف السـنن والقوانين الإلهية في الظواهر الطبيعية يلائمه المنهج التجريبي، والبحث في اسـتنباط الأحكام وتقعيد الضـوابط الشـرعية يلائمه المنهج الاسـتدلالي، والبحث في إثبات الأخبار والروايات يلائمه المنهج التاريخي. أما البحث فى الغيبيات فيعتمد بصـفة أسـاسـية على نصـوص الوحى وخبر السـماء الصـادق، والذى يكون التصديق به هو أساس الإيمان.

ويؤدى عدم مراعاة التنا سب بين المنهج والمو ضوع إلى فساد كبير في النتائج التى يتو صل إليها الباحث، فعندما حكّم أصحاب الاتجاه المادي المنهج التجريبي المادي – والذي مجاله علوم الطبيعة والمحسوسات – في قضايا ما وراء المادة وقضايا الإيمان والغيبيات، رأينا أصحاب هذا الاتجاه ينكرون الغيبيات ويحصرون العلم فيما يخضع للحس والتجربة.

(الثالث) : أن يكون متناسباً مع طاقة العقل وفي حدود قدراته:

وهو ما يميز المنهجية الإسلامية عن المنهجيات الأخرى لأن الإسلام لا يريد أن يبدد طاقة العقل دون فائدة، أو أن يزج بالعقل في مجالات من البحث تكون فوق قدراته مما يجعله يتخبط ولا يصـل إلى نتائج علمية صـحيحة، ولذلك حظر الإ سلام على العقل الخوض فيما لا مجال له فيه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، لأنها من جوانب المعرفة التى تكون فوق طاقته مثل البحث في كنه الذات العلية أو البحث فى الغيبيات خارج نطاق النصوص الصحيحة، والبحث عن جوهر وحقيقة الروح، أو وقت قيام الساعة، لأنها مما اسـتأثر الله بعلمها، كما أوضـح رب العزة فى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء] .

وقد استخدمنا فى هذه الموسوعة منهجين أساسيين للبحث هما:

أ- المنهج الوصفى التحليلى:

وقد استخدمنا المنهج الوصفي فى دراسة المشاكل من جميع جوانبها. وفي تصوير الوضع الراهن وتحديد العلاقات التي توجد بين الظواهر والاتجاهات من جميع جوانبها طريق وتعقب العلاقات بين الحقائق وعدم الاكتفاء بجمع المعلومات عن الوضع القائم. وتفسير الظواهر العرضية، تفسيراً يستند على التحليل والتركيب ومستخدماً أسلوب قياس الغائب على الشاهد من ناحية، واستقراء الحوادث العارضة في المشاهدة للتوصل إلى أحكام عامة.

ب- المنهج التاريخى:

واعتمدنا فيه على جمع الحقائق والمعلومات من خلال:

(١) دراسة وفحص الوثائق والسجلات والآثار، لدراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي حدثت فى الماضى القريب والبعيد، نقد النصوص ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف، كما أن دراسة طرق التحقيق التاريخي. وقد اعتمدنا فى وثائقنا على المراجع الإسلامية والتى على رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومقولات من اشتهروا من أهل العلم من آل البيت والصحابة و كبار علماء المسلمين.

(٢) دراسة الظواهر الحاضرة من خلال الرجوع إلى نشأة هذه الظواهر والتطورات التي مرّت بها على مر الزمان والعوامل التي أدّت إلى وصولها إلى شكلها الحالي.

(٣) تحليل الأحداث التاريخية، وفحص الوثائق، مسترشدين فى ذلك كله بما ورثناه عن علماء المسلمين من نتاج رائع فى هذا الشأن.

وقد راعينا فى الموسوعة الالتزام قدر الإمكان بأصول البلاغة:

كما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾** ﴾ [النساء]، و**البلاغة هى مراعاة الحال اى حال المتلقى الثقافية والنفسية والمادية وغيرها:** ولهذا فقد راعينا أن يكون الحديث إلى القارئ بلغة سهلة ميسرة تتجنب التعقيد آو الغريب من الألفاظ أو العبارات قدر المستطاع تأسيا بقوله ﷺ فى الحديث الشريف: (ما أنت محدث حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة). رواه ابن عساكر- عن ابن عباس.وحديث: (أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم). رواه الديلمي، عن ابن عباس. وحديث: (عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يا ابن عباس لا

تحدث حديثا لا تحمله عقولهم فيكون فتنة عليهم). رواه الديلمي.

تقسيم الموسوعة :

وقد تم تقسيم الموسوعة إلى مقدمة وخمسة محاور كالآتي:

أ- المقدمة:

وهذه المقدمة تقدم للموسوعة و تمهد لها وتبين أهم ملامحها ولا تعتبر بديلا عنها. وعنوانها: (دعوة للسلام والأمن والتعاون على البر والتقوى)

وقد تم تقسيم تقسيم موضوعات الموسوعة إلى المحاور الخمسة الآتية:

المحور الأول:

وفيه تقدم الموسوعة الإسلام دينا وثقافة وقيما ومنهج حياة يفعل القيم فى حياة الإنسان ...

المحور الثانى :

وفيه تعرفنا بالأنبياء والرسل وخاتمهم ودعواتهم التى جاءوا بها لخير الإنسانية وتختم بدعوة سيدنا محمد ر سول الله ﷺ، وتلقى الضوء على حقيقة وجوهر دعوته التى تقوم على أنه إنما جاء رحمة للعالمين، وأنه جاء ليحقق السعادة فى الدنيا والآخرة لمن آمن به واتبع هداه وتبين الدليل على صدق رسالته ودعوته وصدق بلاغه عن رب العالمين.

المحور الثالث :

وفيه تقدم المو سوعة قراءة ثقافية إ سلامية للإنسان والكون والحياة تقوم على فهم لها من خلال دور القيم فيها ...

المحور الرابع :

ليملأ دنياه رحمة وآخرته سعادة من خلال إعلاء شأن القيم وتفعيلها فى حياته.

المحور الخامس :

وفيه نتقدم من خلال الموسوعة بدعـــوة قيمة وذات صبغة إسلامية ... دعوة إلى الله عـــلى بصـــيرة .... دعوة تحرر الإنسـان من أغـلاله لينطلق نحو غايته السامية التى خلقه الله تعالى من أجلها ، ليملأ دنيـاه رحمة وآخرتـه سعادة.

المقدمة

أبدا تقديمى للمو سوعة بالحمد لله رب العالمين والـصلاة والـسلام على سيد المر سلين وآل بيته الكرام المباركين والدعاء بالخير لى ولأهلى والمسلمين أجمعين...

اللهم لك الحمد كما أنت أهله، فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله بما هو أهله، وآتنا ما أنت أهله، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله بصلاتك عليهم من ابتداء الدنيا إلى يوم الدين.

وصل على سيدنا محمد وعلى آله بصلاة ملائكتك وعبادك الصالحين من ابتداء الدنيا إلى يوم الدين...

اللهم إنى أسـألك وأدعوك بكل دعاء خير أذنت لنا به فى كتابك أو أوحيت به إلى نبيك ورسـولك الكريم سيدنا محمد ﷺ أو إلى أنبيائك ورسلك أو ألهمت به عبادك الصالحين من ابتداء الدنيا إلى يوم الدين...

أما بعد :

فقد بدأت فكرة إعداد هذه المو سوعة الثقافية الإ سلامية منذ فترة طويلة بعد عودتى من فرنسا فى صيف عام ١٩٩٨م، وقد كانت هناك العديد من الأسـباب التى دعت للتفكير فيها والتى كان من أبرزها تلك الحملات المسعورة الموجهة بعمق وحمق ضد الإسلام والمسلمين وتركيزها على رمزهم وأسوتهم الحسنة سـيدنا محمد ﷺ والأعجب فى هذه الحملات مجانبتها لما يدعى الغرب الحرص عليه من العقلانية والمنهجية العلمية والإنصاف خاصة فى مسائل الخلاف، وكان منها أيضا ما أصاب العرب والمسلمين من التنازع والتفرق الذى لا نظير له ولا مبرر له فى دين المسـلمين أو ثقافتهم التى أفرزها هذا الدين أو تاريخهم الذى ورثوه على مر الزمان.

وقد أصـبح البون شـاسـعا بين الظروف الإقليمية والعالمية التى بدأت فيها كتابة الموسـوعة وبين تلك الظروف التى واكبت الانتهاء منها ...

لقد شهد نصف القرن المنصرم تغيرات حادة فى كافة المجالات ...

لقد اكتشف العلماء مالا يحصى من أسرار الكون التى خفيت عن الإنسان دهورا طويلة ...

لقد استطاع الباحثون فى مجالات الطب والعلاج والوراثة فى التوصل إلى اكتشافات عظيمة وتطبيقات فريدة خاصة فى مجالى الأحماض النووية والخلايا الجذعية وعلاج الأمراض المستعصية وتطوير جراحات القلب والمخ وعلاج السرطان وغيرها ...

وأدى تطور الحاسبات ونظم المعلومات والاتصالات على طفرات فى كافة المجلات العسكرية والمدنية والتى كان من أبرزها شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والتى ربطت العالم كله بخيرة وشره، وفتحت آفاقا جديدة للعلاقات بين الدول والشعوب والمنظمات والأفراد.

لقد غير العلم فكرة الإنسان عن الكون وعن أسراره الخفية، ولكنه فى مجالات أخرى غاية فى الأهمية قد عجز عجزا لا يقل فى حجمه عن حجم النجاح الذى حققه فى تلك المجالات ...

فمن العجيب أنك تصاب بالدهشة أمام عظمة الإنجازات فى مجال العلوم النظرية والتطبيقية والتكنولوجيا، تجد نفسك مصابا بدهشة اشد أمام فشل الإنسان الذى لا مبرر له ولا مثيل له فى مجالات أخرى لا تقل عنها أهمية.

لقد عجز الإنسان أمام تزكية النفس الإنسانية وتطهيرها من شرورها.

وعجز الإنسان عن تحرير نفسه من أغلالها التى قيدتها دهورا طويلة.

وعجز الإنسان عن تفعيل القيم فى كافة مجالات الحياة وأن تكون القيم هى الموجه لسلوكه مع نفسه وأهله ووطنه والعالمين أجمعين.

لقد فشل الإنسان عندما دخل فى مجالات تحتم عليه أن يتعامل مع الآخر المختلف عنه فى الثقافة والدين والمصالح ...

هنا فقط ظهرت أنانيته وحبه الخير لنفسه وعدم العدالة فى الحكم على الآخرين...

وقد بلغ هذا الأمر والظلم أشده مع المسلمين درجة فاقت كل ما كان مع غيرهم ...

لقد أصبحت بلاد المسلمين أراض لأبشع المجازر التى يقترفها الغرب المسيحى واليهود الصهاينة فى فلسطين والبوسنة والعراق وأفغانستان و غيرها.

وأصبحت بلاد المسلمين – خاصة العراق – مقابر لدفن أخطر النفايات السامة والمشعة بلا رحمة أو هوادة ومن أمم فقدت أدنى درجات الرحمة والإنسانية...

إن الذين قرأوا واكتشفوا أدق أسرار الكون عجزوا عن قراءة هذا الدين الحنيف وفهم مرجعياته فهما صحيحا واكتفوا فى تقييمه بالوقوف عند ما كتبه عنه الحاقدون والجاهلون والظالمون، وصاروا يتناقلون ويتوارثون أكاذيبهم وافتراءاتهم وجهلهم وظلمهم وسوء أخلاقهم جيلا بعد جيل، دون أن يتنبه منهم رجل رشيد إلى تحقيق ما سمعه أو تدقيق ما قرأه، وصاروا فى دأبهم هذا كدأب من يعلمون الناس الخرافات العلمية القديمة التى ثبت كذبها و زيفها، كقولهم أن الشمس هي التى تدور حول الأرض وأن الأمراض ترجع إلى أرواح شريرة ويظنون أنهم يعلمون الناس علما.

ومن العجيب أن يقع فى مثل هذه الأكاذيب والافتراءات حبر الكنيسة الكاثوليكية الأعظم فى خطابه الشهير والذى تناول فيه الإسلام ورسوله الأعظم تناولا يفضح جهله وجهل من علموه هذا الدين...

والأعجب من ذلك، أن صاحب هذا الخطاب وأتباعه يجمعون فى دينهم بين العهد القديم (الذى يعلمون من كتبوه بايديهم) وبين ما سجلوه فى الأناجيل دون أن ينبهوا إلى المتناقضات التى لا حصر لها بينهما خاصة فى العقائد ...

رسالة محمد ﷺ هى الرسالة العظمى والتحول الأعظم فى التاريخ :

لقد جاءت رسالة محمد ﷺ أعظم وأكمل رسالة للعالمين وأعظم نقلة دينية وثقافية وحضارية فى التاريخ وكان من عظيم فضل الله تعالى أن بعث سيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين وأن يجعله ﷺ خاتم المرسلين الذى لا نبى بعده إلى يوم الدين، وأن يجعل فى هذه الرسالة الخاتمة ما يغنى البشرية عما سبق من رسالات ودعوات الحق والخير، وأن يجعل ما فى هذه الر سالة مكتفيا بذاته عما سواه، وممتدا فى فائدته وحـ سن أثره إلى يوم الدين ...

وهو رسول أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وسعادة للمتقين ...

والرحمة والعذاب طرفا نقيض لايجتمعان أبدا بل ينتفى أحدهما بوجود الآخر، كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد].

أما السعادة فهى انتفاء الشقاء والسعادة والشقاء **طرفا نقيض لا يجتمعان أبدا وينتفى أحدهما بوجود الآخر.** كما قال تعالى لآدم وزوجته فى الجنة ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ [طه] . **فبين قوله تعالى أنه مما يتعارض مع السعادة فى الدنيا هو ما يعانيه الإنسان من جوع وعطش وعرى ... والعرى هو فقد الإنسان لما يتقى به الأخطار أو ما يتجمل به أو بستر به عيوبه وعوراته.**

والسعادة لا تتحقق بصورتها التامة الكاملة إلا فى الجنة-جعلنا الله من أهلها-**، أما الشقاء التام فلا يتحقق إلا فى النار وهذا هو ما بينه القرآن الكريم** فى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود].

اقرأ و مبادئ لعصر جديد :

لقد كان دين الإسلام بصورته الكاملة التامة التى جاء بها سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، فاتحة لعصر جديد للعالمين أجمعين ...

عصر بدأ العلم فيه يلعب دورا كبيرا فى تغيير حياة الإنسان وفى تطوير حياته الخاصة والعامة.

لقد أصبح عصر العلم بداية لتطوير وسائل النقل والمواصلات والاتصالات، والكشف عما أخفته الأرض والبحار من أسرار وخيرات، كالمعادن ومصادر الطاقة ...

ومع هذا التطور العظيم بدأت الأطماع، أطماع الأغنياء فى الفقراء، وأطماع الأقوياء فى الضعفاء ...

وقد دفعت تلك الأطماع القوى الكبرى إلى السيطرة على مراكز الطاقة والثروة وإلى السيطرة على أسواق تصريف المنتجات الصناعية الهائلة ...

وبدأت تطور من قواتها العسكرية لفرض إرادتها وحماية مصالحها بالقوة ...

وقد انعكست كل سمات هذا العصر على إيمانه وإرادته و سلوكه وأخلاقه، لأن هذا الإنسان قرأ الكون وما فيه من نعم عظيمة قراءات إلحادية أو شهوانية يوجهها الهوى والمصالح الأنانية ...

وكانت هذه القراءة هى التى وجهت رؤية الإنسان وتوجهاته وأداءه

وجهة شابها الظلم والضلال والجاهلية وسوء الأخلاق ...

وكان لابد لهذه القوة الطاغية من كابح لجموحها، يروضها ويوجهها إلى ما فيه الخير للإنسان، ويقف أمام توجهاتها للشر والفساد ... فالإنسان الغنى القوى طاغية إن لم يكن له ما يكبح جماحه ويقيد طغيانه ويوجه أداءه إلى الخير لا الشر ...

لهذا جاء الإسلام وكان أول ما نزل من كتابه الكريم قوله تعالى:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق].

لقد جاءت هذه البداية أعظم بداية عرفها التاريخ، لأنها كانت البداية لأعظم رسالة جاء بها أعظم رسول عرفه العالمون على مر التاريخ هو محمد رسول الله ﷺ...

لقد جاءت هذه الآيات العظيمة من سورة اقرأ فى أول ما نزل من القرآن بأعظم الأسس لتوجيه الإنسان دينا وثقافة و أداء ...

فكان التوجيه الأول هو ربانية القراءة ... وهو أن يقرأ الإنسان باسم ربه الذى خلق ... يقرأ باسم ربه الخالق تاريخ الإنسان ويقرأ ما حوته الأرض والسماء من أسرار وخيرات ونعم ... يقرأ ليعرف خصائص ما خلق والحكمة من الخلق فيوجه تعامله مع الكون إلى التعامل الصحيح المبنى على العلم والمعرفة بما يفيد الإنسان و يوجهه إلى الخير ويمنع الفساد فى الأرض ... ويقرأ تاريخ الإنسان باسم ربه الحق العدل ... فيحرص على معرفة حقائق الأمور، ويحرص على أن يعدل فى حكمه وتقييمه للأمور ... فلا يزيف الحقائق ولا يظلم أحدا ... وأن يتجنب البحث عن السعى لتحقيق مآرب دنيئة خبيثة مثل السيطرة على الآخرين أو الطغيان أو الظلم.

وهى دعوة ليقرأ الإنسان نفسه البشرية باسم ربه ليعرف كوامن أسرارها ومواطن الخير والشر فيها فيزكيها من شرورها ويقوى جوانب الخير فيها.

وكان التوجيه الثانى هو أن يدرك كرم ربه عز وجل فهو الذى أكرم الإنسان بالعلم، وإعطائه القدرة على التعلم، فعليه أن يحافظ على هذا التكريم وأن يحسن الإفادة منه و أن يوجهه لما فيه خير الإنسان.

وجاء التوجيه الثالث تحذيرا للإنسان من عواقب طغيان الا ستغناء فالإنسان إن ترك لبشريته و نفسه دون توجيه قيمى، دفعه غناه عن أخيه الإنسان إلى الطغيان والاستكبار ...

وفى التوجيه الرابع أكد القرآن الكريم على أحد الحقائق والثوابت العظمى للدين والحياة وهى أن الإنسان راجع إلى ربه شاء أم أبى علم ذلك أو جهله وأنه محا سب على أدائه فى الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر ...
فليفطن إلى ذلك كل جبار وظالم وطاغية ظلم شعبه أو بنى وطنه أو غيرهم من بنى الإنسان أو أفسد فى الأرض أو نهب أموال وثروات الشعوب ظلما وعدوانا سوف يحاسب على ذلك حسابا عسيرا ...

وفى التوجيه الخامس يؤكد رب العزة على حرية العبادة لله تعالى ويحذر من تـ سول له نفـ سه ان يمنع الناس من عبادة ربهم بأشد العقاب ...

لقد تم هذا الدين واكتمل بالعقائد والشــرائع والقيم والتوجيهات الربانية العظيمة التى نزلت لتوجه ثقافة الإنســان وأداءه فى الأرض أفضــل وأطيب وأرحم وأكمل توجيه ليناســب فترة آخر الزمان وما حوته من خصائص تباينت عما سبقها من عصور ... جاءت لتناسب عصرا زادت فيه وسائل الاتصال الربط بين أجزاء المعمرة حتى صارت قرية صغيرة، وأ صبح من المـ ستحيل أن تنعزل أمة عن سائر الأمم، وأ صبح التعاون بينها أمرا ضــروريا فكان لابد أن تكون القيم الجديدة تلائم عالمية الثقافة والتى كان مولدها الحقيقى مع بعث محمد رسول الله ﷺ، والتى جاء الإسلام بعقائده وشرائه وقيمه ومبادئه ملائما لتكيل ثقافة هذا العصر الجديد...

لقد جاء التوجيه القرآنى رحمة للعالمين:

إنه التوجيه الأول والأعظم للإنسان ... وهو توجيه دينى ربانى من رب العالمين إلى العالمين الذين أرسل إليهم محمد رسول الله ﷺ رحمة مهداة ... إنه توجيه علمى معرفى ...

وتوجيه إيمانى ... وتوجيه ثقافى لثقافة الإنســان إلى يوم الدين ... وتوجيه أخلاقى ... وتوجيه حضــارى يوجه الأداء الحضارى الإنسانى ويصبغه بالصبغة الربانية الى تليق بكرامة الإنسان ...

إنه توجيه دينى بعيد حقائق الدين إلى أصولها النقية التى قامت عليها ملة إبراهيم عليه السلام والتى قامت على التوحيد الخالص لله تعالى وإسلام الوجه له.

إنه توجيه ثقافى يوجه الثقافة توجيها ربانيا فى عهد جديد يشــرق على العالمين مع بعث محمد رســول الله ﷺ خاتم الأنبياء و المرســلين ... إنه توجيه النبى العاقب الذى لا نبى بعده، لذا كان لابد أن يتســم بالتمام والكمال الذى لا يحتاج إلى نبى بعده يستكمل ما ينقصه أو يستدرك عليه ما فاته أو يصحح له ما أخطأ فيه ...

وكان لابد أن تتسم مرجعياته بالصلاحية والطهارة والاستقرار وعدم التبدل أو التحريف على الدوام و إلى يوم الدين ...

إنها الصلاحية لكل جنس الإنسان وليس لفئة أو جنس أو شعب دون سواه من البشر، لأنه جاء رحمة للعالمين وليس لتمييز شعب على حساب باقى الشعوب أو إعطاء ميزة لفئة من البشر دون باقى البشر حتى لأنه جاء ليبدأ عهدا جديدا يجعل كرامة الإنسان على قدر تقواه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

وهذه الصلاحية ليست قاصرة على فترة زمنية بعينها تفقد بعدها جوهرها أو رونقها أو حاجة الناس إليها ... ولكنها صـــلاحية عابرة بصـــلاحيتها وجمالها وكمالها وحاجة الناس إليها فوق كل ذلك، أنها ثقافة ربانية عالية تعالت فوق كل ذلك، تعالت على الزمان لأنها ثقافة من خالق للزمان، وتعالت على المكان لأنها من خالق المكان، وتعالت على الإنسان لأنها من رب الإنسان ...

وكان لابد أن تكون قيم الإسلام على هذا القدر من العلو والسمو لأنها جاءت لتعلو وتسمو به فوق كل ما يحط به ويغرقه فى مستنقعات الرذيلة والشهوات والظلم وسوء الأخلاق ...

كان لابد أن تكون قيم الإسلام ومبادئه ومرجعياته من كتاب وأسوة فى رسول الله ﷺ أعلى وأسمى وأطهر لأن فاقد الشئ لا يعطيه ...

إن النجس فاقد الطهارة المادية أو المعنوية لا يطهر ما سواه ...

والكافر والمشرك فاسد الإيمان لا يعلم الناس الإيمان الحق الصحيح...

وفاقد مكارم الأخلاق لا يعلم الناس مكارم الأخلاق ...

وفاقد الرحمة غليظ القلب لا تلتمس عنه الرحمة ...

وفاقد القيمة لا يرجى من ورائه قيمة ...

و فاقد المجد لا يرجى من ورائه مجد ...

وفاقد العزة والكرامة لا يرجى من ورائه عزة أو كرامة ...

إنه توجيه نحو ربانية كاملة للدين والثقافة والحياة على أسس قوامها الإيمان بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ...

إنها ثقافة قوامها أن يعرف الإنســان ربه وفضــله عليه منذ البداية الأولى لهذا الإنســان، فضــل من الله تعالى وعطاء بلا مقابل من العبد أو مكافئ لهذا الفضل، فالله عز وجل كما قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الذاريات].

وهى ثقافة تكون المرجعية فيها لله رب العالمين كما قال تعالى لرسوله محمد ﷺ وللناس أجمعين:

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق]، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة].

وقالها الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران].

وتختم الآيات بتوجيه بعدم طاعة من يسعون لقطع أو إفساد العلاقة بين العبد وربه، إنه توجيه بعدم طاعة من ينهى الناس عن عبادة الله تعالى، ويســعى لقطع صــلة الناس بربهم من جهة العبد لربه بمنعه من الصــلاة والتى هى أســمى فريضــة فرضــها الله تعالى لتحقيق الصــلة بين العبد وربه، لقد نهى عن طاعتهم لأنهم بهذا يسـعون لمنع خير السـماء عن الأرض، وهو أمر بعدم الطاعة لمن ضـل عن الهدى، وعدم طاعة لمن لم يأمر بالتقوى، لأن التقوى جامعة لكل الخير، ولكل ما يقى الإنسان من كل شر وخطر و ضرر فى الدنيا والآخرة، وبالتقوى يتحقق للإنسان الأمن والسلام، والسعادة ...

وهذا التوجيه بعدم الطاعة تكرر فى القرآن الكريم، ونذكر منه ما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ [الأحزاب]، ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القلم].

فكل هذه صنوف من البشر تكون عاقبة طاعتها هلاكا ودمارا وخرابا على الإنسان فى دنياه وآخرته ...

ثم تختم السورة بتوجيه قرآنى عظيم وهو قوله تعالى﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [العلق].

إنه توجيه بأمرين أولهما السجود لله تعالى والاقتراب أو التقرب إلى الله عز وجل.

والسجود صورة للخضوع لله تعالى، وهو سجود شكر وتعظيم واعتراف بالفضل لله تعالى وهو قبل أن يكون بالأعضــاء يكون بالقلب، والســجود اعتراف من الســاجد لله تعالى بالعلو والســمو والرفعة المتمثل فى الألوهية والاعتراف لله تعالى بالفضل والنعمة فى عطاء الربوبية الذى قبل أن يخلق و حتى آخر يوم فى حياته

أما القرب من الله عز وجل فهو الخير كله والسعادة التامة التى لا شقاء فيها أو بعدها ...

إن القرب من الرحمن رحمة لا عذاب فيها ...

والقرب من الملك شرف و رفعة ...

والقرب من العزيز عزة و كرامة لآ مذلة بعدها ...

والقرب من السلام سلام لا يهدده أى نوع من الأخطار...

والقرب من المؤمن أمان و أمن لا يشوبه و لا يهدده خوف ...

والقرب من القدوس طهر و نقاء من كل كفر و شرك ...

فما أسعد المقربين لله رب العالمين عز وجل ...

ما أ سعدهم بمعيته التى يرونها فى قربهم منه عز وجل، تلك المعية التى لا يعرف صاحبها الحزن كما بينها قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة].

وما أسـعدهم برضـاه عنهم والذى هو أعظم من الجنة ونعيمها كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة]. وما أ سعدهم برحمته، وما أ سعدهم بعزته وما أ سعدهم بالأمن من عذابه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]، وما أسعدهم بتحية الله لهم يوم يلقونه كما قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب].

وما أ سعدهم بحسن ثوابه و نعيمه فى الجنة ، الذى لا ينقطع عنهم و لا يمتنع، وما أ سعدهم بالسلام التام الدائم الذى لا ينقطع بقوله تعالى لهم فى الجنة: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس].

لهذا لا يجد المقربون قولا ولا عملا يعبرون به عن عظيم تقديرهم وامتنانهم لله عز وجل غير أن يحمدوه بل ويتبدل كل حالهم فتصير دعواتهم فيها التسبيح ويصير السلام ملء حياتهم فى الجنة ويصير تحيتهم وتصير آخر دعواهم فيها الحمد لله رب العالمين كما قال تعالى: ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].

الإعداد لمهمة الرسالة :

ولم تلبث هذه الآيات من ســورة اقرأ أن تنزل حتى تلتها بعد فترة قصــيرة نزول هذه الآيات من ســورة المدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [المدثر].

لقد جاءت آيات ســورة المدثر لتقول لرســول الله ﷺ ابدأ بنفســك قبل أن تدعو الناس ولتبين لنا كيف كانت تربية الله تعالى لرسوله ﷺ ...

<u>إنها جاءت لتؤكد على تفعيل قيم إسلامية عظيمة منذ أيام الإسلام الأولى:</u>

وجاء أول هذه القيم فى قوله تعالى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر]، والقيام أمر بالتشمر والتفرغ للدعوة والإخلاص لمهامها، وأول هذه المهام هى إنذار العالمين، والإنذار يكون من الأخطار والشــرور والعدوان والتهديدات والمخاطر وكل ما يتضمن خطرا أو شرا أو عدوانا أو إيذاء للعالمين ...

وقد بينت الآيات القرانية أن هذا الإنذار شرط لسقوط الحجة والعذر عن المكلفين كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النساء]، وبعث الرسل شرط للحساب و العقاب على التكليف كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء].

وقد بينت الآيات تفاصيل هذا الإنذار على مر الدعوة ومنها مجاله ودوائره كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٦﴾ [القصص] ، ثم امتد هذا ليشمل العالمين أجمعين فى قوله تعالى﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان].

ثم جاء بعدها قوله و أمره تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾ [المدثر]، وتكبير الله تعالى به يبدأ الأذان وبه تبدأ الصلاة وبه الانتقالات فى الصلاة من ركن إلى ركن والتكبير زينة الحج وهو زينة أعياد المسلمين.

فالله تعالى ليس كمثله شــئ، وهو الأعظم والأجل فى ذاته وصــفاته وأفعاله، وله مطلق صــفات الكمال والجمال والجلال، وحرى بنا أن ندرك لله تعالى هذا القدر وأن نقدر الله تعالى حق قدره وأن يتأكد له تعالى ذلك فى إيماننا به وفى حياتنا وآخرتنا، فلا نعلى فوق ربنا ســواه، ولا نعلى قوق حبه حبا ولا نعلى فوق دينه دينا ولا فوق شرعه شرعا ولا فوق أمره أمرا، ولا نسوى به أحدا سواه.

وعلينا أن نعظم حرمات الله و نعظم شعائر الله كما قال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج].

ثم جاء بعدها قوله و أمره تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ المدثر: ٤، **والثياب أو اللباس من نعم الله العظيمة على الإنســان كما بين قوله تعالى:** ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف].

واللباس اســم لكل ما يســتر عوراته المادية والمعنوية، وفقد اللباس عرى، وعرى الإنســان هو عريه عن القيم التى تســتر شــهواته المادية والمعنوية وعريه عن مكارم الأخلاق ونحو ذلك مما قد أفضــنا فى بيانه فى موضعه من الموسوعة إن شاء الله.

واللباس ا سم لك ما يجمل الإنسان من طيب الملابس و يجمل جوهره المعنوى من الإيمان بالله تعالى و من مكارم الأخلاق ...

وأكمل اللباس و أكمله لباس التقوى كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف]، **وقد أمر الله تعالى ر سوله الكريم منذ بداية الر سالة أن يطهر ثيابه فى قوله تعالى فى سورة المدثر:** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ **فهو أمر بتطهير ثياب الوقاية من الأخطار والأضرار، وتطهير ثياب التجمل و التزين.**

فالقوة ثوب وقاية من الأخطار ويدنسها الا ستخدام المفرط والظالم والغا شم لها، والتى من صورها قتل الأبرياء والضعفاء واحتلال الشعوب الضعيفة و استعمارها ...

وطهارة القوة كثوب وقاية أن توظف لخدمة السلام القائم على الحق والعدل وأن تستخدم فى توفير الأمن وفى رد الظلم وأهله وصد العدوان على الآمنين والأبرياء .

والعلم ثوب جلال و جمال إن تطهر مما يدنســه، ويدنس العلم والعلماء ما يشــوبه من أكاذيب وخرافات وما يسعى إليه بعض المنتسبين للعلم من استخدام العلم فى الشر والدمار والتخريب والإفساد فى الأرض، و طهارة العلم فى أن يكون قائما على معرفة حقائق الكون الأ ساسية وليس متعارضا معها، وأعظم هذه الحقائق العلمية جميعا هى **ما بينه قوله تعالى:** ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد]، **وتتحقق طهارة العلوم بأن تحرص على أن تضم المعارف الصحيحة وأن تبتعد عن الخرافات والأكاذيب.**

ثم جاء بعدها قوله وأمره تعالى بهجر الرجز بكافة صوره: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر]، **ثم جاء ختامها بقوله وأمره تعالى بربانية الصبر.**

وقد كانت للإسلام كما جاء به محمد رسول الله ﷺ رسالتان تجاه الإنسان:

❋ الأولى تجاه من دخل فى الإسلام بمعناه الكامل:

فهذا هو المؤمن الذى دخل فى دين الله عز وجل وآمن بمحمد ﷺ، وعمل الصـــالحات و التزم بالتقوى، وعاقبته هى الفوز فى الآخرة بالجنة وهى دار السعادة التامة الكاملة.

أى أنه ينال سعادة الدارين الدنيا و الآخرة. لأن من أيقن أنه بعد هذه الدنيا صائر لا محالة إلى ر ضوان الله تعالى وجنته لن تنال منه متاعب الدنيا نصيبا ولن تنغص عليه الخطوب عليه حياته مهما عظمت.

❋ أما الرسالة الثانية فهى تجاه عامة البشر و من لم يدخل فى الإسلام:

فالإســلام هو الدين الوحيد الذى انفرد من ظهوره إلى يوم الدين بالاعتراف بالآخرأما ســائر الأديان سماوية كانت أو غير سماوية وسائر المذاهب الحديثة، الاقتصادية أو الفلسفية أو السياسية فلا تملك نفس القدر، كما و كيفا وبعدا زمنيا.

فالإســلام حافل بالحديث عن أهل الكتاب من يهود و نصــارى، وحكى تاريخهم ووثق كل ما جاء به موسى وعيسى من الإيمان والتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد والدعوة إلى الخير وحسن الخلق، وثق القرآن كل ذلك و صدقه. ولكن كتب الـ سابقين التى بين أيديهم من توراة وإنجيل والتى تحدثت عن تاريخ العالم، لم تتطرق للمـ ستقبليات التى تدعوهم لما لا يريدون. فالتوراة الحالية لم تبـ شر بر سالة عيـ سى، وادعوا بذلك أن دينهم وهو رسالة موسى هى آخر الرسالات.

والأناجيل الحالية اختفت منها البشـارة ببعثة محمد ﷺ. وهى التى كانت أحد معجزات السـيد المسـيح الكبرى والتى بشـــر فيها بنبوة محمد ﷺ، ولكن اليهود أخفوا ما حدث فى هذا الحديث من الحقائق العظمى لتعارضـــها مع أهوائهم وشـــهواتهم وأطماعه الدنيوية. كما حفل القرآن الكريم بالحديث عن كافة المذاهب الثقافية والمادية التى كان ظهورها سابقا أو لاحقا لظهور الإسلام.

وقد تحقق لر سالته ﷺ ا ستحقاق عظيم الفـضل بما اتـسمت به من الكمال فى كل شئ و الو ضوح فى كل شئ وتفردها فى العديد من الـ سمات والتى عظمت من شأن تلك الر سالة ودورها فى حياة العالمين فالرحمة هى غاية الرسالة وحكمتها كما يبين ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء] ، فرسالته ﷺ

كانت عامة للناس جميعا وليست كما كانت رسالات الأنبياء من قبله لأقوامهم خاصة دون غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر]، وهى رسالة تنطلق فى امتدادها الزمنى ابتداء من بعثته ﷺ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وهى للعالمين حيث هم و فى كل مكان أحلوا به. وهى رسالة تتسم بالمنهجية التى توجه الإنسان وتصوب نهجه و أداءه وعمله فى الدنيا لتتحقق له الرحمة التى يرجوها، وذلك فى منهج فريد فى صدقه وكماله. وهى ذات آليات لتفعيل الرحمة و تحقيقها ونشرها واستبقائها والحفاظ عليها.

وتفردت رسالته ﷺ بوجود الأسوة الحسنة كما يبين ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب]، وهو نموذج تكاملت فيه الرحمة وتجلت فى أعظم صورها وحقيقتها: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران].

فالرحمة سمة أصيلة ولازمة و ثابتة عند رسول الله ﷺ. فقلوب الناس تهواه وتغشاه وتحبه لأنه رحمة مهداة وبعث بالرحمة وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة]. ومن عظيم فضل الله تعالى على الأمة أن جعل العذاب يمتنع مع وجود رسول الله ﷺ كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال].

فوجوده بذاته وما جاء به من الحق عصمة لهم من الفتن والعذاب والهلاك.

لقد كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين حين جاءت عقائد الإسلام واضحة غاية الوضوح وبينة غاية البيان وقاطعة وحاسمة غاية الحسم فى عقائدها القائمة على توحيد الله عز وجل معرفة وإقرارا وشهادة وعبادة ...

وحين استكملت شريعة الإسلام ما سقط من شرائع السابقين من تشريعات، وبينت أحكام الشريعة أعظم بيان وفصلتها أعظم تفصيل، وحددت آليات تفعيلها تحديدا دقيقا وكافيا ...

وحين استكمل دين الإسلام مكارم الأخلاق بل جعلها من أسمى غايات رسالته ﷺ كما فى الحديث الشريف: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه البيهقى والبخاري في الأدب عن أبي هريرة وأحمد والحاكم في الترجمة النبوية.

وحين ا ستكمل هذا الدين قراءته الربانية للكون والحياة وبين تاريخ الر سالات الـ سابقة وأنها قامت على التوحيد لله عز وجل ...

وحين بين أن أ سباب هلاك الأمم الـسابقة كانت هى كفرهم بالله عز وجل وتكذيبهم المر سلين وظلمهم وبغيهم فى الأرض بغير الحق، واستكثارهم من الشهوات وإسرافهم وإتباعهم الشهوات ...

وحين بين أن عيسى عليه السلام هو نبى الله ورسوله الذى أرسله إلى بنى إسرائيل ليهدى خرافهم الضالة، وبين بطلان ادعائهم أنه ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة أو أنه هو الله عز وجل فكل ذلك باطل لا أســاس له من الصـحة أو الواقع أو الحقيقة وكل ما كان باطلا فى حقيقة أمره يبطل كل دليل يقام عليه ويســهل إثبات خطؤه وكذبه وزيفه.

وحين بين أن ما خالط كتب اليهود وعقائدهم من زيف وتحريف والتى منها ادعاؤهم الإنفراد عن ســائر الخلق بحب الله لهم واتخاذهم ذلك ذريعة لرفض كل دين وشــريعة ودعوة حق جاءت بعد موســى عليه الـسلام، وكانت من وراء رفـضهم الإيمان بعيـسى عليه الـسلام ومحمد ﷺ، والأ سوأ من ذلك أنها صبغت تعاملاتهم مع الآخر غير اليهودى وجعلت نظرتهم له تقوم على العنصــرية والتعالى وعدم الاحترام أو تفعيل مكارم الأخلاق معهم إلا فى حدود ما يحقق مصالح اليهود فى العلو والسيطرة ...

وبهذا الكمال تمت بهذا الدين وببعثة سيدنا محمد ﷺ نعمة الله تعالى على عباده واستحق هذا الدين أن يكون محل رضا الله عز وجل كما قال تعالى﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة].

وكان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين حين استجاب الله تعالى لدعوته فمنع إهلاك الناس بسنة عامة كما كان الأمر مع من ســبقوه من الأنبياء والرســل نوح وعاد وثمود ولوط، ولكنه عز وجل شــاءت إرادته أن يبتليهم بالفتن فى كافة أمور حياتهم ليتبن المؤمن من الكافر والتقى من الفاجر والصــادق من الكاذب والمصــلح من المفسد، إنه ابتلاء بفتن كقطع الليل المظلم لانجاة للمسلمين منها إلا بالتمسك بكتاب الله وسنته.

وكان فضلا عظيما ومنة كبرى منه عز وجل حين أعطى رسول الله ﷺ ربه عز وجل الشفاعة العظمى يوم القيامة، فيشفع بها فى عصاة المؤمنين من أمته ...

لقد كان بعث محمد رسول الله ﷺ للعالمين ضروريا:

وتتأكد ضرورة و حتمية بعثه ﷺ من الغايات السامية التى من أجلها كان بعثه للعالمين: وقد بين القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، فالرحمة للعالمين هى ثمرة دعوته وعائدها على العالمين، والعالمون جميعا هم المستفيدون من رحمة هذا الدين... **وقال تعالى:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ]. **فالناس جميعا هم محل دعوته، وهم المعنيون بها والذين لهم أرسل رسول الله ﷺ.**

وإذا كان أمل الإنسان أن يحيا فى الدنيا حياة طيبة وأن يمتد به الخير إلى ما بعد هذه الحياة الدنيا ليكون جنة الفردوس فى الآخرة، فإن هذا هو ما يحققه له دين الإســلام، لقد جاء هذا الدين ليوفر للإنســان حياة طيبة فى الدنيا و سعادة فى الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ الأنفال: ٢٤، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ [الأنعام].

وإذا كان أعظم ما يشغل بال الإنسان على مر الزمان هو قضية الخير والشر ...

فقد جاء رسول الله ﷺ ليعرف الإنسان بالخير وأسبابه ويبشره به، ويهديه إلى سبيل تحصيله فى الدنيا والآخرة ... لقد عرف الإنسان أن أعظم الخير وأبقاه هو الله عز وجل فى رضوان الله تعالى وفى رحمته كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ٧٦﴾ [طه]. وأن الشر فى سخط الله وغضبه على من يكفر به أو يخرج عما أمر به، وعرفهم أن خير الدين هو الإسلام، لأنه أكمل الدين وأتمه والمقبول عند الله تعالى كما أوضحنا من قبل...

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩﴾ [الفتح]. **لقد جاء أعظم شاهد على الناس أجمعين ... وجاء شاهدا على الشهداء من الرسل والبشر كما قال تعالى:** ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾ [النساء].

فالأنبياء يشــهدون على أممهم بأنهم أبلغوهم دعوة الحق، وما كان ضــلال من ضــلوا من الأمم الســابقة واللاحقة إلا نتيجة مخالفتهم لما جاءت به الرسل من الحق ...

لقد شهد رسول الله ﷺ فيما بلغ عن ربه فى القرآن الكريم على أن كافة الأنبياء والرسل إنما جاؤوا موحدين وداعين إلى عبادة الله الواحد الأحد، وأن كل ما نسبه أتباعهم إليهم من الشرك إنما هو خروج ومخالف لما جاءت به رسلهم من الحق.

واعتمد منهج رسول الله ﷺ فى الدعوة والتربية وهداية العالمين للدين الحق على أربعة عناصر أساسية:

وهى التى بينها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة]، **وقوله تعالى:** ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران].

وأول هذه العناصر هو: تلاوة آيات الله تعالى عليهم.

وثانيها : تعليمهم الكتاب.

الثالث : تزكيتهم.

الرابع : تعليمهم الحكمة.

فليس فى منهجه لهداية الناس إلى دين الله تعالى الإكراه على الدخول فى الدين، كما نرى فى غيره من المذاهب التى تتخذ الإكراه منهجا ووسيلة لإدخال الناس فى دعواتهم أو مذاهبهم ...

وليس فى منهجه الغش أو التدليس أو الخداع أو الوهم كما نرى فى غيره من المذاهب التى تلجأ على تلك السبل الدنيئة كوسيلة لإدخال الناس فى دعواتهم أو مذاهبهم ...

ولهذا فأهل هذا الدين هم أهل معرفة ودراية بآيات الله تعالى الشرعية والكونية...

وأهل هذا الدين هم أهل علم ومعرفة بالكتاب ...

وأهل هذا الدين هم أهل الحكمة، ينطقون بها وتصبغ كافة أحوالهم وتصرفاتهم .

وأهل هذا الدين هم أهل التزكية والتطهر من كل نقيصة ونجس مادى أو معنوى أو أخلاقى ...

أما إظهار هذا الدين على الدين كله فقد شـــاءت إرادة الله تعالى أن تكون بما فيه من الهدى والحق وهم ما انفرد به وتميز به عن غيره. فقد أرســل الله تعالى رسـوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين جميعا، وأظهر هذا الدين على الدين كله إظهارا للهدى على الضلال وإظهارا لدين الحق على ما سواه من الأديان كما قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة]، **لقد أرسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق، فكان الهدى ودين الحق هما جوهر دعوته التى جاء بها للعالمين وهما سر ظهوره على الدين كله ...**

فالله تعالى يظهر دينه بما فيه من الهدى ولأنه دين الحق، وهو سبحانه وتعالى ينصر رسله والذين آمنوا فى الدنيا والآخرة لصدق إتباعهم لدين الحق ...

والله سبحانه وتعالى هو الذى يظهر الإسلام على الدين كله ...

وليس السيف أو الحقد أو الحسد أو التعصب الأعمى ...

وهو الذى يظهر الإســلام على الدين كله بما انفرد به من عظيم الرحمات للعالمين والتى تكاملت فيه بما لامثيل له فى أى دين او مذهب آخر ...

وهو الذى يظهر الإسلام على الدين كله بما قام عليه من التوحيد والاستقامة على ملة إبراهيم عليه السلام ... وبما انفرد به هذا الدين من الكمالات ... لأن دين الإســلام هو الدين الكامل التام. الذى اكتملت فيه العقائد والشرائع والأخلاق، واكتمل فيه منهج هداية البشر لله عز وجل، وللخير والسعادة فى الدنيا والآخرة.

وهو الذى ينصر أنبياءه ورسله ومن اتبعهم وسار على هديهم من المؤمنين ... هو الذى ينصرهم على كافة أعدائهم تحقيقا لوعده الحق: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر] ، على أنفســهم الأمارة بالسوء ... وعلى الشيطان ووساوسه ... وعلى أولياء الشيطان من الكافرين والمنافقين والمشركين ...

فهذا الكتاب هو مقدمة موسوعة القيم الإسلامية ... وهذه الموسوعة كما أوضحنا على غلافها: (رسالة سلام وأمن و تعاون على البر والتقوى):

إنها دعوة للإنسان ليحب الخير من خلال حب السلام والأمن ومن خلال التعاون مع أخيه الإنسان على البر والتقوى باعتبار ذلك أرقى صـور التعاون على خير الإنسـان. وهى رسـالة تبدأ بالحب وتعرفه على منهج الإسلام الذى لا يسمو الحب ولا يرقى فى أى دين أو مذهب إلى ما ارتقى إليه فى هذا الدين العظيم.

لقد دعا الإسـلام لأعظم وأصـدق حب إنه حب الله ورسـوله وحب الخير وأهله، ودعا الإسـلام على مر الزمان لنشر هذا الحب وتفعيله فى حياة الإنسان ليملأها أمنا وسلاما. كما بين رسول الله ﷺ: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي) أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عباس.

وبين لنا رب العزة أن حبه فى طاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢) ﴾ [آل عمران]. وحب الله ورسوله وحب الناس شرط لوجود الإيمان و صدقه و صحته كما قال ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان:أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) متفق عليه عن أنس،(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) متفق عليه. وبين رسول الله ﷺ العلاقة بين انتشار المحبة بين الناس وبين الإسلام والإيمان حين قال ﷺ:(...والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) أخرجه أحمد في مسنده والترمذي عن الزبير.

فالإيمان شرط لدخول الجنة وأن الحب شرط للإيمان، وأن الحب والسلام صنوان لا يفترقان، وأنه لا حب بغير سـلام وأن الحب لن بعرف طريقه للناس إلا من خلال السـلام وبعد أن يكف بعضـهم عن قتال بعض.

وبين لنا رسول الله ﷺ أن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله، فقال:(إن أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله، وتبغض في الله) أخرجه أحمد وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب عن البراء.

ويقوم منهاج التربية الإسلامية على تربية المؤمنين على الحب فى الله والبغض فى الله و على الإيثار ومن ذلك ما جاء فى قوله تعالى للمؤمنين: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)﴾ [آل عمران]. وهذا الحب إذا سرى بين الناس ارتقى بمعاملاتهم بعضهم البعض وسما بها إلى أسمى مكارم الأخلاق وصاروا كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر]، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان].

وليت غير المسلمين يحبون المسلمين كما يحبونهم، كما بين قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران]، فالمسلمون يؤمنون ويحبون جميع الأنبياء والرسل والمسلمون يؤمنون بكافة الكتب السماوية من توراة وإنجيل وقرآن وما انزل على إبراهيم عليه السلام من الصحف وما أوتى لقمان من الحكمة. والمسلمون يحبون كافة رموز الصالحين من كافة الأمم على مر التاريخ. أما غير المسلمون فلا يؤمنون بالقرآن أو رسول الله محمد ﷺ، ولا يقدرون ولا يحبون أو يحترمون رموز المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم على مر الزمان.

وهذه الموسوعة تقدم للعالمين دعوة للسلام القائم على العدل:

إنه السلام مع النفس الذى يربيها على أن تنبذ عدوانيتها و شرورها تجاه الآخرين وهو السلام الذى يحقق للإنسان آماله فى حياة طيبة كريمة لا يهدده فيها شئ.

وهو السلام الإجتماعى الذى يعيش فيه المجتمع متماسكا متحابا متآلف فى السراء والضراء.

وهو ال سلام الذى يتوقف الإ نسان بموجبه عن القتل بكافة صوره وأ شكاله، قتل النفس الإ نسانية التى حرم الله قتلها، فيحرمها حقها فى الحياة والوجود وقتل الثقافات والحضارات والقيم و البيئة التى نعيش فيها.

إن دعوة الإســلام هى دعوة للحياة (كما أوضــحنا ســابقا)، لحياة تســودها الرحمة فى الدنيا وينعدم فيها الشقاء، وحياة يمتد خيرها ويزيد ويتضاعف بلاحدود بعد انتهاء هذه الحياة الدنيا.

والسلام الذى يدعو إليه الإسلام هو السلام الذى ينبذ الحروب بكافة صورها ودوافعها ...

إنها دعوة للإنســان ليعرف حرمة قتل النفس فى كافة الأديان والشــرائع الســماوية وخاتمها وأكملها دين الإ سلام كما قال تعالى: :﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء]، ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة]. **وهى دعوة للإنسان فى شتى بقاع الأرض ليتوقف عن قتل أخيه الإنسان** سواء أكان ذلك فى ميادين القتال، أو كان ذلك على متن الطائرات المدنية، أو كان ذلك فى الميادين العامة أو الشــوارع أو محطات المترو، وأماكن تجمع الناس أو سيرهم، والتى قد تتم بالسيارات المفخخة أو العبوات أو الأحزمة النا سفة، أو كان هذا القتل بطيئا فى صورة أغذية فاسدة ملوثة أو مسرطنة، أو غير ذلك من صور القتل.

وهى دعوة ليتوقف الإنسان عن تعذيب و صنع أ سباب معاناة أخيه الإنسان سواء أكان هذا التعذيب فى السجون الظالمة بلا محاكمة عادلة أو على تهم ملفقة، أو كان فى صورة أمراض مزمنة وفتاكة تصيب الإنسان من جراء إفساد الإنسان على أخيه الإنسان بيئته التى يعيش فيها أو لطعامه آو شرابه أو هوائه الذى يتنفسه.

وهى دعوة ترفض كافة أسباب القتل ومبرراته ودوافعه، سواء أكانت أسبابا سياسية تهدف إلى السيطرة على مواقع استراتيجية أو فرض نفوذ أو احتلال ظالم وغاشم، أو كانت بهدف قتل وإسكات الأصوات المعارضة سواء أكانت على صواب او جانبها الصواب قبل أن يعطيها الفرصة لعرض فكرها والدفاع عنه وقبل إقامة الحجة عليها، أو قبل مثولها أمام محاكمة عادلة يتبين فيها زيف دعواها وبطلان حقها، أو كانت أسباب اقتصادية تهدف إلى نهب الثروات والموارد، أو كانت دينية تسعى لفرض نموذج واحد للدين تكره عليه الآخرين، أو كان القتل بدافع الانتقام أو الحقد.

وهى دعوة لتوقف الحروب وأعمال القتال سواء تحققت أ هدافها أو لم تتحقق بعد، فإن الحروب كالحرائق – يمكن للإنسان أن يبدأها أما نهايتها وعواقبها الوخيمة وآثارها السيئة فلا يستطيع الإنسان فى معظم الأحيان أن يتحكم فيها أو يسيطر عليها. **وهى لا تتوقف بذاتها حتى تأتى على كل ما هو قابل للتدمير والفناء، أما آثارها فلا يمكن أن تنتهى بانتهاء الحروب بل تمتد عبر الزمان،** إنها آثار مادية سيئة تتمثل فى تدمير ما أقام الإنسان من حضارة وعمران، وتتمثل فيما يفقد الإنسان من وطن وأرض اغتصبها المعتدى وآثار معنوية تتمثل فيما تخلفه فى نفوس المهزوم– خاصة إذا كان مظلوما – وهى آثار لا يعلمها إلا الله عز وجل سواء فى عمقها أو امتداد آثارها على مر الزمان. وهذه المشاعر فى حد ذاتها كافية لإ شعال حروب أ شد فتكا وضراوة من سابقتها. **أما الحروب الدينية فهى حروب لا تنتهى مادام الحقد والتعصب وعدم التسامح تتصدر كافة الحوارات بين أهل الأديان مقابل تراجع الحكمة والموعظة الحسنة والعقلانية فى الحوار بين أهل الأديان.** لقد بدأت الحروب الدينية أول ما بدأت فى العصور القريبة بالاضطهاد الرومانى المدفوع بواسطة متعصبى اليهود ضد المسيحية وكان هدفه الأول هو قتل المسيح عليه السلام ودعوة الحق والهدى التى جاء بها لخراف بنى إسرائيل الضالة، ولم يتوقف الا ضطهاد الدينى الرومانى ضد المسيحية إلا بانتصار الإسلام وقضائه على النفوذ الرومانى فى الشرق، عنئذ تحرر النصارى من بطشهم، وعادوا فى ظل دولة الإسلام لممارسة شعائرهم آمنين. أما الحروب الصليبية فقد بدأت بقرارات من رجال دين كانوا أبعد ما يكون عن نهج المسيح ر سول السلام عليه السلام، فجلبوا على العالمين الخراب والدمار المباشرين لقرون عديدة كانت آثار الدمار والقتل فيها أبشع من تحصر بكلمات أو صور أو عبارات، أما ما كمن فى القلوب من أحقاد فلم تزل مستمرة على مر الزمان، بعد أن توارثتها الأجيال من الطرفين. لقد انتهت أعمال القتال فى

الحروب الصليبية مع انتصار صلاح الدين عليهم ولكن توابع الحروب استمرت بصور أخرى تغيرت على مر التاريخ، وتقلبت بين الحروب الثقافية والفكرية والاضطهاد الدينى للأقليات والتعصب الدينى الرسوم المسيئة لرسول الله ﷺ ومنع بناء المساجد والمآذن، وغير ذلك مما نراه من صور الظلم للإسلام والمسلمين، وقتل المسلمين ظلما وعدوانا.

وأخيرا فلتتوقف أعمل القتال ولتضع الحرب أوزارها حتى وإن لم تحقق أهدافها بعد، وليتوقف القتلة عن القتل حتى وإن لم تقنع نفوسهم بهذا الكم من القتلى الذين قتلوهم. ولتتوقف القنابل عن تدمير حضارة الإنسان حتى وإن لم يقتنع المدمرون عن حجم ما أحدثوا فى الأرض من الدمار والتخريب.

إن انتصار دعوات السلام مرهون بانتصار نوازع الخير لدى الإنسان على نوازع الشر ومرهون بانتصار وعلو شأن نداءات العقل والحب للخير ومكارم الأخلاق على ما يعارضها ويتنافى معها.

فالراغبون فى السلام والحريصون عليه والصادقون فى الدعوة له هم وحدهم القادرون على فرض السلام بين الناس، والسلام لن ينتصر على أيدى الرافضين له، لأن فاقد الشئ لا يعطيه.

وعلينا إن كنا صادقين فى دعوتنا للسلام، وليبدأ كل منا بنفسه ولنحرص على أن نكون القدوة والسباقين إلى قبول السلام والدعوة إليه وفرض آلياته.

وهذه الموسوعة دعوة للعالمين لتوفير مقومات الأمن فى كافة المجالات: ويتحقق الأمن بتوثيق المعاهدات والمواثيق بين الدول والتى تحدد الأطر العادلة للعلاقات ومنع النزاعات والصراعات والحروب وتزرع الثقة بينهم وتفعل القيم ومكارم الأخلاق وتحدد آليات لتسوية وحسم الخلافات والصراعات. فهذه هى ضمانات تحقيق الأمن بين الناس فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والاجتماعية.

وهذه الموسوعة دعوة للعالمين للتعاون على البر والتقوى وعلى ما فيه الخير للإنسان ...

فلنبدأ معا وفورا فى التعاون فى كل مجالات الخير

ولتكن بدايتنا من المشترك الإنسانى كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]. **فلنتعارف شعوبا وقبائل أولا كما أمرنا الله عز وجل، ليعرف كل منا الآخر دون كذب أو تجمل أو تزييف، ليتعامل معه تعاملا صادقا.**

ولنبدأ بعد هذا التعارف فى التعاون وقبل الحوار، وعلينا ألا نؤجل التعاون إلى أن تتم تسـوية المشـاكل والخلافات، سوف يعنى ألا يرى هذا التعاون النور أبدا.

لأن الحوار بين المختلفين والمتقاتلين سيؤخر تحقيق السلام، لأن حوار أطراف القتال إنما هو حوار بين قاتل ومقتول له وبين ظالم ومظلوم وبين غاصب ومغتصب حقوقه، وبين من دمر الديار والمنشآت والمرافق ومن دمرت دياره ومنشآته وانهارت مرافقه وهو حوار سيعطل تحقيق السلام وسيزيد النفوس والقلوب حقدا وكراهية ورغبة فى الانتقام وربما العودة بالأمور إلى حالة الحرب مرة أخرى. وإن شـئنا حوارا فليكن حوارا من اجل تفعيل التعاون بين الناس.

وليكن تعاوننا كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة]، وهو **يوجه تعاون المسـلمين مع بعضـهم البعض ومع غيرهم إلى محورين أسـاسـيين هما البر والتقوى ويحظر التعاون على ما يناقضهما من إثم وعدوان.**

والبر هو جماع كل خير كما قال تعالى: :﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

وهو حسن الخلق كما قال رسول الله ﷺ: (البر حسن الخلق) رواه مسلم فى الصحيح والترمذي عن النواس بن سمعان.

فالبر هو الإيمان بالله تعالى وهو عبادة الله وحده لا شـريك له وهو العمل الصـالح ومكارم الأخلاق وهو إنفاق أحب مال الإنسـان على من يحتاجه من فقير ومسـكين والبر هو العهود والصـدق والصـبر فى البأسـاء والضراء وعند قتال الأعداء.

والتعاون على البر تعاون على نشـر تلك القيم وتفعيلها فى حياة الإنسـان والتعاون على البر هو تعاون على تفعيل كل ذلك فى حياة الإنسان ليملأها رحمة ويسرا.

أما التقوى فهى أن يجعل الإنسان وقاية بينه وبين كل ما يضره أو يؤذيه أو يشقيه.

وكلمة التقوى مشتقة من الوقاية، وأساسها تقوى الله: وهى أن يجعل بين المرء وبين ما يخشاه من غضب الله وسخطه وقاية تقيه من ذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه. ولهذا كانت التقوى فى الإسلام ضابطا أساسيا من ضوابط السلوك الإنساني جميعه في هذه الحياة.

وقد وعد الله المتقين بالحياة الطيبة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق]،ويقول جل شأنه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف]، وحسب التقي أن يكون دائما في حمى ومعية الله، كما يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

وتتحقق التقوى فى الالتزام بالبر بأسمى صوره وهو المسمى الإسلامى للخير التام الكامل الذى لا يخالطة شر قط. ولهذا فالتقوى تتحقق بالإيمان بالله العمل الصالح وبالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى والحرص على مكارم الأخلاق وتتحقق التقوى بحسن معاملة الآخر بما يضمن حسن العلاقات بين الناس شعوبا وأفرادا رغم اختلاف ثقافاتهم ومعتقداتهم. وتتحقق التقوى بالحرص على تجنب الظلم للآخر أو سوء معاملته.

ويكون التعاون على البر والتقوى تعاون من أجل ما هو خير للإنسان وضد كل ما يهدد امن الإنسان وسلامته.

ويجب أن يفعل التعاون فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والبيئية وأمام كافة التهديدات والتحديات التى تواجه الإنسان على الأرض. ويتحقق التعاون على التقوى بالتعاون ضد كل أعداء الإنسانية وضد ما يهدد امن وسلامة الإنسان.

فهو تعاون من أجل القضاء على الأمراض الفتاكة التى تهدد الإنسان، وهو تعاون أمام الكوارث الطبيعية التى قد تصيب بلدا ما، وهو تعاون من أجل الحفاظ على البيئة وسلامتها وصلاحيتها لحياة الإنسان.

وهو تعاون ثقافى وصناعى وتكنولوجى.

فالتعاون على التقوى الذى يأمر به الإسلام هو تعاون على كل ما يبعد عن حياة الإنسان الشر والضرر والأذى والمشقة والعسر وهو تعاون على كل ما يتسبب فى استقرار الأمن والسلام والرخاء والحياة الطيبة على الأرض. وفى المقابل للتعاون على البر والتقوى نهى القرآن الكريم المسلمين من التعاون على الإثم والعدوان، فعلى المسلمين ألا يتعاونوا مع أحد على ما فيه ضرر أو تهديد للأمن أو السلام أو الظلم أو العدوان على الآمنين أو على حقوق الغير أو انتهاك الحرمات.

أما الحوار فلنا فيه مقال و حديث يطول:

فلنبدأ إن شئنا و أصررنا على الحوار، حوارا تكون بدايته التركيز على كيفية الخروج مما نحن فيه إلى ما نرجوه ونصبو إليه من أمن وسلام. وحوارا حول ما يجب علينا أن نعمله لنضمد جراحنا ونوقف أسباب انهيار الثقة بيننا ونمنع به أسباب نشوب الحروب والصراعات بيننا، لنبدأ حوار حول عهود ومواثيق ترسى قواعد السلام، نقيمها ونلتزم بها، ونؤكد فاعليتها واستمرارها حين نجعلها تقيم سلاما قائما على العدل واحترام حقوق الآخرين.

لنبدأ معا حوارا نعترف فيه بأننا مختلفون فى كثير من أمورنا، ولكن منطق العقل والحكمة يقتضيان منا ألا نحول هذا الاختلاف – الذى هو أمر طبيعى – إلى خلافات تتزايد على مر الزمان. ولنبدأ فى حوارنا بنقاط الاتفاق ولنؤجل نقاط الخلاف، ولنتصدى لكل من يسعى ان يبدأ بها ليجهض الحوار فى يوم مولده.

لنبدأ حوارا لا يصر فيه كل طرف على أن يغير فكر وثقافة الآخر ويكرهه على إتباع ما عليه الآخر، بل حوار يعرض فيه كل طرف ما لديه على الآخر ويدعوه إلى ما يرجو أن يكون عليه أخوه الإنسان كما أمر الله تعالى به المؤمنين فى قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل]. ولا يزعم أحد الحق فى السيطرة على الآخر فى الفكر، بل يحترم إنسانيته كما امر الله تعالى رسوله الكريم تجاه من كذبوا دعوته ورفضوها فى قوله تعالى:

﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الغاشية]، **وما أكده قوله تعالى من حرية الإنسان فى اختيار دينه وحقه فى عدم الإكراه على ما لا يريد كما قال تعالى:** ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] ، **وقوله تعالى:** ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [البقرة] ، **فهى آيات لا تجد لها مثيله فى غيرها من كتب الآخرين المقدسة أو غير المقدسة.**

ولنبدأ حوارا لا يتكبر فيه طرف على الآخر، ويزعم ابتدءا انه وحده على الهدى وأنه من سواه على ضلال، فيجهض الحوار أو يصيبه فى مقتل قبل أن يبدأ، بل يمتثل فى بداية حواره بقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سبأ].

فهو حوار يعترف فيه كل طرف بمسئوليته الكاملة عن فعله وعن جرائمة التى اقترفها.

وليكن حوارنا دعوة للتحرر من الأغلال التى كبلت حرية الإنسـان وقدرته على اتخاذ القرار الصحيح فى حياته على مر الزمان خاصة فى المسائل المصيرية، ولنسترشد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة] ، **وهذه الآيات تؤكد على أن سبيل الشيطان لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس يعتمد على أمرين أساسيين:**

أولهما: تغييب العقل الإنسانى وشل قدرته على التفكير والتأثير فى حياة الإنسان.

و**ثانيهما: هو أن تصبغ المقامرة بصبغته القاتلة للعلاقات بين الناس،** فقرار المقامر لا يعتمد على منطق عقلى يتوقع النتائج من مقدماتها، ولا على مراعاة لمصالح وفوائد تعود عليه من قراره، بل يريد أن يكسب مالا يحق له وأن يخسر من أمامه ماله الذى يملكه ليعطيه ممن لا يستحقه مقابل عمل أو بغرض تحقيق مصلحة وخير لأى منهما. **وأنه لا يصدق تحرر الإنسان من الشيطان وشره إلا بتحرره مما يقيد حرية العقل فى التفكير الصحيح ثم التحرر من نمط المقامرة فى اختياراتنا وقراراتنا.**

لنبدأ حوارا ننسى فيه أحزان و صراعات الماضى الأليم، وعلينا ألا نتقاتل لنفس الأسباب التى تقاتل من أجلها آباؤنا و أجدادنا ولا نعيد إحياءها إلا لنعتبر من أخطائها التى وقع فيها من اقترفوها ...

وعلينا أن نلتمس الهدى فى قوله تعالى﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة]، **لنأخذ منها العبرة بأن البغى والظلم لا يدومان، وأن البغى عاقبته الخسران المبين ولو بعد حين، وأن الحق سينتصر وإن طال الأمد، إن الماضى الأليم بأحزانه وآلامه وسوء ذكرياته يمكن ألا يؤثر فى علاقاتنا مع الآخر إذا توفر لديه الاستعداد لعدد من الأمور:**

أولها: أن يعترف بأخطاء الماضى وظلم ممارساته.

وثانيها: أن يحرص على ألا يكرر فى حاضره ومستقبله شيئا من أخطاء الماضى وجرائمه وألا يكون حاضره ومستقبله امتداد لهذا الماضى البغيض.

وثالثها: أن يصحح للأجيال الحالية والمستقبلية ما كتبه السابقون من آراء وتقييمات غير منصفة او عادلة فى حق تلك الممارسات التى كانت من أجيال قد خلت، وأن يصحح نظرتهم الخاطئة لهذا الماضى والتى قد تنطوى على قبول أو تبرير لجرائمه وظلمه وفساده.

ورابعها: إعادة ما يمكن إعادته من الحقوق المغتصبة، أو المسلوبة كالأراضى أو الآثار المغتصبة.

وقد آثرت أن تتضمن المقدمة توضيحا لفكرة الموسوعة وتمهيدا لها وتوضحيا لتقسيمها، وألا تكون المقدمة موجزا للموسوعة يمكنها أن تغنى القارئ عن قراءتها والرجوع إليها وإلى ما فيها من معارف واستدلالات، سيتم التعرض لها بمزيد من التفصيل والإيضاح فى الموسوعة.

وقد حرصت على أن تتسم المقدمة – قدر المستطاع- بالإيجاز والوضوح، وأن يقل فيها التوسع فى التفصيل والاستدلال فى بعض المواضع تاركين مجال تلك التفاصيل فى الشرح والاستدلال فى الموضوعات الرئيسية للموسوعة ذاتها وأن تكتفى فى بعض الأحيان بالإشارة إلى النتائج دون الخوض فى تفاصيل الاستدلالات والمقدمات التى تقود إلى النتائج .

وكان من وراء نشاطى لإعداد هذه الموسوعة أمران أساسيين:

أولهما: تلك الحملات الشديدة المنظمة وغير المنظمة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين منذ أول لحظة ظهر فيها هذا الدين إلى اليوم والتى قامت على تشويه صورته فى أذهان وقلوب وعقول الآخر، وتوريث هذه الصورة المشوهة لأجيال جيلا بعد جيل، بعد أن يضيف غليها كل جيل ما يستطيع افتراءه عليه من الأكاذيب والأباطيل.

وثانيهما: هو ما تردت إليه أحوال العرب والمسلمين فى عصرنا من ضعف وتفرق وتنازع جعل من أهل هذا الدين فريسة سائغة لكل حيوان مفترس لا يجد له فى الغابة طعاما.

وقد انطلقنا من هذين الأمرين لنوجه جهدنا فى الموسوعة تجاه هدفين أساسيين:

أولهما: أن نستجلى من قراءة تاريخ الأمة وواقعها القديم والمعاصر، وقراءة تفاعلاتها الذتية وتفاعلاتها مع العالم من حولها أسباب هذه الصورة الجاهلة والمغلوطة والظالمة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين.

وثانيهما: أن نقرا أسباب تردى هذه الأمة فى هذه الفترة من تاريخها إلى ما وصلت إليه من ضعف وهوان و تفرق.

ثم ننطلق من هذه القراءة إلى استجلاء أربعة أمور:

أولها: استجلاء حقيقة هذا الدين الحنيف من أصوله النقية التى جاء بها رسوله محمد ﷺ، لنعرف حقيقة هذا الدين عقيدة وشريعة ومنهج حياة .

وثانيها: إزاحة الغموض والتراب عن غاياتنا وأهدافنا أو إعادة صياغة تلك الغايات والأهداف.

وثالثها: صـياغة منهجية نابعة من قيم هذا الدين الحنيف تقود هذه الأمة وتوجه طاقاتها التوجيه السـليم تجاه ما تصبو إليه من غايات وأهداف.

ورابعها: إعادة ترميم وإ صلاح ما فـسد وتـشوه من ثقافة العرب والمـسلمين. لتـصبح ثقافتهم كما كانت ثقافة ربانية تقوم على قيم العدل والإحسان والرحمة، وتحقق بها نشر الأمن والسلام فى عالمنا الذى نعيش فيه لتكون بيئة مناسبة لتعاون خلاق بين كافة البشر نحو الخير والسلام.

وهذه الموسوعة تقدم مادتها على خمسة محاور:

ففى محورها الأول:

تقـدم الموسوعة للإسلام دينا وثقافة وقيما ومنهج حياة يفعل القيم فى حياة الإنسان.

وفى محورها الثانى:

تعرفنا بمحمد رسـول الله ﷺ، وتلقى الضـوء على حقيقة وجوهر دعوته التى تقوم على أنه إنما جاء رحمة للعالمين، وأنه جاء ليحقق السعادة فى الدنيا والآخرة لمن آمن به واتبع هداه وتبين الدليل على صدق رسالته ودعوته و صدق بلاغه عن رب العالمين.

وفى محورها الثالث:

تقدم الموسوعة قـراءة ثقافية إسلامية للإنسان والكون والحياة تقوم على فهم لها من خلال دور القيم فيها ...

وفى محورها الرابع:

تقدم الموسوعة رؤيـة ثقافيـة لما يجدر ويليق بالإنسان فى مسيرة حياته ليملأ دنيـاه رحمة وآخرتـه سعادة من خلال إعلاء شأن القيم وتفعيلها فى حياته.

وفى محورها الخامس:

تتقدم الموسوعة بدعـوة قيمة وذات صبغة إسلامية ... دعوة إلى الله عـلى بصـيرة .... دعوة تحرر الإنسـان من أغـلاله لينطلق نحو غايته السامية التى خلقه الله تعالى من أجلها، ليملأ دنيـاه رحمة وآخرتـه سعادة. وهى دعوة تقدم إلى فئتين من البشر، فئة دخلت فى الإسلام وارتضته لها دينا، وفئة أخرى بقيت على ما ألفيت عليه آباءها ولم تكلف نفسها أن تتفهم ما جاء به الإسلام من هدى ونور.

فالدعوة الأولى هى لمن يرجو الله واليوم الآخر ويرجو الســعادة فى هذه الحياة الدنيا ويرجو أن تمتد ســعادته بعد هذه الحياة الدنيا لتكون فى الآخرة جنة ونعيما مقيما والتى لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصــالح معا، وهؤلاء هم من يطلق عليهم الإسلام اسم المتقين.

أما من لا يرغب فى الدخول فى هذا الدين فقد قدم له هذا الدين العظيم منهج حياة يحقق له فيها الرحمة ويمنع عنه فيها أسباب الشقاء، فالإسلام دين ليس كغيره مما هو سائد بين الناس من أديان أو مذاهب، يقتصر خيرها على من دخل فيها وأيدها، بل هو دين يفتح ذراعيه وأبوابه بالخير لكافة البشــر، لهذا فهو لا يعادى من لم يختره دينا، وإنما يعادى من ناصبه العداء وصوب أسلحته تجاهه وقاتله، ولهذا أيضا يقدم الإسلام دعوته للعالمين من المسلمين ومن غير المسلمين من أجل إرساء أسس السلام القائم على العدل وتوطيد قواعد الأمن على أركان الأرض، ليهئ للإنســان حياة يمكنه فيها أن يتعاون مع أخيه الإنســان من أجل خير البشــرية **وهى دعوة أوجزناها فى عنوان مقدمة الموسوعة وهو:**

(دعوة للسلام و الأمن و التعاون على البر و التقوى).

لواء أح م / مايز أحمد المرسى

الفصل الأول
البداية

كانت البداية مع فكرة هذه الموسوعة فى يونية عام ١٩٩٨م ... حين كنت فى باريس أثناء زيارتى الثالثة لفرنسا والتى كانت خاصة بالتعاون الثقافى بين فرنسا والدول الأفريقية، والتى حضرت أثناءها الدورة الثالثة عشر لأفريقيا ومالاجاشى، وقد ضمت ممثلى أكثر من أربعين من ممثلى الدول والمنظمات العالمية. وكانت تلك الدورة خاصة بتوثيق الروابط بين تلك الدول والمنظمات فى إطار الثقافة الفرانكفونية.

والشعب الفرنسى، يتميز بتحقيق العديد من الإنجازات المتميزة. فقد برع الفرنسيون فى صناعة أنواع الجبن الرائعة، وفى صناعة السيارات، وفى الموضة والأزياء والعطور، والطب، أما عن الفن والجمال فيشهد لهم العالم كله بذلك، وتراها فى تمثال الحرية الشهير فى أمريكا الذى هو ثقافة فرنسية فى الأصل، وله نموذج مصغر فى نهر السين فى باريس. ومن يزر متحف اللوفر الشهير يجد نماذج من أجمل روائع الإبداع الفنى والصور واللوحات العالمية والآثار الفرعونية الرائعة التى حافظ عليها الفرنسيون وأحسنوا عرضها وتقديمها للزائرين. ويحرص الفرنسيون على الجمال والنظام فى حياتهم، فى نظام المرور ووسائل المواصلات والشوارع وفى شكل منتجاتهم وأسلوب عرضها وفى العروض الفنية ذات الشهرة العالمية والتى تجذب إليها عشاق الفن من كل مكان فى العالم. كما نالت رموزهم شهرة عالمية. ومن أبرزها برج إيفل وقوس النصر والمسلة المصرية الشهيرة فى ميدان الكونكورد والتى لم تحظى أى مسلة أو اثر فى مصر بما نالته هذه المسلة من الاهتمام فى ميدان الكونكورد. أما عن ممارسة الحرية السياسية والحرص على الصالح العام، فلم يترك ذلك للحاكم يعطيها لشعبه متى وكيف شاء بل وضعت لها آليات لتنفيذها وللحفاظ عليها.

كيف يرانا الآخرون:

لقد كانت هذه مقدمة ضرورية قبل الحديث عن الدورة الثالثة عشر لأفريقيا ومالاجاشى والتى حضرتها فى أحد المعاهد الدراسية العليا وهو (معهد الدراسات العليا للدفاع الوطنى IHEDN) بموقع الكلية الحربية المواجه لبرج إيفل، فبقدر براعة الفرنسيين فى مجالات الفن والجمال وغيرها من المجالات، كانت براعتهم فى الإعداد والتجهيز والإدارة لهذه الدورة.

فقد تضمنت مجموعة من المحاضرات والندوات والبحوث التى شارك فيها كبار المختصين فى مجال الفكر والثقافة والدفاع والأمن وعلم الاجتماع والتاريخ والسياسة والشؤون الأفريقية. وكانت الدورة

مخصصة لتناقش أهم القضايا الثقافية والأمنية وحقوق الإنسان فى أفريقيا وخاصة حقوق المرأة وقضايا الحريات العامة وقدمت لنا ثقافة الفرانكفونية كتجربة وإطار يحقق التوازن المنا سب بين تلك الأمور جميعها من وجهة النظر الفرنسية.

وكان برنامج الدورة يخصص وقتا كافيا للمناقشات والرد على الأسئلة من قبل المختصين، كما تضمنت الدورة زيارات لأماكن وأنشطة مختارة بعناية للتعريف بالثقافة الفرنسية والحياة بها. وانتهت بإعداد مجموعة من البحوث التى أعدها الدارسون.

و قد حرص المحاضـرون على أن يظهر وجه الغرب مضـيئا ومشـرقا بما حقق من إنجازات فى هذه المجالات، وإن بدت عليه بعض أوجه القصور فى الأداء. وعلى النقيض من ذلك بدا وجه العالم النامى وكأنهم هم وحدهم المسئولون عن القسط الأكبر من أسباب تأخر المسيرة الإنسانية تجاه تحقيق سعادة الإنسان وما يرجوه من عالم يعيش فى أمن وسلام وفى بيئة صحية ونظيفة.

وفيما يلى نسـوق مثالا حيا من خلال هذه الدورة يوضـح لنا كيف يفهمنا الآخرون، فقد كلفت الجماعة الدراسـية التى كنت فيها – فى تلك الدورة – بإعداد بحث جماعى عن حروب المرتزقة، وقمنا معنا بوضـع خطة البحث ودور كل واحد فيه، وبدأ مشرف الجماعة الدرا سية بالتقديم للبحث وذكر أن حروب المرتزقة قد انتشـرت فى فترات زمنية كثيرة على مر التاريخ وأنه كان لها دور خطير على مسـار الحروب قديما وحديثا وأنها كثيرا ما ساعدت على انتصار الاتجاهات غير الشرعية، ونوه عن الحروب التى اعتمدت على المرتزقة. وهنا أحسست بان أمرا ما سيحدث، وأن الإسلام قد يتهم ظلما وبهتانا بهذه التهمة الباطلة والسيئة. وهدانى الله عز وجل لفكرة، فطلبت من الجماعة الدراسـية قبل أن نتعرض لحروب المرتزقة، أن نحدد تعريفا دقيقا للمرتزقة نتفق عليه قبل أن نبدأ فى استعراض الورقات البحثية، ولاقت هذه الفكرة تجاوبا، وشرعنا فى تعريف من هو المرتزق، وبعد مناقشات مستفيضة اتفقنا على التعريف باللغة الفرنسية والتى كانت ترجمته **« المقاتل المرتزق هو الذى يقاتل فى سبيل قضية لا تهمه (لا تعنيه) ومن أجل المال فقط »**.

و بدأ أحد الدارسـين فى قراءة ورقته البحثية التى أعدها والتى أشـارت إلى أن الغزوات والفتوحات الإسـلامية كانت تعتمد على المقاتلين من المرتزقة، وهنا كان لابد من التدخل فى النقاش وأبديت اعتراضـي على هذا الرأى فأكد الباحث إنه أستدل على ذلك استنادا إلى عدد من المصادر والمراجع الفرنسية والغربية والتى تؤكد على أن الحروب الإسـلامية كانت فى مجملها حروب مرتزقة. ولما كان من الصـعب أن نجد مراجع باللغة الفرنسية تخالف رأى الباحث، وجدت أنه من المناسب أن نرجع ونحتكم إلى التعريف الذى

اتفقنا عليه جميعا، وأن نطبقه على حالة الحروب الإســلامية لنعلم هل كانت حروب مرتزقة من عدمه.
وقلت: لقد حدد التعريف شرطين ليكون المقاتل من المرتزقة:

أولها: أن يكون القتال من أجل قضية لاتهم (أو لا تعنى) المقاتل، وهنا سؤال مهم، وهو: هل كانت قضية نصرة الإسلام قضية لاتهم المسلم ؟ لا شك أن قضية نصرة الإسلام كانت القضية الرئيسة فى حياة المسلمين الأوائل، ولهذا فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ ألا يصاحبه فى القتال من لم يدخل الإيمان فى قلبه، وهم المنافقون، كما قال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [التوبة]، فلم يسمح رسول الله ﷺ لمن لم يستقر الإيمان فى قلبه بالقتال معه لأنهم كانوا كما قال الله تعالى عنهم لن ينصروا الإسلام بل إنهم لن يزيدوا المسلمين إلا خبالا: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة].

وثانيهما: أن يكون القتال من أجل المال فقط، وأوضحنا فى النقاش أن المسلم ينفق ماله ونفسه فى سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة]، فلم يكن الجهاد فى ذلك الوقت مصــدرا لدخل المســلم حتى يكون مرتزقا لأن المجاهدين كانوا يربون خيولهم وينفقون عليها فى سبيل الله عز وجل ويوثق ذلك حديث: (**أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل، أو منحة خادم في ســبيل الله، أو طروقة فحل في ســبيل الله**) رواه أحمد في مســنده والترمذي و«الطروقة»: أي ناقة أو فرس، يعطيه إياها ليركبها، إعارة أو قرضــا أو هبة. وحديث: **(أفضــل الناس مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، ثم مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره)** متفق عليه.

وانطلاقا من هذا التعريف ا ستطعنا – بحمد الله تعالى – أن نثبت براءة ديننا وجهاد المسلمين فى سبيل الله تعالى فى عصــوره الأولى وأثناء الغزوات والفتوحات الإســلامية من أى شــبهة يمكن أن يتخذها أى باحث ذريعة لتوجيه تهمة يمكن أن تصنف بناء عليها كحروب مرتزقة يقاتل أصحابها لنصرة قضية لا تهمهم بل من أجل المال فقط وليس من أجل نصرة مبادئ دين الله الإ سلام وهو دين يقوم على نصرة مبادئ الحق والعدل والحرية والخير.

***

لماذا يرانا الغرب أعداء له ؟:

وهذه الواقعة الهامة فى أحد المعاهد العلمية الكبرى لها مجموعة من الدلالات الهامة، والتى منها ندرة المراجع المتوفرة فى مكتبات الغرب والتى يمكن أن توضح حقيقة هذا الدين الحنيف وثقافته، كما يليق به وتبرؤه مما التصق به من التهم الباطلة وتنتصر لديننا الحق وثقافتنا وقيمنا. كما أن الغالبية العظمى من المراجع المتيسرة للباحثين والدارسين فى الغرب تتحدث عن الإسلام بصورة مشوهة وتعج بالأخطاء العلمية والمغالطات وتلصق به التهم الباطلة، ولا يوجد لدى الباحثين الغربيين مراجع سواها مكتوبة بلغاتهم التى يعلمونها ويتعلمون ويدرسون ويبحثون بها ، وبذلك فهى تمثل آلية لتوارث الفهم الخاطئ والحاقد ضد الإسلام والمسلمين، ويؤدى هذا بلا شك دورا رئيسا فى تزكية نيران العداوة بين الغرب والإسلام. إن هذه المراجع هى نفس المراجع التى يعتمدون عليها فى تأليف كتبهم الدراسية ومناهجهم التعليمية. وبالتالى فهم يدورون فى حلقة مفرغة ذات موقف معين تجاه الإسلام كدين وتجاه المسلمين كحملة لهذا الدين وتتداولها وتتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل، وهذه الصورة تتفاقم قتامتها مع الوقت، ولم تجدى معها شبكة الإنترنت وانتشار المواقع ولا مئات القنوات الفضائية التى تتحدث عن الإسلام وتسعى لتحسين صورته أمام العالم بلغات شتى، كما لم تفلح المراكز الإسلامية رغم جهودها الفائقة فى مجال الدعوة للإسلام أن تؤتى ثمارها المرجوة ونعنى بها أن تكون صورة الإسلام لدى الآخر قريبة من الحقيقة، أو بمعنى أدق أن توضح الصورة الحقيقية للإسلام التى تتسم ملامحها وأخلاقها بالتسامح والتراحم وحب الخير من فى الأرض جميعا.

ومن الدلالات الهامة والإيجابية فى نفس الوقت أن الفكرة الخاطئة عن الآخر لدى الغرب يمكن – فى أحيان كثيرة – أن تصحح إن أحسن عرض حقائق الموضوع، فليس كل مفكرى الغرب يتسمون بالظلم وعدم الإنصاف، وليسوا جميعهم يرفضون الآخر أو مد جسور الحوار والتعاون البناء معه.

بل هم كما قال الله تعالى عنهم أنهم ليسوا سواء: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران]، إن هذه الحرب الشديدة ضد الإسلام والمسلمين تتبنى مفاهيم خاطئة عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

كيف انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية؟

ولكى نوضح رؤيتهم لانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية منذ عصوره الأولى، دعنا نوضح ذلك من خلال ذكر مثال آخر لذلك، فقد كنت فى عام ١٩٩٣ ، ضمن الحاضرين لدورة افريقية مع دول حوض وادى النيل والمعروفة باسم دول الإندوجو(وهى كلمة باللغة السواحلية تعنى الأخوة)، وكانت نيجيريا مدعوة

للحضور–رغم تواجدها خارج حوض النيل – لثقلها فى القارة الأفريقية. وكان ممثل نيجيريا يتباهى دائما بدولته قائلا: إن تعداد نيجيريا (فى ذلك الوقت) يبلغ أكثر من مائة مليون من السـود، وعدد السـود فى العالم يبلغ نحو ٦٠٠ مليون، وهذا يعنى أنه من بين كل ستة من الـ سود فى العالم نيجيرى واحد. وكانت هذه الدورة تهدف لتنسيق الروابط بين تلك الدول. وأثناء النقاشات التى كانت تدور فى هذه الدورة والتى كانت تركز على التعاون بين دول الحوض من أجل التنمية فى كافة المجالات. أثار زميلنا النيجيرى قضـية ادعى فيها أن الإسلام قد انتشر بالسيف. فسألناه: إن نيجيريا تسكنها أغلبية مسلمة فهل تستطيع أن تذكر لنا بحكم دراستك للتاريخ ما هى الغزوات أو المعارك التى دارت رحاها على أرضكم وكان من نتيجتها نشر الإسلام فى بلادكم ؟ بالطبع لا توجد أية فتوحات أو غزوات فى هذا الاتجاه ... إن الغزوات الإسلامية كانت جميعها محصورة فى الساحل الشمالى ولم تدخل إلى أعماق أفريقيا جنوب أو غرب الصحراء، ولكن الإسلام انتشر فى تلك المناطق على أيدى التجار الـم سلمين الذين كانوا خير دعاة للإ سلام بما اتـ سموا به من مكارم الأخلاق والتى كان من أهمها الصـدق والأمانة، والتى وجدت لها رواجا عظيما بين الأفارقة. وكانت من أهم ما أعجب الأفارقة فى دين الإ سلام. فبعد أن تمكنت الدعوة من قلوب شعوب الـشمال والـشرق الافريقي أخذت تنتقل على أيدى أبناء هذه القارة إلى باقى ربوع القارة، فعبر الإسلام الصحراء الكبرى في أفريقيا ووصل الى الغابات الاستوائية على السـاحل الغربي للقارة، كما توغل من الشـرق الإفريقي إلى الوسـط وكان التجار المسـلمين خير دعاة للإسلام فيما وراء الصحراء الكبرى، وكانوا سبب دخول الإسلام إلى تنزانيا وكينيا وموزمبيق، وغرب أفريقيا وصـدق فى حقهم قول الرسـول الكريم: « **التاجر الأمين الصـادق المسـلم مع الشـهداء يوم القيامة**» رواه الترمذى. فهذا الحديث الشريف يعطى التاجر المسلم الأمين الصدوق و سام الشرف والكرامة وهو و سام صحبته للـ شهداء والـ صديقين يوم القيامة لما لهم من دور عظيم فى رفع المعاناة عن البـ شر وتوفير متطلبات الحياة الكريمة لهم.

وكان من أهم أسـباب انتشـار الإسـلام فى الأقطار الإفريقية بسـاطة وفطرية عقائده وشـرائعه وتعاليمه وسهولة فهمه ويسر أساليب الدعوة إليه، بعيدا عما اتسمت به المسيحية من تعقيدات وغموض يقتصر فهمه على «رجال الكهنوت».

و ساهم فى رغبتهم فى الدخول فى الإ سلام شدة معاناتهم من التمييز العنصرى والتى بلغت ذروة السوء فى عصـور التنوير والحضـارة فقد عانى الأفارقة من أعمال التفرقة والتمييز والفصـل العنصـرى التى مارسـها البيض ضد السود في جنوب أفريقيا تحت ظلال المسيحية.

أما المجتمع المسلم فيشعر الناس فيه بذواتهم وكراماتهم ويمارسون فيه عباداتهم وحياتهم معا تحت ظل عدالة الإسلام ومساواته بين الناس، وتحريمه للتفرقة العنصرية بينهم على أساس اللون أو الجنس أو المستوى الاجتماعى أو الاقتصادى، لا فرق فى ذلك بين أبيض وأسود أو بين غنى وفقير، مما كان له أكبر الأثر فى التأليف بين قلوب ابناء القبائل الإفريقية، على عقيدة التوحيد القائمة على عبادة الله الواحد الأحد، وكلمته الشهيرة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وقد كان لاعتناق الأفارقة للإسلام دور فى تهدئة الانقسامات الأثنية والعرقية والقبلية، والتى كانت ذات انتماءات تفوق الانتماء القومى وكانت من أسباب تفاقم النزعات الانفصالية التى اتسمت بالعنف واستخدام القوة، ولكن هذه النزعات ما لبثت أن عادت للظهور بقوة فى ظل الاستعمار ودعواته الانقسامية.

وكان لأخلاق الإسلام دور كبيرا فى تغيير سلوك المجتمعات الإفريقية نحو الأفضل، وفى محاربة العادات غير الأخلاقية التى كانت منتشرة بينهم خاصة العري والسفور. كما برز دور الإسلام جليا فى تنظيم الزواج وتحريم الزنا والخمر وتقديم القرابين. وأعطى الإسلام المرأة حرية اختيار زوجها، وحق الميراث الشرعى الذى حرمت منه قبل الإسلام، وحدد عدد الزوجات. كما شجع الأفارقة على المشاركة السياسية من خلال نظام الشورى.

والمتابع لنسبة انتشار الإسلام فى مصر من خلال كتابات النصارى يجد أن الإسلام بدأ بعد الفتح الإسلامى على يد عمرو ابن العاص وكانت نسبة المسلمين على عهده لا تتعدى خمسة فى المئة وأن نسبة المسلمين قد تزايدت تدريجيا ولم تحصل نسبتهم على الأغلبية الكاسحة قبل عام ١٢٠٠م أى بعد مرور أكثر من أربعة قرون، مما يدل على أن دخول المصريين فى الإسلام كان دخولا تدريجيا يدفع إليه الاقتناع بما فى هذا الدين من حق وعدل ورحمة وليس من خلال القهر والإكراه.

وما إن انتهينا من الرد على هذه التهمة حتى أثار الزميل التنزانى قضية الرق، فاتهم الإسلام انه كان وراء من استرقوا من تنزانيا فى عصور الإسلام الأولى. وقد تولينا فى حوارنا معه توضيح موقف الإسلام من الرق.

فقد كان الرق نظاما اجتماعيا معترفاً به عالميا قبل الإسلام عند العرب والرومان واليهود والنصارى وغيرهم، وكان من الأمور الطبيعية والعادية، وكان الرقيق يشكل جزءاً من ثروات عدد كبير من الأغنياء. وكان العرب قبل الإسلام هم الذين جلبوا العبيد من القرن الأفريقى، بالإضافة إلى من كانوا يقدمون على الرق طائعين بحثا عن قوت يومهم وهربا مما أصاب بلادهم من القحط والجفاف. أما الإسلام فهو الذى قام عند ظهوره بتشريع تحرير الرقيق وأعطاهم حقوقهم التى حرموا منها على مر التاريخ من كافة شعوب العالم.

وكان سلوك الرومان تجاه الرقيق أسوأ و أعنف وأظلم وأبشع ما عرفته البشرية فى تاريخها. ومن ذلك استعمالهم للعبيد فى التجارب واللهو ليقتل بعضهم بعضا فى حلقات المبارزة التى كانوا يتبارزون مبارزة حقيقية حتى الموت، وكانوا يزجون بالعبيد فى حلقات المصارعة التى يصارعون فيها السباع الجائعة الشرسة حتى الموت.

كما حفل الكتاب المقدس بصور سيئة للتعامل الجائر مع الرقيق والتأكيد على أنهم فى مرتبة أدنى من المرتبة الآدمية، **وربما كان ما يحمله الكتاب المقدس من نصوص تجاه العبيد هو الذى شجع وجرأ الأوروبيين من معتنقى الدين المسيحى على سوء معاملة الرقيق، دون أن يروا فى ارتكابهم لهذه الجرائم مخالفة للدين أو الأخلاق أو نوعا من الجرائم ضد الإنسانية أو الخروج على نصوص الدين أو الشريعة التى يمثلها الكتاب المقدس، الذى وجدوا فيه مبررا لسوء أفعالهم، سواء من كان منهم فى العالم الجديد (أمريكا) أو فى جنوب أفريقيا.**

هذا بالإضافة إلى ما ظهر جليا من حياة الخوف والذعر التى كانت تفرض على العبيد فى نصائح بولس.

وكان اليهود يستعبدون الناس على أساس عنصرى وتظهر التوراة ذلك واضحا جليا، وكانوا يحملونهم ما لا يطيقون ويحرمونهم من أبسط الحقوق ويعذبونهم أشد تعذيب.

وكان الاسترقاق يتم لأسباب عدة منها: الفقر والدين فقد كان الدائن يسترق المدين أو أبناءه إن عجز عن السداد، ففى متى ١٨: ٢٥ (وإذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفي الدين).

ويسمح الكتاب المقدس أن يملك الإسرائيلى أخاه بسبب الفقر، بشرط أن يحسن معاملته ويظل خادما له خمسين سنة (يوبيلا). وأما أبناء الأمم الأخرى من غير بنى إسرائيل فيكون استعبادهم و إذلالهم دائما. كما ورد: (وإذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد. كأجير كنزيل يكون عندك. إلى سنة اليوبيل يخدم عندك ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه ويعود إلى عشيرته وإلى ملك آبائه يرجع لأنهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون بيع العبيد. لا تتسلط عليه بعنف. بل اخش إلهك. وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. منهم تقتنون عبيدا وإماء. وأيضا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائرهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكا لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم إلى الدهر. وأما إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف.) لاويين ٢٥: ٣٩، وكان الاختطاف والقرصنة والهجوم على المدن المسالمة هو أحد

الأسـاليب التى تحدث عنها الكتاب المقدس للرق ومنها: (وسـبى بنو إسـرائيل نسـاء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشـيهم وكل أملاكهم. ١٠ واحرقوا جميع مدنهم بمسـاكنهم وجميع حصـونهم بالنار. ١١).

كما أمر الكتاب المقدس بنى إسـرائيل أن يدعو من يذهبوا إليهم من الأمم للصـلح فإن قبلوا يغدرا بهم ويستعبدونهم وإن أبوا الصلح يقتلون: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فان أجابتك إلى الصـلح وفتحت لك فكل الشـعب الموجود فيها يكون لك للتسـخير ويسـتعبد لك. وان لم تسـالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسـك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا).

وقد شهد العالم فى العصور الحديثة أكبر حملة قر صنة وا ستعباد نفذها الغرب فكانوا يغيرون على أفريقيا و يـ ستعبدون أهلها ويـ سوقونهم مكبلين بالـ سلا سل فى الـ سفن إلى العالم الجديد، وكذا الحال مع الهنود الحمر الذين تراوح مـصيرهم بين القتل والتعذيب والا ستعباد. ولم تجد هذه الحملات فى حينها من ضمير الإنسان الغربى العادى أو حتى رجل الدين من يعار ضها أو يقف حيالها، وربما كان مرجع ذلك كما أو ضحنا آنفا إلى وجود مبرر لها من نصـوص الكتاب المقدس، الذى يعتبره اليهود والنصـارى مرجعهم الأسـاسـى فى الدين والحياة. **وقد كان للرق قبل الإسـلام وسـائل ومداخل متعددة**، كالبيع، والمقامرة، والنهب، والسـطو،ووفاء الدين، والحروب، والقر صنة. **فلما جاء الإ سلام ألغى جميع هذه المداخل ولم يبق فيها إلا مدخلاً واحدا، هو الحرب المشروعة.** فقد حرم الاسترقاق بسبب الدين، أو بالقرصنة، أو بالحروب غير المشروعة.

وجاء الإسـلام فشـجع على تحرير الرقيق، بالتوسـع فى تحرير الرقاب. وحث الإسـلام على عتق العبيد وجعله من أجل القربات إلى الله تعالى فقال عز وجل﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد] .

وجعل تحرير المملوك كفارة للكثير من الذنوب والتى منها كفارة للقتل الخطأ ووللحنث فى اليمين و للظهار وللإفطار فى شهر رمضان.

وجاء الإسلام ليرد للرقيق إنسانيتهم، ففى الحديث: «من قتل عبده قتلناه، ومن جدع عبده جدعناه، ومن أخصى عبده أخصيناه »، وجاء ليأمر السادة أمراً أن يحسنوا معاملتهم للرقيق وفى قوله تعالى: كما أمر الله تعالى بالإحسان إليهم فى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء]. ومنها تحريم رسول الله ﷺ إطلاق لفظة العبد أو الأمة على الرقيق: (لا يقولن: أحدكم: عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي).رواه مسلم عن أبي هريرة. وفى رواية (لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك: ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون، والرب الله عز وجل). رواه أبو داود عن أبي هريرة.

كما علمهم رسول الله ﷺ أن العلاقة بين السادة والرقيق ليست علاقة الاستعلاء والاستعباد، أو التسخير أو التحقير، هى بل علاقة أخوة وتعاطف وتراحم وتعاون كما فى قول رسول الله ﷺ: (إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) رواه مسلم. وكما جعل الله عز وجل للرقيق حقا فى الزكاة فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة] .

ومن المواقف الطريفة التى قابلتنى فى حديقة لوكســمبرج بباريس فى يوليو عام ١٩٧٩م، أن اقترب منى شخص يحمل كاميرا ثم قال لى هل يمكنك أن تلتقط لى صورة، فأبديت له ترحيبى، والتقطت له الصورة كما كان يريدها، ثم قال لى: هل أنت مصــرى ؟ فقلت له نعم. قال هل لو كنت تعلم ســلفا أننى يهودى هل كنت توافقنى على ما طلبته منك؟ فنظرت إليه وتأملت سؤاله وحاله فلربما كان يحتمل وقيعة أو خديعة، ولكننى ما لبثت أن بادرته بإجابة قاطعة، قائلا له: بالطبع نعم ... أنت لا تستحق منى إلا حسن المعاملة لأننى ليس بينى وبينك أى عداوة شخصية تستحق عليها غير ذلك ... فتعجب من قولى وبدت عليه الدهشة ... **فا ستطردت موضحا إجابتى قائلا:**

نحن المســلمون نؤمن بالله الواحد الأحد وملائكته وكتبه ورســله جميعا منذ آدم إلى ســيدنا محمد ﷺ. ومنهم أنبياء بنى إسرائيل. ونؤمن بجميع الكتب السماوية وما تحويه من الهدى والشرائع ودين الحق ومنها التوراة والإنجيل والقرآن، **ونحترم الأديان السماوية كلها.**

ولكننا ننكر ولا نقبل أى فكر أو مذهب عنصـــرى أو عدوانى يتعارض مع قيم الحق والعدل، وينكر حرية الآخرين وحقهم فى العيش فى أمن وسلام.

ونعادى وندافع بكل قوة ضد كل من تسول له نفسه أن يحول هذا الفكر الفا سد إلى تهديد لأمن و سلامة أوطاننا أو إلى عدوان على حقوقنا أو حرياتنا أو يتخذه مبررا لكى يســتولى على ديارنا وأوطاننا وخيرات بلادنا أو يقتل الأبرياء من أبنائنا وأهلنا.

حوارات ظالمة و تهم باطلة :

لقد كانت تلك المواقف وأمثالها صــورا متكررة نقابلها فى كل حوار مع الآخر، ونجدها فى كل حديث يتضمن رأيه تجاه الإسلام والتى كان من أبشعها وأظلمها وأكثرها كذبا وفسوقا، ما نشرته صحف الدانيمارك من ر سوم تـ سعى للإ ساءة لر سول الله ﷺ، ولكنها تفـ شل فى سعيها فى الإ ساءة إلى من عـ صمه الله تعالى من الناس، وتنجح فى الإساءة إلى الوجه الحضارى الغربى بعد أن لطخته بالعنصرية والجهل والكذب.

ولقد كانت تلك الحوارات والتهم الظالمة التى يطلقها أعداء الإســلام والجاهلون به والظنون الســيئة بالإ سلام ور سوله الكريم والتى تنطلق بين الحين والحين هى الـ سبب الكامن وراء نـ شاطى من أجل إعداد هذه الموســوعة، لتوضــح عظمة الإســلام من خلال عظمة كتابه الكريم ونبيه العظيم ومن خلال ثقافته وعظمته من خلال قيمه التى بلغت الكمال والجمال فى كل شــئ. ولكنى مع شــروعى فى إعداد الموســوعة وجدت أن الإســلام لم يظلم من أعدائه فقط بل ظلم من أتباعه وأنصــاره بصــورة لا يســتهان بها، لقد ظلموا دينهم عندما جهلوه ولم يستطيعوا الرد على من يهاجموه فى كل وقت وحين وعلى كافة وسائل الإعلام المقروءة والمســموعة والمرئية وفى المحافل، وظلموه عندما اختلفوا فى دينهم واتهم بعضــهم بعضــا بالجهل حينا والكفر أحيانا، وظلموا دينهم عندما فشــلوا فى أن يفعلوا قيم ومبادئ دينهم فى حيواتهم العامة والخاصــة فصــارت حياتهم تخلفا فى العديد من المجالات وضــعفا ومهانة وعجزا عن الدفاع عن حقوقهم المشــروعة وقضــاياهم المصــيرية، وظلموه عندما اختلفوا فى فهم ثوابت دينهم، وعندما لم يفعلوا مكارم الأخلاق فى حياتهم فصــار الصــدق والأمانة والعدل والحب قيما بعيدة المنال لدى كثير من الناس وفى كثير من الأحيان. ولكنهم فى الحقيقة لم يظلموا دينهم بل ظلموا أنفسهم فليتهم يفطنون إلى ذلك وخطورته عليهم.

فنسأل الله تعالى أن يعيننا على إتمام هذه المو سوعة كما يحب وير ضى وأن يجعلها خالصة لوجهه، هادية ونافعة لمن يقرأها أو يفعل ما بها من قيم.

الفصل الثاني

أسباب رفض الإنسان للآخر المختلف في الدين والثقافة

لقد لاقى الإسلام من الحروب الضارية على مدى أربعة عشر قرن من الزمان ما لم تلاقيه حضارة أو أمة أو دين فى التاريخ، وقد صمد الإسلام أمام كل ذلك بينما انهارت القوى الكبرى والحضارات الكبرى بسرعة هائلة أمام عوامل التدمير والفناء، مما يدل على أن البقاء والفناء والصمود أمام عوامل التدمير يخضع لقوانين وسنن ربانية أكثر من كونه نتيجة طبيعية لإصرار الأمم والشعوب والمذاهب على البقاء.

ولاقى الإسلام الكثير من الافتراءات والاتهامات الكاذبة التى تتنافى تنافيا كاملا وكليا مع نصوصه المتمثلة فى القرآن والسنة، ولم يحاسبوا الإسلام على نصوصه ذات الحجية والمعمول بها ولكنهم حاسبوه وقيموه بناء على ما كتبه الحاقدون وأعداء الإسلام عن الإسلام والتى تضمنت تحريفات لتفسير نصوصه تعكس أحقادهم الدفينة تجاه هذا الدين الحنيف.

كما احتسبوا على الإسلام ونسبوا إليه كل أسباب الضعف أو التخلف الثقافى أو الحضارى الذى أصاب المسلمين فى تاريخهم القديم والحديث، رغم أنها ترجع فى أصلها إلى خروج المنتسبين إلى الإسلام على أسسه ومبادئه وقيمه.

وقد سعى أعداء الإسلام إلى شن الحروب الفكرية والمادية على مر التاريخ ضد هذا الدين الحنيف، وكانت ذات غرضين أساسيين هما:

أ- ضرب هذا الدين فى مقتل للقضاء عليه كما قال تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف]. وذلك باستعداء الناس عليه فى كل مكان لضربه أو تركهم يضربونه وأهله ضربات موجعة دون استنكار أو دفاع عن المظلمين من أبنائه.

ب- صرف الناس عن هذا الدين باعتباره دينا سيئا طبقا للصورة الكاذبة الخاطئة التى رسموها له وصدقوها عنه والتى تقوم على ما نسبوه إليه من الأكاذيب، وهم يرجون من وراء صرف المسلمين عن دينهم أن يتبعوا ما عليه أعداؤه من الأديان أو المذاهب الثقافية كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت] .

ما تميز به المنهج الإسلامى فى الدعوة:

لقد بين القرآن الكريم أن دعوة محمد ﷺ بالإسلام إنما جاءت للإنسان منهج رحمة كما بين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، و ما دام الإنسان هو محل الدعوة فكان لا بد أن تكون الدعوة بجوهرها ومنهجها ملائمة له فى كل شئ، فالإنسان هو محل التكليف من الله تبارك وتعالى، وهو مسئول عن أفعاله تجاه نفسه وغيره من البشر وتجاه البيئة المحيطة به وما بها من موارد مادية أو غير مادية. هذه هى خلاصة نظرة الإسلام نحو الإنسان وعلاقته بنفسه والكون من حوله.

وقبل أن يكلف الله تعالى الإنسان أعطاه من الإمكانيات ما يمكنه من تنفيذ ما كلف به على أحسن وجه. وهو إن فقد شيئا من هذه الإمكانيات تحرر من مسؤوليته عن فعله. وقد حدد علماء المسلمين، وإن شئت أن تعطيهم حقهم فقل كانوا أول من حدد ذلك استنباطا من نصوص الشريعة الإسلامية وروحها السمحة، وهذه الإمكانيات جعلها فقهاء المسلمين شرطا للتكليف والمسئولية عن الفعل وهى شروط تحمل فى مجملها أمورا أساسية هى:

توفر الإمكانيات الذاتية والبيئية والقدرة على الاستفادة منها وتوجيهها، وحرية الاختيار، واتخاذ القرار، وآليات تنفيذ التكليف، وعدم الإكراه على الأمر وإطاقتهم له (أى عدم تعديه ما يطيقون أو حدود قدراتهم وإمكانياتهم).

وهى أمور ضرورية و تعتبر شروطا لمسؤولية الإنسان عما كلف به، بحيث يؤدى نقص بعضها أو فقده إما إلى تخفيض مستوى التكليف والمسؤولية عن الفعل أو إلغائه بالكلية.

وما أعظم قوله تعالى الذى لا مثيل له فى اى كتاب سماوى آخر: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة]، فأما عن توفر الإمكانيات والموارد فيقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة]، والموارد الموجودة فى الأرض إن أحسن الإنسان استغلالها بعيدا عن الإسراف والاستهلاك الجائر تكفى لحياة الإنسان على الأرض، **فهو الذى قدر فيها أقواتها** كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر].

فكل مافى الأرض مخلوق بقدر كمى وكيفى يناسب حاجات الإنسان على الأرض ويلبيها وبما يحقق مصلحة ومنفعة الإنسان، وقد سخر الله تعالى للإنسان ما فى السموات والأرض من موارد وإمكانيات كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [إبراهيم].

فلولا تسخير الله تعالى لنا هذه الموارد ما أمكننا الاستفادة منها.

أما عن مسئولية الإنسان عن هذه الموارد يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف]، **وقوله تعالى**﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأعراف].

كما أوجب الله تعالى للفقراء حقوقا فى أموال الأغنياء القادرين على الكسب كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الأنعام]، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [البقرة]. وقدر توفر هذه الإمكانيات تكون المسؤوليات، فالغنى تجب عليه الزكاة بقدر غناه والفقير تسقط عنه الزكاة بل تجب له فى مال الغنى بما يسد له حاجته.

وأما عن الإمكانيات الذاتية للإنسان فيقول تعالى عنها،: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [التين]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى]، ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل]، ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المؤمنون]، **وقوله تعالى:** ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الملك].

ونهى الله تعالى عن تعطيلها كما قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة].

وذم من عطلها ووصفهم بأقبح وصف يليق بهم وما عطلوا من نعم الله تعالى عليهم وعطلوها وأساءوا استغلالها فى الشر دون الخير، فقال تعالى فيهم وفى أمثالهم: :﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف] ، **وكما قال تعالى:** ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]، لأن هذه الإمكانيات إن لم يستفيد منها الإنسان الاستفادة الحقيقة هلك.

ولم يتوقف فضل الله تعالى على الإنسان فى تسوية خلقه فى أحسن تقويم، بل هداه لحياة اجتماعية يشعر فيها بالحب والدفء والحنان كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]، بل تعدى مستوى الحياة الاجتماعية مستوى الأ سرة ليكبر فكون شعوبا وقبا ئل كما قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، ومسؤولية الإنسان تبدأ منذ اكتمال هذه الإمكانيات التى منحه الله تعالى إياها وهى العقل والبلوغ، ومن فقد عقله بجنون أو نحوه سقط عنه التكليف، وكذلك الصغير الذى دون سن التكليف.

وكما تختلف الالتزامات باختلاف السن والعقل فهى تختلف كذلك باختلاف الجنس، وطبيعة مسؤولية الفرد فخلق المرأة يختلف عن خلق الرجل فى أمور ويتفق مع خلق الرجل فى أمور أخرى، وطبيعة مسؤوليات المرأة تجاه المجتمع تتفق مع طبيعة مسؤوليات الرجل فى أمور وتختلف فى أخرى، وبذلك فما اتفقا فيه فهم فيه شركاء فى قدر المسؤولية، وما اختلفا فيه فهم مختلفون فيه فى قدر المسئولية.

كما أن هناك مسؤوليات هى أليق وأنسب للرجل من المراة وأخرى انسب للمرأة من الرجل، وقولنا أنسب لا ينفى قدرة المرأة على إنجازها بنفس الكفاءة فى المجال الأنسب للرجال ولا قدرة الرجل على تأدية ما هو أنسب للمرأة بنفس الكفاءة. ولكن اختيار الله تعالى لذلك هو دائما الاختيار الأمثل الذى يحقق القدر الأكبر من كفاءة الأداء والرحمة وسهولة الحياة ويسرها. وهو التوظيف الأمثل لإمكانيات كل من الرجل والمرأة و الطفل ...

ومن أمثلة ما هم فيه شركاء وسواء فى المسؤوليات أركان الإسلام الفرائض كالشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج. ومن أمثلته أيضا أركان الإيمان كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. ومن أمثلته قواعد الثواب والعقاب على العمل كقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء]، ومن أمثلته أيضا المسئوليات والالتزامات المالية، فعلى مال المرأة مثل ما على مال الرجل من قواعد وقوانين من حيث الكسب الحلال وحقوق الزكاة على ما بلغ منها النصاب ونحو ذلك.

ومعلوم أن هذا للمرء ذكرا كان أو أنثى. أما ما ميز الله تعالى به المراة عن الرجل فى بعض الحكام فهو من باب تخفيف المسؤوليات عنها مقارنة بما كلف به الرجل فى هذه المجالات. فإذا كانت المرأة لا تصلى ولا تصوم حالة كونها حائضا أو نفساء، فهذا التخفيض فى التكاليف الدينية فى هذه الظروف من رحمة الله تعالى بها، فإذا اعترض معترض على أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل على الديون المالية، فهذا أيضا من التخفيف عنها فى التزامها، لأن الشهادة التزام ومسؤولية على الشاهد وتخفيف الشهادة تخفيف لقدر المسؤولية. وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ٦٦ ﴾ [الأنفال] ، **وذلك بعد أن كانت المسؤولية أضعاف ذلك فى قوله تعالى:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾ [الأنفال]. فبعد أن كانت النسبة واحدا أمام عشرة صارت واحدا أمام أثنين، أليس هذا تخفيفا عنهم ؟

وأما عن حرية الاختيار واتخاذ القرار فأحد المبادئ الأساسية فى الدين الإسلامى مبدأ عدم الإكراه كما قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [البقرة]، ومجال هذا المبدأ كما نكرره ونؤكد عليه دائما فى كافة أمور الدين، فلا يكره احد على الدخول فى الدين كما قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ ﴾ [الكهف]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ ﴾ [يونس] ، **ولا إكراه على ترك الدين:** ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ [النحل]، **ولا إكراه على فعل السيئات:** ﴿ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣ ﴾ [النور]، **وأكد على حرية العقيدة كما قال تعالى:** ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾ [الكافرون]، **وحرية الفعل مقابل المسؤولية عن نتائج الفعل كما قال تعالى:** ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ [الإنسان]، **وقوله تعالى:** ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [الزلزلة] ، ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢ ﴾ [النساء] ، **وقوله تعالى:** ﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣ ﴾ [النساء] .

وهى نصــوص لا تجد لها مثيلا فى أى كتاب ســماوى، بل إنها المصــدر لكل من نحا نحوها ونهج نهجها وإن منعه كبرياؤه من الاعتراف بذلك.

أسباب امتناع الإنسان عن قبول الآخر المختلف فى الفكر أو الثقافة أو الدين:

لقد سعى أعداء الإسلام لغرس مجموعة من: **الأخلاقيات والمنهجيات، والمفاهيم الخاطئة** لدى الناس عن الإسلام لصرفهم عنه واستعدائهم عليه فضلا عن تهيئة المناخ من خلال مجموعة من العوامل التى تساعد الناس بل تدفعهم دفعا لقبول حرب الإبادة الشاملة أو المحدودة ضد الإسلام وأهله باعتبارها عملا مشروعا.

وسوف نركز فى هذه المقدمة على مجموعة العوامل التى تؤثر فى استجابة الناس لما هو جديد من الفكر أو الدين أو الثقافة وتوجهه إما إلى قبوله بسهولة ويسر أو تصده عنها و تحول بينه وبين قبولها جزئيا أو كليا. **وسوف نوضح أهمية ودور الأخلاقيات والمنهجيات، والمفاهيم الخاطئة والتى تؤدى إلى صد الناس عن الإسلام وهى نفس العوامل التى تصدهم عن كل ما هو جديد فى الفكر و تقف عائقا أمام محاولات التجديد.**

وقد قسمنا وصنفنا هذه العوامل إلى فئات أربعة:

أ- الفئة الأولى وهى العوامل المرتبطة بالدعوة نفسها من حيث أصولها ومحتواها ووغايتها ومنهجها ومدى حاجة الناس إليها (العامل العقائدى أو الفكرى أو الثقافى).

ب- والفئة الثانية وهى المرتبطة بالشخص المتلقى أو محل الدعوة (العامل الإنسانى).

ج- الفئة الثالثة وهى المرتبطة بالدعاة وهم أصحاب الدعوة وحملة منهجها و مدى مصداقيتهم وإخلاصهم ونواياهم وأغراضهم وأخلاقياتهم ومنهجهم فى الدعوة وقدرتهم على الإقناع ونشر الدعوة (العامل الإنسانى).

د- والفئة الرابعة وهى مرتبطة ببيئة الدعوة وهى البيئة المادية وغير المادية (الثقافية و الاجتماعية والسياسية و الدينية ..الخ) التى ظهرت فيها الدعوة والظروف المحيطة ومدى تأثيرها على سير الدعوة واستجابة البشر إليها.

أما عن طبيعة الدعوة ذاتها محل القبول أو الرفض:

فغالبا ما ترجع أسباب رفض الدعوات أو الانصراف عن قبولها من البشر أصحاب الفطرة السليمة والعقل السليم وذوى الاعتدال فى شهواتهم وتوجهاتهم إلى ما تتسم به تلك الدعوات من سمات لا يقبلها الإنسان بفطرته، أو عدم وضوح أو انحرافات غاياتها، أو بعدها عن العقلانية، أو قد يرجع إلى مشقة التزاماتها وعدم يسرها، و قد يرجع عدم قبولها لما يظهر فيها من قصور مناهجها أو عجز فى مناهجها أمام تحقيق

طموحات الإنســان فى حياة حرة كريمة ينعم فيها الإنســان بالحرية والكرامة والعيش فى أمن وســلام مع النفس والغير، والبيئة التى يعيش فيها.

فقد يكون سبب عدم إقبال الناس على الدعوات الجديدة ما قد يرونه فيها من عدم تحقيق السعادة لهم فى الدنيا والآخرة أو عدم تحقيق مصالحهم وعدم عودتها عليهم بالنفع فى حياتهم الدنيا والحياة الآخرة.

أو يكون السبب فى ذلك صعوبة تكاليف الدعوة والتزاماتها وغلبة التكلف عليها وكثرة ما يعانيه من يتبعها من مشقات أو يغلب على طبعها من البعد عن السهولة واليسر.

أو قد يكون طابع الدعوة الذى يتعارض مع فطرة الإنســان التى فطر عليها، من حب التمتع بمباهج الحياة الدنيا و نعمها، وإشباع حاجاته الأساسية فى الحياة.

وقد يكون ما تتســم به من عدم الوضــوح أو بيان المعالم و المعارف أو بعد معتقداتها وتشــريعاتها عن العقلانية وغلبة طابع الخرافات والأساطير واللامعقول عليها، وتعارضها مع قواعد ومبادئ العلوم والفنون والجمال وغلبة طابع القبح عليها و الذى تنفر منه النفس السوية، ويضع العقل السليم فى حرج أمام قبول ما يتعارض معه تعارضا صريحا بينا.

وقد يرجع رفضها إلى ما تعجز عنه ما تقوم عليه من قيم فى تحقيق حياة كريمة للإنسان و سهولة ويسر فى تعامله مع باقى البشر. فهى تقوم على قيم عنصرية تفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان، أو على الأنانية التى تضع صــاحبها فى مأزق أو حرج عند تعامله مع الآخر، والذى لا تســمح فيه الدعوة أن تقوم المعاملات مع الآخر على أسس من الحق والعدل، بل تعطى صاحبها من الحقوق والمزايا ما لا تسمح به لغيرها.

ومثال تلك الدعوت ما اتسمت منها بالعنصرية كالصهيونية العالمية التى سولت لنفسها اغتصاب أرض فلســطين ونهبت حقوق شــعبه فى الحق فى حياة حرة كريمة على أرجاء وطنه، ونهبت ما اســتطاعت نهبه من موارد ومقدسات.

ومنها الدعوات اللادينية كالشــيوعية التى اختفى فيها البعد الروحى والإنســانى، مما يتنافى مع فطرة الإنسان.

ومنها الدعوات العدوانية التى شجعت أنصارها على الاستعمار واحتلال شعوب الأرض ونهب مواردها و تقييد حرياتها و كرامتها.

ومنها الدعوات الشهوانية التى تشيع الفاحشة بين الناس فتحيل حياتهم جحيما لا يطاق.

أما الدين الإسلامى فهو دين واضح غاية الوضوح، وبين المعالم ومحدد فى تكاليفه وقيمه ومبادئة تحديدا لا مثيل له فى غيره من الشرائع، وهو دين يسر لا عسر ودين رحمة للعالمين.

فالعبادات محددة أعدادها وأركانها وفرائضها، وأما باقى أمور الحياة فقد حدد الإسلام الحرام تحديدا دقيقا واضحا فى نصوص الكتاب والسنة ومنها على سبيل المثال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة]، **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [الأعراف].

والحرام محدود ومعدود أما الحلال والمباح فهو غير محدود أو معدود بل هو كما يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾ [المائدة] ، **ولما حدد القرآن الكريم ما حرم زواجهن من النساء بين إطلاق الإباحة فيما سواهن بقوله تعالى:** ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء]، **وقوله تعالى فى سورة المؤمنون:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)﴾ [المؤمنون]. وذلك تعقيبا على ما عدده وحدده القرآن من الإلتزامات وهى الصلاة والزكاة والبعد عن المحرمات بالتزام العفة، وهو الذى حدا بعلماء المسلمين أن يصيغوا مبدأ هاما من مبادئ التشريع الإسلامى وهو: (الأصل فى الأمور الإباحة ما لم يأت نص يحرم)، (وأن المباح هو ما لم ينص على تحريمه) مما يؤكد على محدودية المحرمات واتساع دائرة المباحات، وهذا من يسر هذا الدين، الذى لا نظير له فى شرائع الآخرين.

ثم حدد الإسلام قواعد عامة وأخلاقيات عامة ملزمة للمؤمن فى حياته لكى تتحقق الرحمة المرجوة من التشريع، فأمر بالإحسان فى كل شئ: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ [القصص] ، **وأثنى على المحسنين فى القول والعمل كما قال تعالى:** ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)﴾ [الزمر].

كما أمر بحسن الخلق وجعله من الإيمان كما قال ﷺ (الإيمان: الصبر والسماحة) أبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير في مكارم الأخلاق عن جابر، والسماحة والصبر من حسن الخلق.

وحديث: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه البخاري في الأدب وصحيح مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان.

وحديث: (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) الترمذي عن أبي الدرداء وحديث: (حسن الخلق نصف الدين) الديلمي في سند الفردوس عن أنس، وحديث:(ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق) رواه أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء بل جعل الله تعالى أن حسن خلق رسول الله ﷺ من أخص وأعظم ما ميز به كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

ويوضح لنا رسول الله ﷺ السر فى ذلك بقوله فى الحديث الشريف: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). رواه البخاري في الأدب المفرد والبيهقى فى السنن عن أبي هريرة وأخرجه أحمد والحاكم في الترجمة النبوية.

ومن كانت هذه هى مهمته فلابد أن يكون أفضل الناس أخلاقا.

كما نهى الإسلام عن الإسراف حتى من الحلال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف] ، كما نهى رسول الله ﷺ عن الإسراف فى الماء حتى لو كان المؤمن يتوضأ من النهر الجارى، وأوضح أن الإسراف والتبذير من إتباع خطوات الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء] .

فالإسراف والتبذير من صور كفر النعمة وعدم إعطائها حقها. ونهى عن سوء الخلق مع كافة البشر حتى مع الكفار أو الأعداء فنهى عن المثلة فى الحرب، وأمرنا أن نعدل حتى مع أعدائنا كما قال تعالى: :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة] .

العوامل المرتبطة بالإنسان محل الدعوة:

يمكننا أن نوجز العوامل المرتبطة بالإنسان وتكون ذات تأثير على قبول أو رفض الجديد فى الآتى:

أ- عوامل معرفية:

وتتمثل فى مدى توفر قدر من المعرفة لدى الشخص محل الدعوة حول الدعوة أو الفكر أو المذهب الجديد. وهذا القدر المعرفى المطلوب هو الفهم الصحيح الذى ينفى الجهل بالدعوة، ويعتبر العلم الصحيح بالمذهب أو الدعوة أو الدين المعروض عاملا إيجابيا لاتخاذ القرار الصحيح بشأن هذا المذهب، سواء

أكان هذا القرار بالقبول أو الرفض. وهذه المعارف تتوقف كما هو معروف على مجموعة من العوامل منها سلامة حواس الإدراك ذات الصلة بعملية التعلم، فسلامة السمع والبصر ذات أهمية للعملية التعليمية المعرفية، وتعتبر سلامة العقل هى أهم تلك العوامل، لأن سلامة العقل والقدرات العقلية هى التى تحقق استيعاب العلوم المعارف.

وترجع أهمية العلم والمعرفة إلى أنها تجلوا الجهل بالأمر وتوضح ما يحيط به من الغموض والشكوك والإبهام. ولهذا يصور العلم بأنه نور والجهل بأنه ظلمات، والإنسان – كما هو معروف – عدو لما يجهل، ولن تزول هذه العداوة أو تتأكد إلا بالعلم و المعرفة.

وقد أكد القرآن الكريم بما لا يتوفر مثله فى أى كتاب أو دين آخر، وهذا مبسوط فى مكانه فى الموسوعة ونكتفى هنا بالإشارة إلى أهمية العلم والمعرفة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر] .

وجعل القرآن الكريم التوحيد علما فى قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد]، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت]. وكان أول ما نزل من آيات القرآن الكريم دعوة للقراءة فى قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾ [العلق]. وهو توجيه بأن تكون القراءة باسم الله عز وجل قاصدة وجه الله تعالى لضمان سمو ورقى أهدافها وليست لتحقيق أغراض دنيئة تسعى للشر والدمار.

ب- عوامل مرتبطة بالنفس الإنسانية:

وتعتبر شهوات النفس الإنسانية من العوامل الهامة المؤثرة فى قبول أو رفض ما هو معروض على الإنسان من الفكر الجديد أو دعوات الإ صلاح والتجديد. وقد بين ر سول الله ﷺ أن النفس إن خبثت صارت أعدى أعداء الإنسان لأنها عدو يعيش بين جنباته ولصيق به وفى الحديث: (ليس عدوك الذي إن قتلتك أدخلك الله الجنة، وإن قتلته كان لك نورا، ولكن عدوك نفسك التي بين جنبيك، وامرأتك التي تضاجعك على فرا شك، وولدك الذي من صلبك فهؤلاء أعدى عدو هو لك). رواه الديلمي عن أبي مالك الأشعري.

وفى الحديث الآخر وفى الحديث الآخر :(قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: مجاهدة العبد هواه) رواه الديلمي والخطيب في التاريخ عن جابر فالشيطان يسعى من خلال النفس الإنسانية أن ضل الإنسان وأن ينأى به عن سواء السبيل.

وتتمثل أهم الشهوات المؤثرة فى قبول الدعوات الجديدة أو الآخر المختلف فى الثقافة أو الفكر أو المذهب فى شهوة النفس إتباع هواها تحت مسمى الحرية أو التحرر من القيود و القيم وهى التى قال تعالى عنها: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف] ، ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾ [ص].

ومنها شهوة التسلط والزعامة والسيطرة على مقاليد الأمور وتبدأ مراحلها الأولى بحب السيطرة والزعامة مع عدم السعى إلى خدمة الشعوب والارتقاء بها، وتنتهى–إن لم يكبحها كابح– إلى ادعاء الفضل على من يتزعم أمرهم ثم دعوى الربوبية وقد تصل فى النهاية إلى ادعاء الألوهية ومثالها فرعون وهامان، وإن شئت فانظر هذا التدرج معه فى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف]، ولما اقروه على دعواه والتى أوردها كحقيقة لا تحتمل الشك انتقل إلى مرحل أشد والتى أشار إليها القرآن فى قوله تعالى﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص] ، ثم كانت المهلكة حين إدعى انفراده بالألوهية كما بينها قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات]، ومنها شهوة النفس للمال وشهوة النفس لاتباع الملذات الجسدية والجنسية، وقد نبه القرآن الكريم على أهميتها بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء]. فأصحاب الشهوات يرون فى الدعوات الجديدة مقيدة لشهواتهم فيرفضونها أما من ظلموا من جراء تسلط المتسلطين، ومن يجدون فى الشهوات وإتباعها خروجا على الفطرة الإنسانية، فتراهم يسارعون إلى إتباع الأديان أو المذاهب التى ترشد تلك الشهوات وتقيدها بما يقلل من أخطارها و مساوئها.

ج- العوامل الأخلاقية:

تعتبر الأخلاق هى العامل الرئيسى ذو الصلة المباشرة فى قبول أورفض الدعوات الجديدة، والأخلاق هى موضوع من أهم الموضوعات التى تتناولها الموسوعة، وسوف نتعرض فى هذا الموضع إلى أهم الأخلاقيات المؤثرة على قبول أو رفض ا لدعوات الجد يدة والتى نوجز ها فى **الحكم المسبق، والظلم، والا ستكبار وحب الا ستعلاء، والعنصرية، و سوء الظن والسفاهة والسفهاء والتكذيب. و سوف نو ضحها بمزيد من الإيضاح فيما يلي:**

(١) الحكم المسبق أو التحيز : (prejudice)

لا أكاد أجد خلقا أو منهجا فى الحياة– بعد الكفر والشرك بالله تعالى، أخطر على الإنسان وأسوا من الخلق المعروف بالحكم المســبق أو التحيز وهو المعروف لدى الغرب باســم (prejudice) فهو أصــل لكثير من وجوه الفساد فى الأرض. لأنه يقف حائلا بين الإنسان وقبول الجديد فى الفكر والدين والخلق، كما أنه يوصد أبواب الخير فى وجه الناس ويجعلهم تبعا وإمعة لأصــحاب الفكر الذين ســبقوهم يحذون حذوهم دون مراجعة أو تفكير أو تعقل فى جوهر الأمور أو عواقبها. ويجعلهم أحيانا عبيدا أذلاء لأفكار وآراء صــاغها من سبقوهم، والذين لا يكادون يكونون معروفين لهم كأشخاص، أو لا يكادون يعلمون عنهم الأدلة على صدق أقوالهم أو سلامة مبادئهم أو مناهجهم.

تعريف الحكم المسبق:

العاقل هو من يعطى الأمور حقها من التفكير والدرا سة قبل تقييمها وإصدار حكمه عليها، وهو لا يصدر الحكم فى الأمر بمجرد سماع خبر عنه، بل لابد من التيقن والتحرى قبل الحكم، وعليه ألا يصدر عنه رد فعل مبا شر قبل فهم أبعاد المو ضوع ليتجنب الوقوع فى الزلل وما لا تحمد عقباه خا صة إذا لم يكن هذا الأمر على دراية سابقة به.

والمعنى المعجمي لكلمة «الحكم المســبق». مأخوذ عن كلمة prejudice **وهى كلمة لها معنى عام هو «الحكم المسبق» ومعان خا صة منها في القانون معنى «التحيز» و«التحامل» و«التعصب» الناتج عن «حكم مســبق» أو «قناعة مســبقة» للقاضــي، مما يجعله يظلم في حكمه وبالتالي يلحق الضــرر بالمحكوم عليهم.** ويجعل القاضى لا يغير حكمه بناء على دفاع المتهم عن نفسه .

والحكم المسبق رأي متصور لا يستند على تجربة فعلية؛ ولا يبنى على حقائق أو وقائع أو أدلة ولكنه يبنى على التحيّز، أو الميل، أو التفضــيل أو الاعتراض المبنى على عدم تعقل للأمر أو ســوء الظن، أو الثقة الزائدة التى لا أ ساس لها من الصحة أو الواقع. وهو القرار المبدأى أو التمهيدي أو التوقعي؛ أو الفكرة المتصوّرة لما سيحدث؛ أو يتوقع.

تصنيف الأحكام المسبقة بين ظالمة ومطغية:

الحكم المسبق منصب أ سا سا على أحكام البشر تجاه من سواهم من البشر أو الدعوات أو العقائد أو الأخلاق أو فهم الناس للنصوص .

الصور السيئة للأحكام المسبقة:

ومن الصور السيئة للأحكام المسبقة أن نلخص الناس في كلمة واحدة، ونصفهم بلقب ما أو نضع لهم عنوانا ما يختزلهم – رغم تنوعهم وغزارة خبراتهم وعظم أحوالهم – في صفة واحدة تجعل المجتمع يستمد حكمه على هذا الشخص أو المذهب أو الدين أو الفئة أو الدعوة من خلال تلك الصفة لأنها أصبحت عنوانا وملخصا لصاحبها ومصدرا للحكم عليه وهو الحكم الذى قد يظلمه ويجور عليه ويلوث سمعته بل قد يمتد ليلوث أمزجة الناس تجاهه وأذواقهم نحوه أوحكمهم عليه وما يتوقعوه منه أو قد يكون الحكم المسبق –على العكس من ذلك كله– يضعه فى مكانة شريفة وعظيمة وتجعله فى محل ثقة وقدوة هو على النقيض منها أو على الأقل لا يستحقها.

ولهذا فإن هذا الحكم المسبق الظالم يعد جريمة فى حق من صدر الحكم عليه، وبعدا عن الإنصاف فى حقه والحكم عليه، كما يعد الحكم الذى يعظم من شأن الظالمين طمسا للحقائق وتضليلا للناس.ومن أمثلة الأحكام المسبقة الظالمة ما سعت الشيوعية لإطلاقه على الأديان بأنها أفيون الشعوب لصرف الناس عن التدين والإيمان ومن أظلمها ما أطلقه الغرب على الإسلام ووصفهم له بالإرهاب أو فرية (الإسلام فوبيا) أى الخوف من الإسلام بغرض صرف الناس عن حب هذا الدين العظيم وإثارة العداوة ضده والتأييد للحرب التى تشن عليه. وفى المقابل نجد هناك أحكاما مسبقة تنفى صفة الظلم والطغيان عن الاستعمار الأوروبى، أو تتنكر لمساوئ الحروب الصليبية على الشرق وأحكاما أخرى تنفى عن الصهيونية صفة العنصرية، وأخرى تجرم من أنكر الهولوكوست.

وليست الأحكم المسبقة الظالمة قاصرة على أعداء الإسلام بل وقع فيها كثير من المتطرفين وغير المنصفين من المسلمين، والتى كان لها أسوا الأثر فى تفرق المسلمين وتناحرهم. ومن أمثلة ذلك ما يطلقه متطرفوا الشيعة من أحكام ظالمة تجاه الصحابة وما يصفون به كبارهم مما لا يليق بمكانتهم وقدرهم، ومنها تلك الأحكام التى تصدر بالجملة لتكفر المسلمين لأدنى شبهة أو ارتكاب فاحشة ومن أمثلتها من يبالغون فى تعميم حكم الكفر على الصوفية وعلى الشيعة بلا تمييز، ومنها من يصيح فى وسائل الإعلام مؤكدا على بطلان صلاة من يصلى فى المساجد التى بها أضرحة وعلى رأسها مسجد الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة رضى الله عنهم حتى إن أحدهم قال: إنها ليست باطلة فقط بل يأثم فاعلها، ومنها من يحكم على من لا يلبس الملابس القصيرة من الرجال بمجانبة الشرع ومثله من لا تلبس النقاب من السيدات حتى مع لبسها للحجاب أما من تركت الحجاب فليست من عداد المسلمات ولا يقبل لها صرف ولا عدل ولا عمل صالح، وآخر يؤكد فى حديث تليفزيونى طويل على وجوب اللحية وأنه لا يكاد يستطيع أن يعد من تعمد حلقها دون

عذر مسلما لفرط خروجه عن السنة وعظيم جرمه. وفى المقابل يصدر الطرف الآخر أحكاما مضادة ضد محمد ابن عبد الوهاب وابن تيمية والألبانى تتهمهم بالمبالغة والتعصب وكراهية آل البيت.

الأحكام المنصفة هى ما التزمت بقواعد الحق والعدل والصدق والرحمة:

إن الأحكام الصادقة فى حق من صدرت فى شأنهم ليست أحكاما مذمومة بل مطلوبة لتبين للناس ما يتقون وما يحترمون ويقدرون، ولهذا فلا يدخل ضمن الحكام المسبقة الأحكام التى أصدرها الله تعالى فى كتابه الكريم بحق البشر أو لتقييم الأحداث أو المواقف أو العواقب. لأن فى إتباعها هدى للناس لأنها تبين له الحق وأهله والباطل وأهله.

ومنها ما أكده الله تعالى فيما قضاه من أحكام ضد من اتسموا بسمات معينة، أو اعتنقوا عقائد معينة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]. **والتى حكم الله تعالى فيها على الشرك بأنه ظلم عظيم وحكمه على أن من يشرك بالله قد افترى إثما عظيما فى قوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء]. **وحكمه على المشرك بالضلال البعيد فى قوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء] ، وشهادته الحق على اليهود والنصارى فى قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة]. **وحكمه على الظالمين بالحرمان من هدى الله فى قوله تعالى :** ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة]، **و حكمه بظلم من يتعد حدود الله فى قوله تعالى:** ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة]، **ولا على حكمه تعالى على الكافرين بالظلم فى قوله تعالى:** ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة] ، ولا على حكمه على المنافقين بمرض قلوبهم فى قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة]، ولا حكمه على المنافقين بأنهم مفسدون كما فى قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة] .

ونحو ذلك من الأحكام الثابتة الصادرة عن الله عز وجل فى حق البشر أو الأحداث أو المواقف والتى أوسعنا لها البيان فى موضعها المناسب من الموسوعة.

تأثير الحكم المسبق على تفسير النصوص وفهم الوثائق والأحداث:

يؤدى الحكم المسبق إلى تفسير النصوص وتأويلها، اعتمادا على آفاق المفسر. كما يؤدى إلى وجود اتجاه أحادى لفهم الأمور والنصوص والنوايا.

ولتجنب الفهم الخاطئ للنصوص، ويتحقق الو صول إلى المعنى الصحيح للنص من خلال الو صول إلى المعني الذي لا يمكن أن نصل إليه إلا بمعرفة الظروف التاريخية التي وجد فيها النص وشكل بها ومراعاة عصر التأليف والمعانى التى كانت متداولة فى ذلك العصر وما لها من تأثير على ما يعنيه قائل النص ... مع إضافة تأثير تلك العوامل إلي فهم الحدث التاريخي والمؤلف نفسه. فالفهم يتطلب أن يضع المفسر نفسه فى موقع يتجاوز فيه تلك المسافة الزمنية التي تفصله عن الحدث أو النص ليصبح معايشا للزمن ولقائل النص وأن يصل إلى أغوار قائله كما قالوا (المعنى فى بطن الشاعر).

ويستوجب هذا علي المفسر أن يلتزم بالتأنى والموضوعية المجردة والنزاهة، وأن يتعالى عن كل ما يدخل في عداد الحكم المسبق، وأن يقصى تأثير معرفته السابقة عن النص وألا يتغافل العوامل الهامة مثل عامل نسبية التعبيرات الإنسانية وزمن النص وثقافة قائله والتى تتأثر بشخص قائلها وظروفه البيئية والتاريخية. إن أراد الوصول إلى الفهم المعيارى للنصوص لأن ذلك يحجب الفهم الصحيح للنص.

ويتوقف نجاح ونزاهة المفسر أو من يحكم فى القضية على قدرته على تحييد العوامل التى توجه تفسير النص أو تخضعه لتأثير الأحكام المسبقة وعلى قدرته على تحرير رأيه وفهمه وتقييمه من تأثير تلك العوامل وطغيانها عليه وخاصة عامل التكوين الثقافى والنفسى والنية لدى المفسر نفسه وما تؤدى إليه من توجيه خاطئ لعملية الفهم وبعده عن الموضوعية. ومنها مراعاة الدقة والبعد عن الأخطاء فى الفهم أو التأويل وتتحقق فيها النزاهة والوضوح فى فهم النص.

ويتوقف نجاح المفسر على قدرته على فهم العبارات التى صيغت فى الماضى كما أراد قائلوها أو اقرب ما يمكن لما أرادوه.

فليس النص أو الحدث يمكن فهمه بعيدا عن تاريخه، وهذا ما حذا بالمفسرين المسلمين التعرض فى تفسيراتهم لمناسبة نزول الآية أو ما قيل فى الحديث أو النص من شروح وتأويلات والمعانى اللغوية التى كا نت متداو لة للكلمات فى زمن النص، فلا يمكن أن يتحقق الفهم الموضوعي بعيدا عن قا ئل النص والظروف التاريخية التى قيل فيها والمدلولات التى كانت شائعة فى زمن النص ولا ما كان يتردد فى عصر النص من مفاهيم وتفسيرات له، ولا تطبيقاتهم للنص التى سجلت عنهم فى عهد النص، والتى تبين كيف فهموا النص، وكيف طبقوه، فالموضوعية والمصداقية لا تتحقق بغير ذلك كله، هذا فضلا عن العناية بمو ضوع النص نف سه وأهميته، واللغة التى ا ستخدمها المؤلف كو سيط بينه وبين القارئ فكل ذلك له تأثير كبير علي فهم المعاني.

أثر الحكم المسبق فى قبول أو رفض ما هو جديد:

الحكم المسبق هو السبب لوصول الإنسان إلى هذه الحالة من التوقف عن قبول الجديد والتى قال تعالى عنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ [البقرة]، فهم يظنون أن ما هم عليه من الإيمان هو الحق وأن ما يعملونه من عمل هو عين العمل الصالح رغم ما يسمعونه من النقد الشديد لهم بفساد أعمالهم وفساد إيمانهم كما قال تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة] ، وهم قد تجمدوا على ما وجودا عليه آباءهم ولا يقبلون سواه ولو تبين لهم انه الحق كما قال تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ۝٨٧ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٩٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٩١﴾ [البقرة]، فالحكم المسبق هو الذى جعل اليهود لا يؤمنون بعيسى عليه السلام رغم انه جاء مصدقا لما جاء به موسى من التوراة. والحكم المسبق هو الذى جعل اليهود والنصارى لا يؤمنون بمحمد ﷺ رغم انه جاء مصدقا لما جاء به موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل. وكقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة].

بل إن الحكم المسبق هو الذى جعل كلا منهم لا يؤمن ببعض ما قد يكون عليه الآخر من الحق كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝١١٣﴾ [البقرة]، **وكقوله تعالى:** ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠﴾ [البقرة]، والحكم المسبق هو الذى جعل كلا منهم لا يرى الهدى فى غير دينه كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٣٥﴾ [البقرة]، والحكم المسبق هو الذى جعل كلا من اليهود والنصارى لا يتبعون البيت الحرام رغم انه هو قبلة إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٥﴾ [البقرة].

وقد وصف قلوب أصحاب الأحكام المسبقة الذين لا يبغون عنها تحويلا بأن قلوبهم غلف لا تقبل أى فكر جديد ولا تسمح لأى نور من أن يدخل إليها كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة]، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [فصلت]، أن ردود أفعالهم تجاه ما فى القرآن من خير عظيم كان هو رفضهم له وتعللهم بالأكنة التى فيها قلوبهم والوقر الذى فى آذانهم والحجاب الذى بينهم وبين آياته .

كما دفعهم هذا الحكم المسبق إلى أمرين هما الأخطر من الكفر نفسه وابعد وأسوأ أثرا وهما إخفاء وطمس الحقائق التى كانت جلية ظاهرة فى كتبهم حول التبشير بسيدنا محمد ﷺ حتى يوقفوا الناس على ما هم عليه كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة]، **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة] .

تنبيه الإسلام إلى خطورة إتباع وتقليد الحكم المسبق كخلق ذميم :

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة] ، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة].

ويقول الشيخ الشعراوى فى خواطره حول هذه الآية – بتصرف يسير منا وإيجاز – (التقليد هو نشأة طبيعية فى الإنسان، وقضية تقليد الناس لآبائهم قضية خطيرة، لن الإنسان حين يخرج للحياة تأتى حركته دائما وفق ما ترى من حركة السابق لها، واندماج الطفل فى أسرته تجعله يقلد أفراد أسرته فى حركاتهم المادية الأر ضية فى تناول الـشياء وأ سلوب الأكل والـشرب، وفى إتباعهم لمنهج الـسماء ومنهج القيم كتقليدهم فى الـصلاة والذهاب إلى المـسجد وحـسن معاملة الناس وأدب الحديث، ولذلك إمتن الحق علينا قائلا: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل]، إذن فتقليد الأجيال اللاحقة للأجيال السابقة أمر تقتضيه طبيعة الوجود. وحين يدعوا الله الناس أن يتبعوا ما ينزله على الرسل فهو ينهاهم ان يتبعوا تقليد الآباء فى كل حركاتهم، لأنه قد تكون حركة الآباء قد اختلت بالغفلة عن المنهج أو بنسيان المنهج، لذلك يدعونا ويأمرنا سبحانه: أن ننخلع عن هذه الأشياء ونتبع ما أنزل الله، ولا نهبط إلى مستوى الأرض، لأن عادات ومنهج الأرض قد تتغير، ولكن منهج السماء دائما لا يتغير، فاتبعوا ما أنزل الله.

ولذلك فقولهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة]. قضـية تبريرية فى الوجود، ولو كان ذلك حقا وصـدقا، ومطابقا للواقع، ولما كرر الله الرسـالات، وهى قضـية مكذوبة، لأنهم لو اتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم، لظل منهج الله فى الأرض مضيئا غير متأثر بغفلة الناس، ولا متأثرا بانحرافات أهل الأرض عن منهج السماء، ولأنه لو صح ذلك لما اختلف منهج الله على الأرض لكن المنهج اختلف لدخول أهواء البشر. ولما نراه من حرص الأبناء على الاختلاف فى كثير من الأحيان عن آبائهم لاختلاف الشخصيات والأجيال ... والخلاصة أن إتباع الأبناء للآباء كذب لا يمثل الواقع.

ويرد مصـداقية قضـية إتباع الأبناء للآباء من ناحيتين: من ناحية التعقل والاهتداء، وكل من التعقل والاهتداء منفى فى هذه الآية، لأنه إتباع أعمى بلا تفكير. والإنسان لا يطيع طاعة عمياء إلا لمن يتيقن صدق بـ صيرته النافذة المطلقة، وهذا لا يتأتى من بـ شر على بر، فالطاعة المطلقة لا تـ صح أن تكون لـ شئ إلا لمنهج السماء، وحين تكون طاعة لمن تثق ببصره الشافى الكافى فهى طاعة مبصرة وبصيرة فى آن واحد لأنك تحمى نفسك من خطأ بصرك وخطأ بصيرتك، وتلتزم فى التبعية بمن تعتقد أن بصره وبصيرته لا يخطئان أبدا، عندها لا تكون طاعة عمياء.

وبذلك يوضح الشيخ الشعراوى أن إتباع الآباء وتقليدهم مشروط بشرطين هما المعقولية والهدى حتى يكون الإتباع على بصيرة وليس تقليدا أعمى **وهو كما قال تعالى:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف]. ويوضح الشيخ الشعرواى أن قضية التقليد هى أمر مزعوم، لأنك لا تقلد مساويك أبدا، ولكنك تتبع من تعتقد أنه أحكم منك، أما مساويك فتعرضه على عقلك، ولذلك لم يكلف الله عباده إلا بعد البلوغ واكتمال العقل وسلامته وإكتمال كل ملكات نفسه بالبلوغ، أى بعد نضج العقل والغريزة معا. والله يريد أن يخلص الإنسان من إسار هذا الإتباع متى نضج عقله ، لأن الأصل فى الإتباع هو للحق الذى أنزله الله، أما الإتباع العمى للآباء فلن ينفع صاحبه، إن خالف ما أنزل الله أى خالف منهج الهدى أو المعقول، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [لقمان]، عن الحق سبحانه وتعالى يفصل لنا هذا الأمر بدقة، فإذا كان الآباء لا يعقلون، فماذا عن موقف الأبناء؟ إنه على البناء أن يصلحوا أنفسهم بمنهج الحق، كما قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة].

وهناك ثلاث نقط خلاف بين الآيتين:

فالخلاف الأول :

أنه سبحانه وتعالى قال فى الأولى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة].

وفى الثانية قال: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ [النساء] .

أما الخلاف الثانى:

فهو فى جوابهم على كلام الحق، ففى سورة البقرة قالوا: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة]، وهذا القول فيه مؤاخذة لهم، لكنهم فى سورة البقرة قالوا: ﴿حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة]، وهذه تعنى أنهم اكتفوا بما عندهم وما هم عليه ونفوا إتباع منهج السماء نفيا قاطعا، وهذا الموقف أقوى وأشد نفيا، لذلك نجد أن الحق لم يخاطبهم فى هذه الآية بـ (اتبعوا) بل قال لهم: (تعالوا) أى ارتفعوا من حضيض ما عندكم إلى الإيمان منهج السماء.

وهناك خلاف ثالث:

وهو أنه قال تعالى فى سورة البقرة: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ [البقرة]، وفى سورة المائدة قال تعالى: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤﴾ [المائدة]، فالخلاف فى (لا يعقلون) و(لا يعلمون). إن (يعقلون) تعنى ما ينشأ عن فكرهم وتدبرهم للأمور، لكن هناك أناس لا يعرفون كيف يعقلون، وهم أقل منزلة من الذى يعقل، لأن الذى عقل هو إنسان قد استنبط، أما الذى علم فقد اخذ علم غيره. إذن فنفى العلم عن شخص أبلغ من نفى التعقل، لأن معنى (لا يعلم) أى انه ليس لديه شئ من علم غيره أو علمه. وعندما يقول الحق(لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا) فمعنى ذلك أنه من المحتمل أن يعلموا، لكن عندما يقول:(لَا يَعۡلَمُونَ) فمعناها أنهم لا يعقلون ولا يعلمون وهذا يناسب ردهم. فعندما قالوا:

(بَلۡ نَتَّبِعُ) كان وصفهم بـ (لَا يَعۡقِلُونَ). وعندما قالوا: (حَسۡبُنَا) وصفهم بأنهم (لَا يَعۡلَمُونَ) كالحيوانات تماما.

وختام الآيتين (وَلَا يَهۡتَدُونَ) لنعلم أن هدى السماء لا يختلف بين عقل وعلم، ولا يختلف بين من يعقلون ومن يعلمون.

ثم يعقب على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة]، فمثل الذين كفروا بالرسول كمثل الماشية مع الراعى، فهم لا يسمعون إلا مجرد الدعاء، كما أن

الماشية تسمع الراعى ولا تعقل ما يقوله، مع الفارق لأن الدواب ليس مطلوبا منها أن ترد على من يناديها، لذا كان الكافرون شر الدواب.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾: [البقرة] ، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان]، ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف]، لأن ما وجدوا عليه آبائهم ليس هو عين الحق الذى أنزله الله تعالى على رسله، فقضية رؤية الله التى وردت فى مواضع متعددة فى الكتاب المقدس مثلا وقضية قيامة المسيح وقضية أن المسيح ابن الله ونظائرها من القضايا التى أسست عليها العقائد لا تستطيع أن تعيد توثيقها أو تراجع مصداقيتها، لأنها ليست قضايا عقلية يمكننا أن نستعيد ملفها ونعيد تقييمه، كما أنها ليست مما أنزل الله تعالى فى التوراة بل هى قضية مبنية على شهادة من قالوا أنهم شاهدوها وهم ليسوا دائما مذكورين بأسمائهم ولا أدلة صدق رؤيتهم دائما، وإن كنا نجد بعضها كقصة قيامة المسيح عليه السلام قد وردت عن لسان مريم المجدلية والتى تتوقف مصداقيتها على مصداقية وصدق الرواية و دقة فهم من فهموها ممن سمعوها منهم، وهى روايات و أخبار أفراد يمكننا أن نأخذ بها متى تحققنا من صدقها لأنها ليست نصوصا مقدسة من الله عز وجل، أو من رسوله. والأخذ بروايات الآحاد أو الأفراد (الروايات التى لم ترو إلا عن فرد واحد لم يشاركه فيها أحد سواه) فى حالة انفرادها – دون غيرها – بقضية لا يكون فى مسائل العقائد ويقبل فيما دون ذلك لأن أخبار الأفراد لا تقبل فى مسائل الأصول والعقائد – وخاصة فى الحديث عن الله عز وجل – إلا عن الأنبياء لأن مصداقيتهم فى إخبارهم عن الله عز وجل مؤيدة بالمعجزات العظيمة من الله تعالى والتى لا يتوفر مثلها لغيرهم من البشر.

تأثير الحكم المسبق على نظرة الآخر للإسلام:

يمكننا فيما يلى أن نوجز ما يتسبب فيه ما لدى الغرب وأعداء الإسلام من أفكار مغلوطة توارثوها بلا مراجعة أو تنقيح أو توثيق، فبنوا على أساسها أحكاما سابقة وثابتة عن الإسلام يكاد يصعب تغييرها فى أذهانهم ما لم ينشط المسلمون لتصحيحها:

(أ) عدم تحرى الغرب الموضوعية والصدق عند دراسته للقضايا المرتبطة بالإسلام: رغم ما اتسم به المنهج العلمى الغربى فى الدراسة من تحرى الموضوعية بصفة عامة وتوخى النزاهة العلمية التى تساعد على تحرى الحقائق والتوصل إليها، إلا أن هذا المنهج العلمى قد تراجع أمام الآراء المسبقة عند دراسة الغرب للإسلام. فرغم الدقة العلمية التى التزم بها الغرب فى دراسته للعلوم الطبيعية، إلا أن دراسته للإسلام لم تتم بنفس القدر من الموضوعية وتحرى الدقة والصدق والحقيقة.

(ب) سوء علاقة الغرب مع الإسلام :

وقد ادى ذلك على سوء علاقة الغرب مع الإسلام كدين ومع المسلمين كأتباع لهذا الدين، وذلك لأن علاقته مع الإسلام لم تتم بناء على فهم صحيح للإسلام، ولكنها جاءت استمرارا لعداوة التاريخية بين الإسلام وأوروبا فى العصور الوسطى عندما تبنت الكنيسة شن الحملات الصليبية الظالمة على الشرق المسلم لعدة قرون، فخلفت وراءها الدمار المادى وقتل الآلاف من الأبرياء من المسلمين، وأخطر من ذلك كله ما خلفته من الأحقاد التاريخية بين المسلمين الذين قد يراهم يراهم الغرب أحيانا وكأنهم أحفاد لصلاح الدين الأيوبى الذى حطم أحلام الحملات الصليبية، وفى المقابل قد يرى بعض المسلمين فى أنصار الحملات الصليبية على الإسلام أحفادا وامتدادا لرجال الدين الذين جيشوا الجيوش ضد الإسلام فى الشرق، فصارت بذلك عداوات وأحقاد توارثتها الأجيال، ويصعب أن تغيب عن أذهان المهتمين بتلك الأمور. وبذلك صار استرجاع تلك الفترات من أسباب انتشار الحكم المسبق الظالم على الإسلام، أما المسلمون فيمتثلون لقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة] ، **وقوله تعالى:** ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة]. **وما أحكم هذه الآيات العظيمة التى لا مثيل لها فى غير القرآن الكريم والتى ترشدنا وتوجهنا إلى ترك العداوات القديمة لأهلها الذين صنعوها وأصبحوا مسئولين عنها أمام الله عز وجل. وأن الأجيال المعاصرة مع معاصريهم تبعا لأخلاقهم وليس تبعا لما كان عليه أجدادهم.**

(ج) عدم الموضوعية عند الحكم على القضايا التى تتعلق بالإسلام:

وقد أدت الفكرة المسبقة لدى الغرب عن الإسلام والتى تتوارثها الأجيال من خلال التعليم الغربى الذى يؤكد دائما على ذلك بل يجعلها تغرس فى أذهان النشء كحقائق لا تحتاج إلى برهان أو مراجعة. لقد أدى ذلك كله إلى عدم الالتزام بالموضوعية فى كثير من الأحيان عند دراسة وتقييم الأمور المرتبطة بالإسلام.

(د) ثبات صورة الإسلام المشوهة فى أذهان الغرب وصعوبة مراجعتها او تغييرها:

فالغرب يحمل أفكارا مشوهة عن الإسلام والمسلمين ذات أبعاد مختلفة كما أوضحنا سابقا، فهى تشل المجالات الدينية والتاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

(هـ) تنامى الأعمال العدوانية ضد الإسلام:

إن تلك الصورة المستقرة لدى الغرب والحكم المسبق على الإسلام والمسلمين، لم يصدر فقط بشأن من كانوا سببا فيه بل عمم ليمتد عبر الأجيال ليظلم كل من اختار الإ سلام دينا، أيا كانت جنسيته أو موطنه، وقد أدت تلك الصورة البغيضة الظالمة إلى نشأة نوع من العداء بين الغرب والإسلام كما يقول العقاد عنه: (العداء بين الاستعمار والإسلام عداوة تاريخية وجغرافية ونفسية وتلك هى أصعب العداوات وأعمقها وأعتاها على التوفيق والنسيان).

(و) تلفيق التهم الكاذبة للإسلام والمسلمين:

ومن هذه التهم ما قا له ارنســـت رو نان فى خـطا به الافتـتاحى فى الكوليج دى فرانس فى ٢٣فبراير ١٨٦٢ :(الـشرط الأ سا سى لتمكين الأوربية هو تدمير سلطة الإ سلام الثيوقراطية، لأن الإ سلام لا يـستطيع البقاء إلا كدين رســمى، وعندما يختزل كدين حر وفردى فإنه ســينقرض ، إن الحرب لن تتوقف إلا عندما يموت آخر أولاد إســماعيل، ... الإســلام هو النفى الكامل لأوروبا، إن الإســلام هو احتقار العلم، واحتقار المجتمع المدنى، إنه ســذاجة الفكر الســامى المرعبة ...) لقد توقف رأى الغرب عن الإســلام عى بعض المظاهر الخارجية (مثل تعدد الزوجات، والحجاب وعقوبة السرقة و الزنا) وادعى أنها هى كل ما فى الإسلام وصرف الناس بها عن جوهر الإسلام ليشوه عن عمد حقيقة الإسلام لدى الغرب، وقد وصلت هذه الصورة الكئيبة إلى درجة يصعب معها تصحيحها بسهولة، حتى يمكن أن نوضح لهم أن الإسلام ليس دينا فقط وإنما هو ثقافة ونمط حياة وحضارة، وأنه يشمل معارف وقوانين ومعتقدات وتصرفات ونظام اجتماعى.

(ز) لم يفلح تقدم الغرب العلمى فى تغيير معارفه عن الإسلام:

لقد حرص الغرب على التركيز على مرجعيات أن الإســلام هو كتاب ألف ليلة وليلة وما تعج به من صــور البذخ والر فاهية واعتبرو ها من مبادئ دعو ته. كما اعتمدوا على تقارير أعضــاء البعثات ا لدينية فى بلاد المســلمين، وما تضــم من تهم صــارخة ودراســات تعمد للإســاءة للإســلام والمســلمين، مع خلوها من الموضــوعة والصــدق، أو الاعتماد على الحقائق العلمية.ونجد أنه فى الوقت الذى رفضــت فيه أوروبا رجال الدين المسيحى وآراءهم وأقصتهم عن الحياة السيا سية وأماكن اتخاذ القرار، نجدها تبتلى البلاد الإ سلامية بهم فتر سلهم فى بعثات تبـ شيرية على بلاد المـ سلمين، وتعتمد عل تقاريرهم وآرائهم عن الإ سلام. لقد أدرك الأوربيون ان سيادة الدين المسيحى لا تقيم حضارة بدليل أن الفترة التى ساد فيها الدين المسيحى فى أوروبا

كانت أحلك فترات تخلفها فى جميع المجالات وأسـمتها عهود الظلام؛ كما أن أوروبا لم تفق من ظلماتها إلا بعد ان أخرجت الدين المسيحى ورجاله من جوهر الحياة.

ومن عجائب ما يكتبه الغرب عن الإسلام أنهم اعتبروا أن أزهى العصور التاريخية فى تاريخ البلاد الإسلامية كانت عصور الحكم الرومانى، وأن عصور الإسلام كانت وبالا عليها. كما لم يعترف الأوربيون بفضل المسلمين على الحضارة الأوربية الحديثة. لقد تناسى اليهود والنصارى ان القرآن الكريم هو الذى أنصف اليهود وبرأهم من دم المسيح عله السلام بشهادته الخالدة: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ [النساء]، وكانت تلك التهمة الباطلة من النصارى لليهود سببا من أسباب الخلاف والصراع الطويل بينهما إلى أن اهتدوا أخيرا إلى صحة شهادة القرآن، دون أن يذكروا الفضل له فى هذا الشأن.

(٢) الاستكبار وحب الاستعلاء والعنصرية:

يعتبر الاستكبار هو أول سبب مسجل تاريخيا لرفض الإيمان، فقد كان إبليس هو أول من دفعه الاستكبار إلى الكفر بالله عز وجل قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾ [البقرة]، **وقال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾ [الأعراف]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦)﴾ [طه]، **وقال تعالى مبينا علة رفض إبليس السجود لآدم:** ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦)﴾ [ص]، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣)﴾ [الحجر].

فكانت العنصـرية وتباين أصـل الخلق سـببا ظاهريا تخفى وراءه إبليس بينما العلة الحقيقية وراء رفضـه كانت هى الاسـتكبار فى حضـرة الله عز وجل. ولذلك جعل عقابه الصـغار والمذلة والطرد من رحمة الله كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥)﴾ [الحجر]، ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)﴾ [الأعراف]، **وقوله تعالى:** ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣)﴾ [الأعراف]. وهذا يؤكد لنا أنه وراء كل دعوة عنصـرية يتخفى خلق الاسـتكبار ويكون هو الدافع الحقيقى من ورائها. ولذلك تجد أن إبليس اللعين يسـعى جاهدا لغرس هذا الخلق الذميم فى البشـر ليكون مانعا لهم عن إتباع دعوة الحق.

والمستكبر لا يتصور أن يجد نفسه تحت مظلة الإيمان على قدم المساواة مع غيره من المؤمنين، فهو يريد أن يتميز عليهم وأن يكون دائما فوقهم وأن ينظر إليهم من أعلى وهم ينظرون إليه من أسفل. ومن الأمثلة التاريخية البينة على من أضلهم إتباعهم لإبليس فى منهج الاستكبار على منهج الله عز وجل وآياته وعلى خلقه (وهو ما نسميه اليوم بالعنصرية والتمييز العنصرى) وكان حائلا بينهم وبين قبول دعوة الحق ما ذكره القرآن الكريم فى شأن قوم نوح فى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح]، وبين أن الإستكبار كان با فى الحيلولة بين قوم صالح والإيمان بدعوته على الله فقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف]، ثم كان الاستكبار والمكر السىء مانعا لليهود من إتباع دعوة محمد ﷺ، رغم ما تواجد لديهم من الأدلة على صدقه، وذلك لأنهم كانوا يريدونه من بنى إسرائيل وليس من العرب وقد سجل القرآن الكريم شهادتهم عليهم بذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر]، وكان الاستكبار هو الذى منع المستكبرين من الإيمان بشعيب ودعوته لهم بتوحيد الله عز وجل وأن يوفوا الكيل والميزان وأن يبتعدوا عن الإفساد فى الأرض والصد عن سبيل الله فما كان جواب المستكبرين إلا الكفر والتهديد بطرد شعيب فكانت عاقبتهم الخسران فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف]، وقد بين القرآن الكريم أن الاستكبار كان خلقا أصيلا مانعا لبنى إسرائيل من الإيمان بالأنبياء والرسل قديما ومن الإيمان بمحمد ﷺ حديثا كما فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة]. وفى قصة إسلام عبد الله ابن سلام الشهيرة والذى كان من أحبار اليهود دليل على أنهم كانوا يعرفون صدق رسالة محمد ﷺ الذى كان مذكورا عندهم فى التوراة ولكنهم منعهم استكبارهم على الحق من الإيمان به كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة] ، **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف]، فأضلهم الاستكبار وأهلكهم كما اهلك إبليس من قبلهم.

وكما أضـــل الاســتكبار الناس عن الحق قديما وأهلكهم، فقد فعل ما هو قريب من ذلك فى عصـــورنا الحديثة، فقد ظهرت النعرات الاســتكبارية لدى مجموعة من مفكرى ومثقفى الغرب وأفرزت مجموعة من النظريات ذات السمات العنصرية والاستكبارية، وكان منها نظرية العرق، والتى تهدف إلى إظهار أن الجنس

الأوروبي والمعروف بالجنس الآرى أ سمى وأعلى من الجنس الـسامى، ثم أقلعوا عن ذلك وبرأوا اليهود كجنس ســام من هذه التهمة وظلت لصـــيقة بالعرب وحدهم، ووصـــفت عقلية الغرب بأنها فوقية ومجمعة وعقلية الشرق بأنها دونية ومفرقة، وعن كتاب الإستشراق رسالة استعمار للدكتور محمد إبراهيم الفيومى: « كان الفليســوف الفرنســى (رينان) أول من قرر أن الجنس الســامى دون الجنس الأوروبى رتبة من ناحية المشــاعر والعاطفة والروح العقلية والتفكير» ثم صــاغوا بعد ذلك نظرية (صــحراوية الثقافة) والتى جعلت الجنس العربى يتميز بما تميزت به صــحراؤه من الهدوء، وبلادة الإحســاس، وعرضــة لهواء نفســية فجائية شديدة، وجمعا للمتناقضات فهو كريم وقاس ووحشى ونهاب وشره فى نفس الوقت.

وأن ترامى الـصحراء واتـساعها أو حى إليه بفكرة اللانهائى، والتى تظهر لدى المـسلمين فى تناهى قدرات الرب لديهم وطلاقتها. كما عللوا التوحيد بأنه راجع إلى حب العرب للبســاطة والوضــوح وعدم التعقيد أو الكثرة. وأ ضافوا إلى ذلك أيـ ضا أن الروح العربية تتجه دائما للما ضى بينما تتجه الروح اليهودية للمـ ستقبل. **وقد كانت لهذه النظرة الإستعلائية والاستكبارية من الغرب تجاه الشرق بعامة والعرب بخاصة نتائج خطيرة نركز منها على مايلى:**

أ- أنها كانت البداية لتبرير الا ستعمار الغربى للشرق بعامة وللعرب بخا صة، والذى كان من أهم أ سباب تخلف وانهيار تلك المنطقة من العالم اقتصاديا وسياسيا وحضاريا.

ب- أنها كانت سببا فى نظرة دونية وغير متعقلة أو محايدة للدين الإسلامى والمسلمين والتى نشأت عنها روح العداء الشديد تجاه الإسلام. فقد استكثروا على الإسلام أن يأتيه كل هذا الخير العظيم، لأنهم يدعون أن الدين الإســلامى قد جاء به محمد ﷺ من عنده وليس دينا من عند الله عز وجل. ولذلك حاروا فى أمره، فجعلوه تارة مأخوذا عن اليهودية وتارة عن المســيحية وتارة عن الحضــارة اليونانية القديمة رغم البون الـ شا سع بين الإ سلام وتلك الأديان أو المذاهب بـ صورتها التى و صلت إليها والتى أخرجتها عن جوهرها الســماوى وهو التوحيد. وبعدها الأكبر عن الحضــارة اليونانية الوثنية. وهذه النظرة الدونية التى تجانب العقلانية والحياد هى التى اســتمرت فى كل مناهج التعليم الغربى التى تتناول الإســلام كدين والتى يتلقاها الطلاب كحقائق ومســلمات منذ بداية تعليمهم ويســتمرون عليها دون تصــحيح آو إيضــاح لحقائق، فتكون سببا فى ا ستمرار تأجج نار العداوة ضد الإ سلام والمـسلمين دون حرج، أو شعور بالظلم تجاههم، وقد بدا ذلك وا ضحا فى الجهل الـشديد بالإ سلام الذى ظهر فى خطاب البابا بينديكت الـسادس عـشر عن الإ سلام، فمثل هذا الرجل فى هذا الموقع الباباوى الرفيع يتحدث عن الإســلام، بما ليس فيه دون أدنى درجات التثبت العلمى من صدق مقاله بل يتناقله جاهلا عن جاهل ، فتكون النتيجة كما رأينا، مزيدا من العداء للإسلام

ومزيدا من الكراهية لنبيه محمد ﷺ، والذى ظهر فى الصحف الدانيماركية التى نشرت الرسوم المسيئة للرسول تحت ستر ودعاوى حرية الرأى، بينما لا يستطيع احد مهم أن يتناول قضية أخرى تمس اليهود أو النصارى كقضية الهولوكوست، وإلا عوقب بأشد عقوبة.

وقد حذر القرآن الكريم من أن الاستكبار على الحق ودعوته وترك الاستجابة له يورث الكفر ويوجب العذاب الأليم والصغار فى الآخرة كما قال تعالى فى سورة الزمر:

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر] ، **وقوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف] ، **وقوله تعالى فى نفس السورة:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف].

ثانيا: العوامل المعرفية وأثرها فى قبول أو رفض دعوات الإصلاح.

تتمثل العوامل المعرفية فى مدى توفر قدر من المعرفة لدى الشخص محل الدعوة حول الدعوة أو الفكر أو المذهب الجديد.

والإنسان من حيث المعرفة له حالتان:

إما الجهل وعدم المعرفة بالأمر أو يتسم بقلة معرفة ما يفيده، فهذا جهل بسيط يمكن أن يعالج من خلال التعليم.

أما الحالة الأخرى فهى أن تكون لديه معارف أو معلومات غير صحيحة أو مشوهة وهذا جهل مركب، وهو أخطر حالا، لأن تصحيح تلك المعارف يتطلب جهدا كبيرا وقد لا يكون من السهل أن نتوصل فيه إلى نتائج إيجابية مرجوة.

والقدر المعرفى المطلوب هو الفهم الصحيح الذى ينفى الجهل بالدعوة، ويقوم على العلم الصحيح بالمذهب أو الدعوة أو الدين المعروض. ويعتبر هذا القدر من العلم أو المعرفة عاملا إيجابيا لاتخاذ القرار الصحيح بشأن هذا المذهب، سواء أكان هذا القرار بالقبول أو الرفض. وهذه المعارف تتوقف كما هو معروف على مجموعة من العوامل منها سلامة حواس الإدراك ذات الصلة بعملية التعلم، فسلامة السمع والبصر ذات أهمية للعملية التعليمية المعرفية، وتعتبر سلامة العقل هى أهم تلك العوامل، لأن سلامة العقل والقدرات العقلية هى التى تحقق استيعاب العلوم والمعارف.

وترجع أهمية العلم والمعرفة إلى أنها تجلوا الجهل بالأمر وتوضح ما يحيط به من الغموض والشكوك والإبهام. ولهذا يصور العلم بأنه نور والجهل بأنه ظلمات، والإنسان – كما هو معروف – عدو لما يجهل، ولن تزول هذه العداوة أو تتأكد إلا بالعلم والمعرفة.

والدين الإسلامى دين يحترم العلم الصحيح المحتوى والمنهج والغاية ويعتبرها هى الأساس المتين للإيمان.

وقد أكد القرآن الكريم بما لا يتوفر مثله فى أى كتاب أو دين آخر، وهذا مبسوط فى مكانه فى الموسوعة ونكتفى هنا بالإشارة إلى أهمية العلم والمعرفة بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر]، وجعل القرآن الكريم التوحيد علما فى قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت]. **وكان أول ما نزل من آيات القرآن الكريم دعوة للقراءة فى قوله تعالى:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾ [العلق] .

وهو توجيه بأن تكون القراءة باسم الله عز وجل قاصدة وجه الله تعالى لضمان سمو ورقى أهدافها وليست لتحقيق أغراض دنيئة تسعى للشر والدمار.

والعلم هو نور البصيرة الذى يبصر به المرء حقائق الأمور كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]، وأن العمى الحقيقى هو عمى القلوب لا عمى الأبصار، ولذلك فقد صنف الله عز وجل الناس إلى صنفين وقسمهم إلى قسمين: إما عالم او أعمى كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد] .

والعالم يهتدى به الناس فى أمور دينهم ودنياهم، ولنا عبرة فى قصة الرجل من بنى إ سرائيل الذى قتل تسعا وتسعين نفسا، ثم سال عن أعلم أهل الأرض فدلوه على رجل عابد: فسأله الرجل هل له من توبة ؟ فكأن العابد قد استعظم أمر المعصية دون أن يفهم حال من أتاه تائبا، فكانت إجابته بالنفى، فقتله السائل وأتم به المئة. ثم هداه الله تعالى إلى رجل عالم أجابه بأنه لا شئ يحول بينه وبين التوبة، ثم دله على بلد أهلها صالحون ليذهب إليها، وفى الطريق أتاه الموت ... وفى النهاية قبل الله توبته. فانظر الفرق بين العالم والجاهل، وإن كان عابدا.

والعالم المعتبر والمعتد به فى الإسلام هو العالم الذى حصل من العلوم أنفعها، وعمل بما علم وطبق العلم وقواعده فى حياته، وتخلق بأخلاق العلماء وحرص على نشر العلم بين الناس مخلصا به لوجه الله الكريم ما استطاع على ذلك سبيلا. فمن كان هذا شأنه كان كالسراج الذى يستضاء به فى ظلمات الجهل، ويستهدى الناس به و بأنواره ليعرفوا معالم طريق الهداية والخير. قال الزمخشرى: **محمد رسول الله ﷺ هو السراج الوهاج** . وهو كذلك لأنه تقتبس منه الأنوار، ويهتدى الناس بهديه إلى نور الحق، ويخرجهم بإتباع شريعته من الظلمات إلى النور، وكذا العلماء إذا كانوا بين الناس سائرين على منهجه وهداه ﷺ.

وقد بين رسول الله ﷺ أن العلم والفقه من أعظم أسباب تحقيق الخير للإنسان فى الدنيا والآخرة ففى الحديث: (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) أخرجه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند حسن صحيح.

وفى الحديث (مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماءا ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقهه الله فى الدين ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذى أرسلت به) رواه البخارى.

والعلم يورث الخشية من الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر]، ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء]، والعلم يرفع من قدر العالم عند ربه عز وجل كما قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة].

والعلم من أعظم ما تفضل الله تعالى به على عباده بعامة ورسوله محمد ﷺ بصفة خاصة كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء]، ولهذا كان التعليم من أهم مهام الأنبياء فى الأرض كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال ﷺ الحديث الذى رواه مسلم عن عائشة: (إن الله تعالى لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا). وما رواه ابن ماجه فى سننه، عَن عَبْد اللّه بْن عمرو، قَالَ: خرج رَسُول اللّه ﷺ ذات يَوْم من بعض حجره. فدخل المسجد. فإِذَا هُوَ بحلقتين إحداهما يقرأون الْقُرْآن ويدعون اللّه، والأخرى يتعلمون

ويعلمون. فقَالَ الْنَّبِيّ ﷺ: (كُلّ عَلَى خير. هؤلاء يقرأون الْقُرْآن ويدعون اللّه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم. وهؤلاء يتعلمون ويعلمون. وإنما بعثت معلما) فجلس معهم.

كما أن العلم هو ميراث الأنبياء والعلماء هم ورثة الأنبياء كما فى الحديث الشريف حديث:(من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رواه أحمد و ابن حبان عن أبي الدرداء.

والعلم أساس ومعيار من معايير التفضيل بين الناس لقوله تعالى:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر]. فهم لا يستوون فى أخلاقهم ولا يستوون فى أدائهم وعطائهم ونفعهم للمجتمع، ولا يستوون فى عبادتهم لله عز وجل، فالعالم العابد خير من ملء الأرض من العباد عن جهل. وفى الحديث: (الناس رجلان: عالم، ومتعلم.ولا خير فيما سواهما) الطبراني في الكبير عن ابن مسعود.

وحديث:(قليل الفقه خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء فقها إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه، وإنما الناس رجلان: مؤمن، وجاهل، فلا تؤذ المؤمن، ولا تحاور الجاهل) الطبراني في الكبير عن ابن عمر.

وبالعلم بالله تعالى يصير الإنسان من الشهداء على الحق الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران]، والعلم من أمضى أسلحة الجهاد فى سبيل الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان]، **وقوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة]، قال ابن القيم:« فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضا، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم فى الظاهر، ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن.

وفى الحديث:(من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لعلم يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله) أخرجه ابن ماجة بسند صحيح.

ومن أخلاق العلم والعلماء فى الإسلام:

أ- تقوى الله عز وجل:

لأن التقوى هى مفتاح العلم كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة]، وفى الحديث: (اتق الله فيما تعلم) رواه البخارى فى الأدب المفرد والطبرانى عن زيد ابن أسلم والترمذى مرسلا. والتقوى من الوقاية وتقوى العبد ان يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وقاية تقيه منه، وهو تحذير من ترك العمل بالذى تعلمه.

ب- الأدب:

ففى الحديث: (أدبنى ربى فأحسن تاديبى و أمرنى بمكارم الأخلاق فقال: (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) رواه ابن السمعانى فى أدب الإملاء و الجوزى فى الواهيات عن على.

وقالوا: الفضل بالعقل والأدب قبل الأصل والنسب، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن ضل عقله ضل أصله. وقالوا: زك قلبك بالدأب لن حسن الأدب يستر قبيح النسب. وقيل: الأدب ما يحمد قولا وفعلا والأخذ بمكارم الأخلاق. وقال فى العوارف: بالأدب يفهم العلم، وبالعلم يصلح العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وكل الآداب متلقيات عن المصطفى ﷺ فإنه مجمعها ظاهرا وباطنا.

ج- الأمانة العلمية:

والأمانة تقتضى الدقة والصدق فى تعلم العلم و تبليغه للناس وتعليمه لهم وعدم كتمان العلم عنهم خاصة ما كان لهم ضروريا وما ظهرت حاجتهم الماسة إليه أو للخروج من أزمة، فعلى العلماء حينئذ أن يجتهدوا فى البحث عنه وتحصيله و تعليمه لهم.

وفى الحديث: **(نضر الله عبدا سمع مقالتى فوعاها ثم بلغها عنى فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه على من هو أفقه منه)** رواه أحمد وابن ماجة عن أنس.

وفى الحديث: **(مثل الذى يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذى يكنز الكنز فلا ينفق منه)** رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة.

وتقتضى الأمانة العلمية كذلك ألا يعطى العلم للسفهاء وذوى الأخلاق الرديئة ومن لا يقدر للعلم قدره حتى لا يسيؤا استخدامه ولا يتطاولا به على الناس أو يجاروا به العلماء.

فالإسلام يضع قيودا صارمة على السفهاء وهم ناقصو الأهلية بسبب نقص فى العقل أو الخلق، **كما قال تعالى:** ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ [النساء] .

فقد حرم تصرفهم فى الأموال والاقتصاد لخطورة ما يمكن أن يسببه تصرفهم فيها من فساد ما داموا لا يحسنون التصرف فيها على الوجه الذى يعود بالخير على المجتمع.

وإذا كان هذا فى المال واجبا فهو فى العلم أولى وأوجب، ولهذا فقد حذر منه رسول الله ﷺ فى الحديث الذى رواه الحاكم فى المستدرك: (ومن نظر في كتاب أخيه بغير إذنه، فكأنما ينظر في النار، ومن أحب أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أكرم الناس، فليتق الله – عز وجل، ومن أحب أن يكون أغنى الناس، فليكن بما في يد الله أوثق مما في يده). وقال: (أفأنبئكم بشر من هذا ؟). قالوا: نعم، يا رسول الله. قال: (من لا يقيل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنبا، أفأنبئكم بشر من هذا؟). قالوا: نعم، يا رسول الله. قال: (من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره، إن عيسى بن مريم – صلوات الله عليه وسلامه – قام في بني إسرائيل، فقال: **يا بني إسرائيل، لا تتكلموا بالحكمة عند الجاهل فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تظلموا ظالما، ولا تكافئوا ظالما، فيبطل فضلكم عند ربكم.**

يا بني إسرائيل، الأمر ثلاث: أمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله – عز وجل). و قال الحاكم هذا حديث صحيح، قد اتفق هشام بن زياد النصري، ومصادف بن زياد المديني على رواية، عن محمد بن كعب القرظي، والله أعلم.

وروى ابن عساكر عن ابن عباس أن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل فقال يا معشر الحواريين لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها فتظلموها والأمور ثلاثة أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين لكم غيه فاجتنبوه وأمر اختلف عليكم فيه فذروا علمه إلى الله تعالى. وفى الحديث: (واضع العلم عند غير أهله كمقلد الدر أعناق الخنازير). رواه ابن ماجه عن أنس بلفظ طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير الدر والجوهر واللؤلؤ والذهب. وروى أحمد في الزهد وابن عساكر عن عكرمة قال قال عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام يا معشر الحواريين لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنازير فإن الخنازير لا تصنع باللؤلؤ شيئا ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنزير.

ويأت ذلك الحظر لأن الفاسقين والسفهاء إذا تعلموا العلم استخدموه فى محادة وإرهاق أهل الحق، ونهب أموال الناس بالحيل والمكائد والبحث عن طرق تسهل لهم ارتكاب المحظورات وترك الواجبات. وقد حظر رسول الله ﷺ ان يتخذ العلم لغير ما أمر الله تعالى به فقال: (من ابتغى العلم ليباهى به العلماء او يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه ادخله الله جهنم) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة.

ومن الأمانة العلمية التناصح فى العلم كما قال ﷺ:

(تنا صحوا فى العلم و لا يكتم بعضكم بعضا فإن خانة فى العلم أ شد من خيانة فى المال) رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس.

د- الحرص على الاستزادة الدائمة من العلم و التفرغ لطلبه:

ما أعظم الدعاء الذى أمر الله تعالى به نبيه الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، و ما أجمل حديث رسول الله ﷺ: **(إذا أتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى إلى الله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم)** رواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية عن عائشة رضى الله عنها.

وفى الحديث: (اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم) العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان وابن عبد البر في العلم عن أنس وفى الحديث: (طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر). أخرجه ابن عبد البر في العلم عن أنس، وصححه السيوطي.

هـ- ترك ما يتنافى مع الأخلاق العلمية:

و فيما يلى نشير إلى أبرز هذه الآفات:

(١) الإهمال والنسيان وعدم التذكر وعدم التوثيق:

ففى الحديث: **(آفة العلم النسيان وإضاعته أن تحدث به غير أهله)** رواه ابن أبى شيبة مرفوعا معضلا وموقوفا عن ابن مسعود.

وقد بين القرآن الكريم أن أسوأ ما أصاب الكتب السماوية السابقة على نزول القرآن هو ضياع العلم ونسيان ما كان فيها من المعارف القديمة والتى كان سبب ضياعها متراوحا بين النسيان والإهمال المتعمد المقصود

ممن استؤمنوا واستحفظوا عليها. فقد بين القرآن الكريم ما كان فى التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام من نور فى قوله تعالى: ﴿وَالرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَٰبِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة]، **ولكنهم نسوا نصيبا منه و اخفوا جزءا آخر كما قال تعالى:** ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة]، **وهو ما يختص بعبودية عيسى عليه السلام ورسالته وما يؤكد عبوديته وأنه ليس إبنا لله عز وجل حاشا لله كما قال تعالـــــى:**

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص] ، وجاء محمد ﷺ ليبين للناس ما أخفاه اهل الكتاب من حقائق الألوهية والدين فى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة] ، وكذلك ما جاء بالتبشير بمحمد ﷺ رسولا من بعد عيسى والذى أكده الله تعالى على لسان عيسى بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف].

(٢) عدم العمل بمقتضى العلم:

قال تعالى فى حق بنى إسرائيل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف] ، **وقال تعالى:** ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة]، **وقوله تعالى:** ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة]، **ولم يزكى الله تعالى إيمانا إلا ما اقترن منه بالعمل الصالح كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

وفى الحديث: **(تعلموا من العلم ما شئتم ، فو الله لا تؤجروا بجمع العلم حتى تعملوا)** رواه أبو الحسن المدينى فى المالى عن أنس.

(٣) الجرأة على الفتيا بغير علم:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس] ، ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران]، ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود]، وفى الحديث: (أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار) رواه الدارمى فى صحيحه عن ابن أبى جعفر مرسلا.

(٤) سوء استخدام وتوظيف العلم فى الحياة:

وهو توظيف العلم فيما يضر ولا ينفع من تحصيل الشهوات، والإيذاء والإفساد فى الأرض، والتطاول به على العامة أو التباهى به فى مجالس العلم، أو السعى به نحو الجاه او السلطة دون ان يكون قصده منها الخير وابتغاء وجه الله تعالى.

وفى الحديث: (احذروا الشـهوة الخفية) قالوا يا رسـول الله وما الشـهوة الخفية قال: (العالم يحب أن يجلس إليه) فرواه عن أبى هريرة والعلانى فى أماليه عن على كرم الله وجهه. وهو العالم الذى يحب أن يجلس الناس فى مجلسـه دون غيره، لأن ذلك يبطل عمله لتفويته الإخلاص وتصـحيح النية، فإن الأولى من حفظ العلم هو صونه عما يفسده كالرياء والعجب والتعاظم بإظهار علمه، فذلك سهم من سهام إبليس لعنه الله. وقال الجنيد: فى الدنيا طغيانان: طغيان العلم، وطغيان المال، فالمنجى من طغيان العلم العمل ومن طغيان المال الزهد.

(٥) أن يبتغى بعلمه وجه الله تعالى:

وهو تنفيذ للمبدأ الإ سلامى العام وهو التوجه بكل شئ فى حياة المـسلم لله رب العالمين و منه العلم بلا شـك وهو تبعا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام]، وفى الحديث: **(من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء او يصرف به وجوه الناس إليه ادخله الله جهنم)** رواه ابن ماجة عن أبى هريرة.

وفى الحديث: (من تعلم العلم لغير الله فليتبوا مقعده من النار) رواه ابن ماجة وبن حبان و الحاكم عن جابر.

(٥) سوء الأخلاق و أخطرها الكذب و كتمان العلم:

فعن الكذب فى العلم قال رسول الله ﷺ: (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) رواه الجماعة و غيرهم عن انس وعن أبى هريرة و ابن مسعود وغيرهم. وعن كتمان العلم قال رسول الله ﷺ: **(من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة)** رواه أحمد و أصحاب السنن الأربعة و أبو داود و الحاكم عن أبى هريرة. وفى الحديث: (كاتم العلم يلعنه كل شئ حتى الحوت فى البحر والطير فى السماء) أورده ابن الجوزى فى العلل وصححه السيوطى.

ومن صور الجهل التى سادت قبل الإسلام:

فقد كان للجهل صورتان كما قلنا سابقا:

الأولى: عدم المعرفة.

الثانية: المعارف الخاطئة عن الله عز وجل وعن الكون والنفس الإنسانية.

ثالثا: العوامل النفسية وأثرها فى قبول أو رفض دعوات الإصلاح وصدهم ما كانوا يعبدون من دون الله من هوى وشيطان ونحوه.

وتعتبر شهوات النفس الإنسانية من العوامل الهامة المؤثرة فى قبول أو رفض ما هو معروض على الإنسان من الفكر الجديد أو دعوات الإصلاح والتجديد. و قد بين رسول الله ﷺ أن النفس إن خبثت صارت أعدى أعداء الإنسان لأنها عدو يعيش بين جنباته ولصيق به وفى الحديث: (أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك) وفى حديث أخر: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والشيطان) فالشيطان يسعى من خلال النفس الإنسانية أن ضل الإنسان وأن ينأى به عن سواء السبيل.

ومن أهم الشهوات المؤثرة فى قبول الدعوات إتباع الهوى وشهوة التسلط والزعامة والسيطرة على مقاليد الأمور، وإتباع الملذات الجسدية والجنسية، وقد نبه القرآن الكريم على أهميتها بقوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ [النساء]، فأصحاب الشهوات يرون فى الدعوات الجديدة مقيدة لشهواتهم فيرفضونها أما من ظلموا من جراء تسلط المتسلطين، ومن يجدون فى الشهوات وإتباعها خروجا على الفطرة الإنسانية، فتراهم يسارعون إلى إتباع الأديان أو المذاهب التى ترشد تلك الشهوات وتقيدها بما يقلل من أخطارها و مساوئها.

وتتمثل أهم الشــهوات المؤثرة فى قبول الدعوات فى شــهوة النفس إتباع هواها تحت مســمى الحرية أو التحرر من القيود والقيم وهى التى قال تعالى عنها: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف]، ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

وأما شهوة التسلط والزعامة والسيطرة على مقاليد الأمور فهى التى تبدأ مراحلها الأولى بحب السيطرة والزعامة مع عدم السعى إلى خدمة الشعوب والإرتقاء بها، وتنتهى – إن لم يكبحها كابح – إلى إدعاء الفضل على من يتزعم أمرهم ثم دعوى الربوبية وقد تصل فى النهاية إلى إدعاء الألوهية ومثالها فرعون وهامان، وإن شئت فانظر هذا التدرج معه فى قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف]. ولما أقروه على دعواه والتى أوردها كحقيقة لا تحتمل الشك انتقل إلى مرحل أشد و التى أشار إليها القرآن فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص] ، ثم كانت المهلكة حين إدعى انفراده بالألوهية كما بينها قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات]، وشهوة النفس للمال وشهوة النفس للملذات الجسدية والجنسية، وقد نبه القرآن الكريم على أهميتها بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء]، فأصحاب الشهوات يرون فى الدعوات الجديدة مقيدة لشهواتهم فيرفضونها أما من ظلموا من جراء تسلط المتسلطين، ومن يجدون فى الشهوات وإتباعها خروجا على الفطرة الإنسانية، فتراهم يسارعون إلى إتباع الأديان أو المذاهب التى ترشد تلك الشهوات وتقيدها بما يقلل من أخطارها ومساوئها. وكانت تلك الشهوة هى التى حالت بين فرعون و بين قبول دعوة موسى عليه السلام له. فقد جاءه موسى مطالبا إياه و الملأ من حوله بعبادة الله الواحد الأحد كمطلب دينى، ثم تحرير بنى إسرائيل وعدم استعبادهم كمطلب إنسانى.

وقد اختلف تسجيل القرآن لدعوة موسى لفرعون عن تسجيله لسائر دعوات الأنبياء السابقين له، لأن تسجيل القرآن ليس تسجيلا لوقائع تاريخية ظاهرة فقط بل يسجل من بواطنها وأسرارها ما لا يعمه إلا الله عز وجل دون سائر المؤرخين. لأنه سبحانه وتعالى يعلم حقائق وبواطن الأمور كما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]، وهذا أحد أوجه الإعجاز فى الخطاب القرآنى والذى لا يمكن لبشر أن يبلغوا مداه وإن تعاونوا مع غيرهم من الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، فقال تعالى فى توجيهه

سبحانه وتعالى لمنهج دعوات الأنبياء لأقوامهم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف] ، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف].

أما عن دعوة مو سى لفرعون فلم يكن فرعون ينظر إلى شعبه وقومه على أنهم أهله وإخوته وإنما كان ينظر إليهم على أنه ملكهم الذى يملكهم كشعب وما يعيشون عليه من وطن و ما يضمه من أرض وموارد. كما انه كان المنفرد وحده بالقرار لهذا قال تعالى لموسى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه] ، ففرعون إن آمن فقد انتهت مشكلة شعبه وقضيتهم، وعلل أن تكون الدعوة للرأس الكبير فرعون بأنه قد طغى، أى تجاوز الحدود اللائقة والمسموح بها فى سلطات الحاكم، وتعدى ما تعارف عليه الناس من واجبات الحاكم ومسؤولياته والتزاماته نحو شعبه، فهو ليس مستخلفا عليهم يرعى شؤونهم ويسهر على راحتهم بل هم مسخرون له يرعون شؤونه ويسهرون على راحته وملذاته.

رابعا: العوامل البيئية و أثرها فى قبول أو رفض دعوات الإصلاح:

البيئة هى الوسط الذى يجمع تلك العوامل المختلفة ذات التأثير على الإنسان، ويوجه التفاعل بينها وهذه البيئة يمكن تقسيمها إلى:

أ- البيئة المادية:

وهى البيئة التى تسيطر عليها الماديات بدرجة كبيرة، سيطرة تجعل الإنسان يعيش فيها مع شهواته وملذاته حياة تقوم على المتعة المجردة وتتسم بالإسراف، فهذا الصنف من الناس يعيش حياته كما يعيش الحيوان فى الغابة، قصارى أمله فى وجبة تذهب جوعه أو شهوة يقضيها، ونعلم أن الحيوان لا يطور حياته، ولا يبنى ثقافة أو حضارة، **ولكن الإنسان الذى هذا نهجه أسوأ من الحيوان وأدنى مكانة** فهؤلاء وأمثالهم يصدق فيهم ما قاله تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف]، **لأن الأنعام غير عاقلة أو مكلفة كالإنسان لذا فهى لم تخلق لتبنى ثقافة أو حضارة، بل لتكون كما قال الله تعالى عنها مصدرا للغذاء ونقل الإنسان والزينة والجمال:** ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل] ، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل]، فمثل هذا الإنسان لا يبنى حضارة خير ذات قيمة وإن توسع فى العمران والبنيان وشيد القصور

وجيش الجيوش الجبارة، لأنها حضارة تفتقد إلى قيم خير توجهها إلى ما فيه خير الإنسان، ولن يكون عائدها على الإنسان إلا حروبا ودمارا وفقرا و خسرانا مبينا.

ب- البيئة غير المادية:

وهى البيئات التى تغلب عليها ثقافة الجاهلية خا صة الجاهلية التى تقوم على أو تدعو إلى الجمود الفكرى ورفض التجديد والحرص على الثبات على الموروثات العقائدية والفكرية دون أدنى رغبة فى إعادة النظر فيها بالفهم أو التقييم أو التأكيد لثوابتها أو التطوير أو التجديد لنسيجها أو مبادئها أو آليات تفعيلها أو التحقق من سلامة غاياتها وأهدافها ومنهجها أو جوهرها أو حتى ظاهرها. إنها بيئة يصيبها جمود يشبه ما أ صاب أمتنا فى عهودها المعاصرة، أمام قضاياها المصيرية فأوقفها جامدة لا تستطيع أن تتحرك حركة تتقدم بها إلى ما هو خير مما هى فيه من التخلف وجعلها تتسم بفقد القدرة على صياغة الأهداف والغايات والمناهج فضلا عن تفعيلها وتحويلها إلى واقع يعيشه الإنسان. إن الإنسان الذى تربى فى بيئة تقوم على الظلم ولا تغرس فى أبنائها الحرية بأسمى صورها، ونعنى منها حرية إبداء الرأى وحرية الاختلاف مع الآخر وحرية الحوار وحرية فهم الموروثات وإعادة قراءتها قراءة تلائم العصر ومتغيرات الحياة وتستطيع أن تنطلق من هذه القراءة إلى رؤية جديدة تغيير فيها حياة الإنسان إلى ما هو أفضل. إن من يفتقد كل ذلك يفتقد القدرة على استيعاب الفكر الجديد أو التكيف معه ويكون أشد بعدا عن امتلاك القدرة على تطور أو تجديد حياته أو فكره أو ثقافته.

وإلى أمثال هؤلاء أقول: (إنك لن تتطور إذا أعجبك اليوم من أدائك ما كان يعجبك بالأمس بنفس القدر). أو: (إنك لن تتطور إذا أعجبك اليوم أداءك بالأمس بنفس القدر). أى أن رأيك اليوم فى القديم الذى كنت عليه بالأمس لم يتطور و لم يجد اليوم فى أدائك ما هو خير منه أو ما يلزم إضافته إليه أو حذفه منه.

الفصل الثالث

لماذا يحاربون الإسلام والمسلمين

لماذا يحاربون الإسلام والمسلمين:

لقد بدأت هذه الحروب الطويلة الأمد التى دارت رحاها ضد المسلمين منذ أن نطق محمد رسول الله ﷺ بكلمات الإسلام الأولى وبكلمات الحق الأولى من القرآن الكريم حين قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨)﴾ [العلق]، واستعرت هذه الحروب منذ بدأ رسول الله ﷺ يطوف فى مكة قائلا: وهو ينادي بأعلى صوته: (**يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا**)، ورجل يتبعه بالحجارة وقد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس! لا تطيعوه فإنه كذاب؛ قلت: من هذا؟ قالوا: غلام من بني عبد المطلب، قلت: فمن هذا يتبعه يرميه؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى – وهو أبو لهب. أخرجه ابن أبى شيبة فى مسنده عن طارق بن عبد الله المحاربي.

وكان رسول الله ﷺ هو هدف الحملة الشرسة الأول والأهم ... لأنهم كانوا موقنين أنهم بانتصارهم عليه ينتهى كل شئ ...

لقد كان كفار مكة يعرفون خلقه العظيم الكريم، بل لخصوا خلقه الكريم فى الجاهلية فى صفتين جامعتين لكمالات مكارم الأخلاق وخصوه بهما دون غيره من وجهاء مكة والعرب وهما (الصادق الأمين)، إنه خلق لم يألفوا مثله فى عظمائهم ولا مشاهيرهم لأنها كانت أخلاق إمام الأنبياء والرسل وأخلاق الأنبياء فوق كل ما يعهدون ويعرفون كرامة وسموا وعلوا ...

لقد اتهمه الكفار منذ البداية بشتى التهم ونسبوا إليه شتى النقائص ... رغم أنهم كانوا موقنين بأن ما عهدوه عليه من مكارم الأخلاق كفيل بأن يبرؤه من تلك التهم ويحول بينه وبين تلك النقائص ...

لقد اتهموه أو زعموا أو ادعوا أو تمنوا أن يكون طامعا من وراء دعوته فى سلطان ومكانة بين قومه فعرضوا عليه أن يكون زعيمهم ويترك ما جاء به من دعوة الحق ... ولكنه فاجأهم بقولته الشهيره.

(كما فى الرواية المطولة التى رواها ابن كثير فى البداية والنهاية) لعمه أبو طالب الذى توسط لهم فى الأمر: **(يا عم والله لو و ضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته)** ... فقطع عليهم سبيل الإغراء بترك الدعوة عن طريق الإغراء بالشهرة والسلطان ...

واتهموه بأنه يريد مالا فعرضوا عليه أموالهم يغترف منها ما شاء ومتى شاء فرفض ...

واتهموه بالجنون ... لأنه كان فى عرفهم أن من يترك تلك العروض العظيمة والمزايا الهائلة التى عرضوها عليه من مال وجاه وسلطان وزواج بخير النساء وقصور ويزهد فى كل ذلك ويقبل أن يكون محل عداء قريش وهدفا لحربها، وهم على ما هم عليه من القوة والمنعة لا يمكن أن يستحق أن يوصف عندهم أو فى عرفهم بأدنى من الجنون.

وقد دافع رب العزة عما اتهمه به كفار مكة من الجنون بقوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، فهل بعد أن أنزل الله تعالى على رسوله هذا القرآن الكريم وهذا الهدى، يتهم بأنه مجنون ... وهل يمكن لعاقل أن يصف صاحب الخلق العظيم بالجنون؟

إنهم لا يظنون أن عاقلا يرفض ما عرضـوه عليه ليترك دعوته لأنهم من فرط جهلهم برسـالته رأوه يرفض النعيم والراحة مقابل الشقاء ويرفض الكرامة مقابل الإهانة ويرفض العزة بين قومه مقابل المذلة.

إنهم جهلوا أن تكون الغاية من رسـالته ﷺ أعظم من أغلى ما يملكون ومن كل ما يملكون وأعظم من كل ما يخطر ببالهم من متاع الحياة الدنيا الفانية وما فيها من أموال وجاه وسلطان وقصور ونساء ...

لقد جهل كفار مكة وأمثالهم أن الله عز وجل هو غاية رسول الله ﷺ ... وهل يصلح أن يكون ما عرضوه عليه من متاع الدنيا عوضا عن الله عز وجل يغرى رسول الله ﷺ ليترك دعوته إلى الله مقابل هذا المتاع البسيط الزائل ... بل إن الذى عرضوه عليه من متاع الدنيا وزينتها لا يملكونه هم، بل الملك كله لله ... فهل يرضى رسول الله ﷺ ببعض ملك الله بديلا عن الله عز وجل ... ما أجهله بقدر الله ورسوله من عصى رسول الله أو أنكر رسالته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعام] ، **وقوله تعالى:** ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج]، **وقوله تعالى:** ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

لقد أمره الله تعالى أن يبين لهم وللعالمين أنه لا يرجو من وراء ودعوتهم أجرا من أحد من البشـر على رسالته فقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام] ، ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [يوسف]، وهل يمكن لأحد من البشر أن يعطيه أجرا يكافىء ما أنزله الله تعالى عليه من القرآن والذكر الحكيم؟

وهل هناك من متاع الدنيا ما يعدل ما أنزل الله على رسول الله ﷺ من الذكر الحكيم والهدى المبين ؟

وهل يســتطيع أحد غير الله عز وجل أن يعطيه ما يليق به من أجر غير الله تعالى؟ لهذا أمره الله عز وجل أن يقول لهم أن أجره لا يمكن أن يوفيه له غير الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ [سبأ]، **ولهذا أيضا أمره الله عز وجل:** ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى]. فأمره أن يقول لهم: إن أدركتم أن ما جئتكم به من عند الله خيرا أســتحق عليه أجرا، فيكفينى منكم أن تودوا قرباى وآل بيتى ... فهذا هو ما يمكنكم أن تعبروا به عن صدق تقديركم لما أر سلنى الله تعالى به إليكم من الهدى و دين الحق ... إن أردتم أن تقر عينى بكم فأعطوا آل بيتى ما يستحقون من حب وتقدير واحترام.

أما كفار مكة ومن اتبع نهجهم من مفكرى عصرنا فقد ادعوا أن رسالته ﷺ كانت خاصة بهم دون غيرهم، كما كان الأمر فى ر سل بنى إ سرائيل مو سى وعيـسى وداود و سليمان وغيرهم ... لقد تنكروا لما أكده لهم رســول الله ﷺ أنه جاء للعالمين نذيرا و بشـيرا ... ولو كان مكلفا بدعوة أهل مكة وحدهم لما أمره الله تعالى ولما أذن له بالهجرة إلى المدينة ... أو لعاد واســتقر فى المدينة بعد أن أظهره الله تعالى على أهلها وقضــى على رموز الكفر والطغيان فيها ...

وقد استمرت الحملة على مر التاريخ ...

وسار أعداء الإسلام على نفس الخطى التى سار عليها أهل الجاهلية من قبل...

فأنكروا أن يكون محمد رســول الله ﷺ مبعوثا من الله عز وجل لهداية البشــرية، وأن هذا الدين لم يأت بالجديد لأن ما فى الكتب السابقة كاف لهداية البشرية، وأنها لا حاجة لها لما جاء به محمد ﷺ.

وقالوا أن ما جاء به من القرآن وما فيه من القصص وأخبار الأمم السابقة مأخوذ عن كتبهم المقدسة وعن العهد القديم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل] ، **وكما جاء فى قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال]، **وقوله تعـالى:** ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان] .

وأنكروا على الإسلام كل ما جاء به من الحق ...

فأنكروا عليه أن دعاهم لعبادة الله الواحد الأحد ... واتهموه بأنه بما جاء به من دعوة الناس إلى عبادة الإله الواحد الأحد يختزل الآلهة فى إله واحد : ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ [ص].

... وكيف لا يعجب من ذلك قوم تعددت آلهتهم، وعبدوا وقدسوا كل شئ ...

عبدوا الرسـل حين جعلوا عيسـى إلها وهو عبد الله ورسـوله ... فهو عند فئة منهم هو إله مع الله ... وعن طوائف أخرى منهم ... هو الله ذاته ...

وعبدوا الملائكة ... وجعل بعضهم الملائكة بنات الله ...

وعبدوا النجوم والكواكب كما قال تعالى عنهم على لسان إبراهيم ساخرا **منهم** ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام].

وعبدوا الصالحين من علمائهم أمثال ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر...

وعبدوا الأحجار والأصنام التى صنعوها بأيدهم ...

وعبدوا ما صنعوا من رموز مقدسة علقوها على صدورهم وفى منازلهم ورسموها فى أماكنهم المعتبرة ...

وعبدوا الشيطان ...

وعبدوا هواهم واتبعوا ما يأمرهم به من الفسوق وسوء الأخلاق ...

واتهموا الرسول ﷺ بأسوأ النعوت وبما برأ منه أشد البراءة ...

فقالوا عنه أنه مجنون ...

وقالوا عنه أنه كذاب ...

وقالوا عنه أنه شاعر ...

وقالوا عنه أنه يعلمه بشر كما شهد عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

ولم يعجبهم فعله فى أنه يظهر لهم ببشريته فيأكل الطعام ويمشى فى الأسواق: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان].

وأنكروا على الإسلام كل ما دعاهم إليه من مكارم الأخلاق ...

وكانت رؤيتهم إلى الإسلام المتمثل فى كتابه ورسوله ومبادئه ومنهجه رؤية عجيبة ومنكرة، تعكس جاهليتهم وأحقادهم وسوء أخلاقهم ...

وكانت مطالبهم من الرسول ﷺ أعجب واشد نكرانا ...

فطلبوا منه أن يأت بغير هذا القرآن أو يبدله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس]، **و طلبوا منه أن ينزل معه ملك**﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان] .

وطلبوا منه أن يريهم ما عجز موسى عن فعله وهو أن يريهم الله جهرة ...

وطلبوا منه أن ينزل عليه القرآن جملة واحدة كما كان الأمر مع التوراة ...

وطلبوا منه أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار ...

إلى غير ذلك من عجائب مطالبهم التى تدل على جهلهم بالله والكون والحياة ومكارم الأخلاق ...

لقد سار من عادى رسول الله ﷺ من المعاصرين على خطى أهل الجاهلية من الكفار والمنافقين وأهل الكتاب الذين عاصروه ... لقد اتبعوا نهجهم وغرقوا فيما غرقوا فيه من مستنقعات الجهل، واتسموا بما اتسم به سابقوهم من سوء الخلق وامتلأت قلوبهم حقدا وحسدا وغلا وكراهية على ماتكرم الله تعالى به عليه من الهدى ودين الحق رغم تصديقه لما جاء به من سبقه من المر سلين، ورغم توافقه مع العقل السليم والفطرة السليمة.

أسباب الحروب بصفة عامة:

لا يمكن أن تنشب الحرب إلا مع عدو ... وإذا أردت لأى سبب أن تقنع شعبك ومقاتليك وبنى وطنك بحرب يدفعون فيها أموالهم ويفقدون فيها أمنهم وسلامهم وأموالهم ... فلابد أن تقنعهم أولا بعداوة من تريد قتاله ... لأن النفس الإنسانية فى الحياة الدنيا مفطورة على حب الأمن والسلام وحب المال والبنين **كما قال تعالى:** ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾ [آل عمران]، ولا تقبل أن تفرط فى شئ من ذلك إلا إذا ظهر لها ما يهدد ذلك، أى ما يهدد أمنها وسلامها أو عرضها أو أرضها أو أموالها ... فهذه الأخطار هى التى تحفز الإنسان لشن الحرب على من يحاول أن ينتقص ذلك منه.

أسباب عداء الغرب للإسلام والمسلمين (شنهم الحرب على المسلمين):

إن السبب الحقيقى الكامن من وراء حرب الغرب التى يشنها ضد الإسلام والمسلمين هو اتخاذهم الإسلام عدوا لهم ... لأنه كما قلنا مسبقا: لا يمكن أن تنشب الحرب إلا مع عدو ...

وما أصعب أن يبرر مفكروا الغرب عداوتهم للإ سلام، إنها مهمة غاية فى المشقة أن تثبت لأى إنسان ذى عقل سليم وفطرة سليمة أن هذا الدين خطر على الإنسانية ...

وأى فساد يمكن أن يصف به عاقل منصف دينا يدعو إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وترك كل ما يعبد من دون الله ...

أى فساد يمكن أن يصف به عاقل منصف دينا يدعو الناس إلى التمسك بمكارم الأخلاق، ويجعل ذلك من ضرورات الإيمان التى ينتفى بنفيها ...

لقد دعا الناس إلى مكارم الأخلاق فى قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾ [الأنعام] ، **وقوله تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [الأعراف] ، **وفى قوله تعالى:** ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (٣٧) كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ﴾ [الإسراء].

وحرم رسول الله ﷺ الكبائر حين قال فى حديث أبي هريرة المتفق عليه (اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)، وحديث: (الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس) رواه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد عن عمرو.

و شرع أن يكون حسن الخلق مع الناس كافة وليس قا صرا على تعاملات المسلمين بعضهم مع بعض فى قوله ﷺ:

(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن). رواه أحمد في مسنده والترمذي والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذر. والناس هنا لا تقتصر على المسلمين بل تشمل الناس كافة فى جميع بقاع الأرض، وعلى مر الزمان.

أى قيمة لدى الآخرين تعدل قوله تعالى فى سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

لقد بينت بجلاء علة ما نراه فى الأرض من فساد، وبينت المخرج السليم مما يعانى منه الإنسان من الخسران فى حياته الدنيا.

فأى عاقل منصف ينكر على الإسلام ذلك؟

وأى وصف يستحقه من ينكر ذلك على الإسلام، هل هو الجهل، أو الغباء، أو التعصب الأعمى، أو الحماقة أو سوء الخلق والتربية معا ... أم أنه مزيج ردئ يجمع كل تلك النقائص معا فى شخص واحد ...

واتهموا قيم الإسلام بما برئت منه أشد البراءة ...

فأنكروا عدالة الإسلام وقالوا أنه ظلم المرأة ...

وهو الذى حفظ حياتها حين حرم وأد البنات ...

وهو الذى جعل لها حقها فى مالها بعد أن كانت هى وما تملك ... ملكا لزوجها ... وبعد أن كانت سلعة تباع وتشترى ...

و حفظ لها اسمها فليست تفقده و تنسب لزوجها كما يفعل الغرب اليوم ...

وأعطاه الحق فى اختيار زوجها وحياتها وأعطاها حق القبول والرفض وحرم ان يكرهها وليها على زوج لا ترتضيه لنفسها ...

وحصن شرفها وكرامتها وغلظ عقوبة رميها بالفاحشة وأحاطها بأقوى الضمانات حتى لا يستطيع واهم او غوى أو سفيه أن يتهمها فى أخلاقها أو شرفها أو عرضها ...

وخفف عنها المسئوليات والالتزامات مقارنة بالرجل لتعطى أكبر قدر من عطائها لتربية الأجيال وصنع النساء والرجال الصالحين ... فالرجل هو القائم على أمرها ومسئول عن توفير مقومات الحياة لها ولأبنائها حتى يكبروا ... وإن شاءت فلا حرج ... وهذا اختيارها التى لا تكره عليه ولا تلزم به كارهة مرغمة ...

وكلف الرجل بالقتال والدفاع عن الوطن والأرض والعرض والدين ... أما المرأة فإن شاءت أن تشارك فى ذلك ... شاركت بإرادتها الحرة لتقوم بدور فى هذا الشأن فهذا شأنها واختيارها الذى لا تكره عليه و لا تلزم به كارهة مرغمة ...

وأنكروا ما دعاهم إليه الإسلام من فهم حقيقة الحياة وأنها مزرعة للآخرة، وأنكروا ما دعاهم إليه من الإيمان باليوم الآخر ... فكان فهمهم للحياة الدنيا كما بينه قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية].

واتهموا المسلمين بأنهم كانوا مجرمين وقتلة ... رغم أن كافة المعارك بين المسلمين وأعدائهم فى العصور الحديثة قد دارت على أرض المسلمين ... وكانوا دائما هم المعتدى عليهم وهم المحتلة أرضهم ...

وعلى شبكة الانترنت تجد العجب العجاب فهذا قبطى مهاجر يصف الفتح الإسلامى بأنه كان احتلالا لمصر، وأنه أكره الأقباط على الدخول فى الإسلام ... وآخر يتحدث عن اضطهاد الأقباط فى مصر ومنعهم من بناء الكنائس ... ومن يحث الغرب على نصرة المظلمين المضطهدين فى مصر ...

ولم أعر هؤلاء اهتماما ... لأننى لست جهة منوط بها النظر فى تلك الدعاوى بالإيضاح أو الرد، ولست طرفا فى هذه الدعوى ... فلست من جهات إصدار التراخيص لبناء الكنائس ، ولم أكن ممن حضروا لمصر فاتحين ... ولم أقم يوما بقتل مسيحى لأنه رفض أن يدخل فى الإسلام ... كما أن هذه الدعوات الباطلة

مســتمرة منذ بعث رســول الله ﷺ إلى يوم القيامة، وهى لن تطفئ نور الله تعالى كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة] ، **وقوله تعالى:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف].

والدليل على ذلك أن تلك الحملات وأمثالها على مر التاريخ لم تزد الإسلام إلا قوة وثباتا، لأن الله تعالى هو الذى تكفل بإتمام هذا النور للعالمين، ومن ذا الذى يقدر على أن يوقف إرادته عز وجل؟

ولكن لست أدرى رغم كل ما سبق، لم استمرت هذه الكلمات تطارنى أشباحها، ولا أجد نفسى قادرا على الفكاك من تداعياتها فى نفسى. هل مرجع ذلك إلى ما أشهد عليه مما تحتويه من ظلم، حتى لو كان هذا الظلم واقعا على غيرى، وهل بسكوتى عنه أكون ككاتم لشـهادة الحق التى يأثم بكتمانها، وهل نحن كأمة الشـهادة مطالبون بأن نعلن شهادة الحق ولا نكتمها حتى لو كانت القضية تخص غيرنا أو لم نكن طرفا فيها ...

ومضـت أيام وسـنون ... وذات يوم طالعت فى مقال مسـيحى على النت يتحدث عن تاريخ المسـيحية فى مصـر، فإذا به يؤكد على أن نسـبة النصـارى فى مصـر حتى نهاية حكم عمرو ابن العاص لم تكن تتجاوز ربما الخمســة فى المائة ... وأن الإســلام قد تحول تدريجيا من دين تدين به الأقلية إلى دين الأغلبية على فترات زمنية طويلة، وأنه لم يصبح الدين الغالب إلا بحلول القرن الثانى عشر الميلادى ... أى قرابة أربعة قرون ... فقلت: أليس هذا التحول التدريجى على مدى أربعة قرون دليلا على أن انتشار الإسلام فى مصر كان اختيارا و طواعية وليس قسرا أو قهرا أو إجبارا ...

والعجيب أنك ترى أن الإسلام قد انتشر فى الأندلس (أسبانيا و البرتغال حاليا) فى نفس المدة تقريبا، أى نحو أربعة قرون، **مما يدل على أن الإكراه لم يكن قط وسيلة مشروعة أو مأمورا بها من الله و رسوله لنشر هذا الدين على مر التاريخ...**

وإذا كانت أغلبية هذا الشعب المصرى قد اختارت الإسلام، بينما اختارت الأقلية البقاء على المسيحية، أليس من الأكرم أم تحترم الأقلية اختيار الأغلبية كما تحترم الأغلبية اختيار الأقلية، فى دين يضـــم من بين نصوصه المقدسة **قوله تعالى:** ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ البقرة: ٢٥٦ **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

ومن العجيب أيضا أنك تجد أن فترات توسع الإسلام وانتشاره الواسع ودخول فيه بكثرة، كانت مرهونة بما يلتزم به المسلمون من مكارم الأخلاق مع الآخرين ...

فقد ازداد دخول الآخرين فى الإسلام فى فترات ارتقاء المسلمين دينيا وخلقيا...

وانحســر المد الإســلامى فى العهود والبلاد التى انحســر فيها الحرص على مكارم الأخلاق والتمســك بمبادئ الحضارة ...

مما يؤكد على أمرين:

أولهما: أن نظرة غير المسلمين إلى الإ سلام قد تنبع فى كثير من الأحيان من نظرتهم للمسلمين، فيرون فى المسلمين صورة الإ سلام، ويرون فى أخلاق المسلم أخلاق نبى الإ سلام محمد ﷺ. وهم بذلك يرون أن عيوبهم وســوء أخلاقهم وبعدهم عن قيم الحق والعدل، إنما يرجع إلى ما يمليه عليهم دينهم ... وأن ما عليه بعض المسلمين من التعصب أو المغالاة ضد الآخرين وعدم التزام السماحة وحسن الخلق وإهمال الالتزام بمبادئ السلوك المتحضر فى حياتهم إنما يرجع إلى دينهم وما يأمرهم به ... وفى هذا تأكيد على عظم مسؤولية المســلمين تجاه دينهم الحنيف، فإن خروجهم على تعاليمه و عدم التزامهم بها ، يصــبح من أهم عوامل وأســباب صــد الآخرين عن الدخول فى الإســلام وكراهيتهم له، كما أن المســلم الملتزم بصــحيح عقيدته ومكارم الأخلاق، يصــير داعية خير لدينه ومحفزا لهم على الدخول فيه وربما فاق دوره دور كثير ممن اعتلوا منابر المساجد أو ملأوا القنوات الفضائية بأحاديثهم الداعية للإسلام.

ثانيهما: أن دخول الآخرين فى الإ سلام كان تعبيرا عن رغبة حرة و صادقة فى إتباع دين الإ سلام، لأنه دين يقوم على عقيدة حق توحد الله عز وجل وتنهى عن عبادة من ســواه وتنزهه عما ألصــقه به المضــللون من صــفات النقص التى لا تليق بكماله وجلاله. **وعلى تعظيم مكارم الخلاق وجعلها ركنا عظيما فى هذا الدين ودليلا على صدق إيمان المؤمنين به،** والتى تؤكدها النصوص الدينية و منها قوله ﷺ فى الحديث: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له). أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أنس وقوله ﷺ وحديث: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). رواه البخاري في الأدب المفرد وأخرجه أحمد والحاكم عن أبي هريرة وحديث: (إن من أكمل الإيمان حسن الخلق). الخرائطي في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة، وفى رواية أبى الشيخ عن أبي هريرة :(كمال الإيمان حسن الخلق).

وقوله ﷺ: (والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه)ا وقوله ﷺ: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه). رواه البخارى وأحمد عن أبي شريح، وفى رواية مسلم عن أبي هريرة: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه). وفى الحديث: (والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: يا رســول الله: ومن؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه). رواه البخارى و أحمد عن أبي شريح.

والأعجب من ذلك هو أن المسيحية حين كانت الدين الغالب فى مصر كانت لها كنائسها المنتشرة فى كل مكان فى مصر، فلما جاء الفتح الإسلامى أبقاها كما هى، والدليل أن كافة الكنائس القديمة كانت جميعها قبل الفتح الإســلامى. ولم يكتف المســلمون بذلك بل ســمحوا لهم ببناء عدد كبير من الكنائس والأديرة على مر التاريخ والتى أظن أنه من الصعب حصر أعدادها وإجمالى مساحاتها الشاسعة وأحجامها الكبيرة فى أرجاء مصر. رغم أن دينهم قد صار على مر الزمان دين الأقلية فى مصر.

أما ماذا يفعله الغرب المسيحى الذى تقيم فيه أقلية مسلمة ... فقد كان نقل الناس عن دينهم إلى المسيحية قسرا وعنوة ...

والمتابع لتاريخ محاكم التفتيش فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة يتأكد لديه ما فعلوه باليهود والمســلمين معا ... فقد صادروا فيها كتبهم وأعدموا دعاتهم، إن قيل أن هذا إنما كان فى العصور الوسطى حيث بلغ الظلم والاضطهاد المسيحى والعنصرية مبلغا لم يبلغه الاضطهاد الرومانى لهم فى مصر وباقى بقاع الإمبراطورية الرومانية ... تلك الفترات التى كانت سببا فى طرد المسيحية بصورته العنصرية من قلوبهم وحياتهم ورفض الغرب لأى دور فاعل للمســيحية فى حياة الإنســان الغربى ... وتحول معظمهم إلى العلمانية ... وبقاء المســيحية فى نظر الآخرين تاريخيا ... يلتمســون فيها قدرا من التنفس بعيدا عن ماديات الحياة فى الغرب وطغيانها ...

ولم يكتفوا بذلك بل حرموهم من توارث ملكيتهم للمساجد(و لم تعد تخص المسلمين فى شئ وليس كما فى بلاد الشرق ومصر التى تعتبر فيها الكنائس دور عبادة للنصارى يمارسون فيها شعائرهم ويعلقون فيها صورهم وتماثيلهم وصلبانهم) بل صارت ملكية للدولة وحرموهم من استخدامها لأداء العبادات والشعائر الدينية الإسلامية فيها، وحولوا الكثير منها إما إلى كنائس أو متاحف كشاهدة تحكى الظلم الغربى للإسلام واضطهادهم للمسلمين وعنصريتهم تجاه من ارتضى الإسلام دينا على مر التاريخ ...

وفى هذه الأثناء التى أتابع فيها كتابتى لهذه السطور أستمع بغير توقع أو ارتقاب لخبر تذيعه إحدى القنوات الفضائية والذى تزف فيه البشرى لمسلمى مرسيليا فى فرنسا لأن المسئولين فى فرنسا قد وافقوا لهم على بناء أول مسجد فى مرسيليا، والذى كانوا قد تقدموا بطلب لبنائه منذ عام ١٩٣٠م. أى بعد قرابة الثمانية عقود (من عام ١٩٣٠م حتى عام ٢٠٠٩م) حصل أهل مرسيليا على ترخيص ببناء مسجد لهم فى بلد الحرية والنور ... فرنسا ...

أما فى بلادنا مصر ... فالوضع مختلف فبينما تسير على طريق مصر السويس الصحراوى فتجد دير (بطموس) ينمو يوما بعد يوم، ويشرعون فى الإنشاء حتى قبل الحصول على التراخيص وا ستكمالها ... وما كنت أدرى ما تعنى (بطموس) حتى تذكرت أننى قد رأيتها على الخريطة الملاحية الإلكترونية وأنا على متن الطائرة الإيرباص المتوجهة إلى باريس عند سفرى إليها عام ٢٠٠٢ م فرأيتها (كما أتذكر الآن) كمدينة أو نقطة فى البحر المتوسط عند عبورنا قريبا منها، وليست أدرى ما هى العلاقة بين تلك النقطة فى البحر وبين ما الدير الذى أنشئ على طريق مصر السويس الصحراوى والذى لم يستغرق الترخيص لإنشائه بالطبع ثمانية عقود كما استغرق ترخيص مسجد مرسيليا ذلك الثغر الجميل فى فرنسا بلد النور والحرية؟

والآن وبهذه المنا سبة، أقول لهذا القبطى الفضائى المهاجر الذى هجر كل القيم ومكارم الأخلاق وهجر عقله ووعيه وإنصافه وخسر حبه للخير للناس ولكافة الأديان وخسر نفسه وخسر كل شئ ذى قيمة بخسرانه لكل ذلك ... أقول له: ترى ماذا كنت تقول لو كان الأمر كذلك فى مصر؟ واحتاج كل دير أو كنيسة للتصريح له من السلطات المصرية لإنشائه مثل هذا الوقت الذى استغرقه التصريح لمسلمى مرسيليا ببناء مسجد لهم يقيمون فيه شعائرهم؟

وماذا كنت تقول وبأى كلمات كنت تعبر بها عن مشاعرك وتقييمك للتسامح الدينى فى مصر لو كانت مصر قد سلكت مسلك الغرب وحولت الكنائس القديمة المنتشرة فى ربوعها إلى مجرد مزارات تاريخية أو متاحف أو حولتها إلى مساجد يقيم فيها المسلمون شعائرهم أو نزعت منها ما تعج به من التماثيل والصلبان واللوحات التاريخية وطردت رهبانها وقسيسيها ونفتهم بعيدا عنها واستبدلتهم بمرشدين سياحيين أو وعاظ وعلماء مسلمين كما فعل الغرب بالمساجد الإسلامية فى بلادهم؟

هل يمكن تسر القلب لهبوب رياح الغرب ؟:

واستكمالا لما سبق ... نطرح على أنفسنا تساؤلات نلتمس الإجابة عنه ...

هل يمكن أن يصرحوا لنا بأن ننشئ مجمعا إسلاميا أو ثقافيا أو تعليميا كبيرا على هيئة مجمع بطموس على تلك الجزيرة التى تحمل هذا الا سم فى البحر المتو سط، أ سوة بأن سمحنا بإقامة هذا الـ صرح الكبير الذى يحمل اسمهم على أرضنا الغالية التى رويناها بدمائنا ودافع عنها أبناؤنا على مر التاريخ منذ العهود القديمة إلى اليوم وبعد اليوم؟

وهل يمكن لنا أن ننشـئ منشـآت تعليمية أو ثقافية على أرض البلاد التى قبلنا أن نقيم لها منشـآت تعليمية وثقافية على أرضنا، سواء أكانت أمريكية أو روسية أو صينية أو يابانية أو فرنسية أو بريطانية أو غيرها؟

وهل يمكن أن تـصرح لنا الـصين أن ينتـشر المـصريون وهـم يحملون بـضائعهم كتجار الـشنطة يملئون بها المحلات والشــوارع ويطوفون على البيوت، ولم يكتفوا فقط بعرض ســلعهم، بل عرضــوا خدماتهم، فهذه تعرض عليك أن تحلق لك شـعرك فى منزلك بأرخص الأسـعار ... وهذه تعرض عليك زوجه خفيفة الوزن والتبعات ...

هل يمكن لنا أن يكون لنا دور ... أم أننا عجزنا عما يفعله الآخرون ... بل وفشلنا فى بعض الأحيان فيما لم يفـشل فيه أحد غيرنا ... أم أن رياح الغزو الثقافى تأبى إلا أن تهب على بلادنا من الـشرق أو الغرب، أما رياحنا التى تولدت على أرضنا فلا تهب على غيرنا، ولكنها تبقى فى بلادنا كتيارات دوامية إعصارية ترتفع معها أعمدة الغبار فوق أرض تركناها قاحلة بلا زرع أو ضرع ...

أما رياح الآخرين الثقافية فهى رياح تدخل بلادنا بلا اســتئذان، وهذه الرياح التى تهب على بلادنا تحمل ســمات متعددة ومتباينة، وكل ما يغلب عليها هو أنها رياح تحتاج منا إلى الفطنة والتنبه على ســماتها وتأثيراتها على المديات القريبة والبعيدة ...

إن هذه الرياح الثقافية ليست جميعها سواء بل هى أنواع شتى ...

فمنها رياح التنوير ...

ومنها رياح التغيير ...

ومنها رياح التبشير ...

ومنها رياح التكفير ...

ومنها رياح التعكير ...

و منها رياح التخدير ...

ومنها رياح التسخير ...

ومنها رياح التدمير ...

ومنها رياح التبذير ....

وأخيرا رياح أنفلونزا الخنازير ...

وما جاءت من بين هذه الرياح بعد الفتح الإسلامى ريح طيبة لتحمل لنا الرحمة والغيث ...

هل قبولنا لوضعنا الذى نحن فيه الآن يمثل قدرا من الطيبة والكرم التى صبغت أخلاقنا على مر التاريخ، أم هذه الطيبة والكرم النبيه الحذر قد استحالت مع استمرار تساهلنا واستمرار حرص الآخرين خيبة وبلاهة وسذاجة استغلها الآخرون لتحقيق مآربهم الثقافية أم أننا غفلنا عن قراءة تلك الأحداث وغفلنا عن تقدير عواقبها علينا وعلى أجيالنا من بعدنا على المدى القريب والبعيد؟

هل عجزنا عن أن نتنبه إلى ما انتبه إليه الأعرابى الذى كان يسير فى الصحراء وحده ممتطيا جواده العربى الأصيل ووجد يهوديا يسير فى الصحراء الحارة القاحلة وهو يتصبب عرقا وتتورم قدماه من مشقة المسير، فقال له اليهودى، هل لى أن أركب معك جوادك هذا؟ فأبى على العربى كرمه وجوده ونخوته أن يترك هذا اليهودى يسير وحده فى هذه الصحراء القائظة، فهو مهما كان إنسان، له حق الإنسانية ... فسمح له فركب خلفه وسارا معا ... ثم فتح اليهودى الحوار قائلا: ما أجمل جوادك هذا؟ فقال الأعرابى إنه جواد عربى أصيل، وانطلق يعدد فى سماته التى انفرد بها عن خيول العالمين ... ومع استمرار الحوار قال اليهودى: ما أجمل وأعظم جوادنا هذا؟ وهنا فطن الأعرابى لمقال اليهودى فرد مسرعنا: الآن انزل عن صهوة جوادى وسر وحدك فى الصحراء كما كنت وأكمل مسيرتك وحدك لأنك لا تستحق كرمى و ضيافتى ... فعجب اليهودى من رد الأعرابى، وقال له لم فعلت بى هكذا؟ فقال له الأعرابى: لأنك فى المرة القادمة ستقول لى: ما أجمل

جوادى هذا و سوف تنزلنى عن صهوة جوادى هذا وتستولى عليه وتطردنى لأسير وحدى فى الصحراء وتمتطى أنت جوادى ...

هل الحروب ضد الإسلام حروب ثقافية أم حروب دينية؟

لا توجد فى الحقيقة – من وجهة نظرنا – أسباب دينية حقيقة من وراء معادة الغرب للمسلمين.

لأن الدين الحقيقى الذى يرضاه الله عز وجل هو الذى يمثله ويدعو إليه رسل الله عليهم السلام ... أما ما عليه أتباعهم فهو تدين ... بمعنى أنه إتباع و ممارسة لشعائر الدين ... وهذا التدين قد يتقارب أو يتباعد عما جاء به الرسل من الدين الحق، بل قد يختلف عنه فى الأصول أو الفروع أو فى كليهما معا وقد تقتصر النسبة بينه وبين ما جاء به النبى فى بعض الأحيان على الاسم دون الجوهر.

ومعلوم من تسجيل القرآن لتاريخ الأنبياء أن الأنبياء كما أوضحنا فى غير موضع من الموسوعة كانوا على الدين الحق والدين الخالص من كل شائبة أو نقص ... وأنهم كانوا دائما متفقين فى أصول وجوهر دعوتهم الناس إلى الله الواحد الأحد جل شأنه. وكانت شرائعهم تختلف فى محتواها باختلاف أحوال أممهم، ولكنها جميعا كانت شرائع تقوم على الحق والعدل، وقامت دعوات الأنبياء على دعوة الناس إلى مكارم الأخلاق ونبذ السئ منها. كما خلت دعوات الأنبياء من الأمراض التى أصابت عامة البشر مثل الحقد أو الغل أو حب الدنيا أو الرغبة فى السيطرة والزعامة أو إتباع الشهوات والتى كانت جميعا من أهم أسباب نشوب الحروب و الصراعات بين البشر ... **كل هذا وأكثر منه كان من وراء اعتقادنا الجازم أن الدين الحق لا يدعو أهله إلى الفرقة أو التنازع أو الصراع أو الاقتتال من أجل الدنيا.**

أما تدين البشر ... فهو نسخة ذات سمات ثقافية تعكس ما عليه البشر من عقائد أخلاق وشهوات وأطماع والتى توجه إتباعهم للحق و إنصافهم للآخر ...

ولهذا صبغت علاقات البشر بما جبلوا عليه من عقائد وشرائع وأخلاق تتباين فيما بينها ... تتقارب حينا، وتتناقض أحيانا ... وهذه هى السبب الحقيقى الكائن من وراء نزاعات البشر وصراعاتهم ...

أما دور الدين فى الصراعات بين هذه النوعيات من البشر، هو مركبة توصلهم إلى أهدافهم الدنيئة ... فهم يستغلونه بما فيه من قوى دافعة وحافزة للناس للموت فى سبيل قضايا الصراع

والتى يصورها لهم أتباعهم بأنها حرب مقدسة ...

فالأتباع يموتون من أجل القضـية ... وزعماؤهم وكبراؤهم يحرصـون على الحياة ليجنون ثمارها التى مات الأتباع من أجل نصرتها ... كما كان الحال مع الحروب الصليبية ضد الشرق المسلم. وكما هو الحال فى قضية الوطن القومى لليهود فى فلسطين، فهى فكرة سياسية لها دافع دينى وهو الوعد الإلهى المزعوم لبنى إسرائيل بوطن قومى لهم فى فلسطين. فالله عز وجل لم يأمر اليهود بما فعلوه فى الفلسطينيين على مر التاريخ. ولم يثبت عن أحد من رسل الله أن أمر بمثل ذلك أبدا.

فأسباب الحرب التى يشنها الغرب ضد الإسلام هى أسباب ثقافية فى جوهرها دينية فى دعواها و ظاهرها ...

أما هم فيعتبرونها حربا دينية لأنهم يصـفون ثقافاتهم الدينية التى يقيمون عليها بأنها هى دينهم ... رغم البون الشاسع بينها وبين ما كان عليه أنبياؤهم من قبل وخاصة فى العقائد بصفة أساسية ... فما عليه اليهود والنصـارى من العقائد هى ما اقره علماؤهم على مر التاريخ، والتى يشـهد عليها القرآن الكريم بمخالفتها لأصول العقائد التى دعاهم إليها موسى وعيسى عليهما السلام والتى قامت على التوحيد لله عز وجل...

إنها حروب توجهها المصـالح والأطماع فى بلاد المسـلمين ... وتوجهها الأحقاد ونيران الكراهية التى امتلأت بها قلوبهم تجاه نبى الإسلام ونبى الرحمة للعالمين محمد ﷺ وما جاء به من الهدى ودين الحق.

وكما يمكننا أن نتبين حقيقة الأمر من معرفة ضده وما ينقضه ... فلنتعرف على أسباب حربهم ضد الإسلام من نقيضـها وهو توقف هذه الحرب وانتهاء العداء، بمعنى متى تتوقف هذه الحروب ومتى ينتهى هذا العداء من الغرب تجاه الإسلام و المسلمين، ليحل محلها الأمن والسلام ...

قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة] .

فقد بين القرآن الكريم، أن القتال لن يتوقف من جهة أعدائه حتى يرتد المسلمون عن دينهم الحق ... ولا يهمهم إلى أى دين أو عقيدة يكون ارتدادهم وخروجهم عن دينهم ... المهم أن يتركوا ما دعاهم إليه محمد رسول الله ﷺ من الحق ... فتحقق هذا الشرط كاف لتوقفهم عن حرب المسلمين وحلول السلام...

أما شرط حلول الأمن فهو دخولهم فى دينهم أى دين أهل الكتاب كما قال تعالى﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة] .

فالنصارى يشترطون ليؤمنوا المسلمين أن يرتد المسلمون عن الإ سلام إلى المسيحية ... أما اليهود فلا يقبلون دخول أحد من غير بنى إسـرائيل فى دينهم، لأنه دين عنصـرى كما أوضـحناه فى غير موضـع من الموسـوعة ... لذلك فلن يتحقق الأمن الكامل التام قط مع اليهود لاسـتحالة تحقق شـرطه الذى بينه القرآن الكريم وهو إتباع المسـلمين لليهودية، لأسـباب عديدة منها أن اليهودية دين مغلق على بنى جنسـه الذين لا يقبلون معهم أحدا سواهم لأنه يعتقدون أنه لا يـ ستحق أحد من العالمين أن ينال ما شرفهم به الرب عز وجل من الوعد الإلهى والا صطفاء على العالمين، فهم عنصريون لا يتوافقون مع من سواهم من البشر أو أهل الأديان الأخرى ... ولكن يمكن أن يتحقق السـلام وعدم الاعتداء على المسـلمين، لإمكانية تحقق شـرط توقف القتال وحلول الـ سلام وعدم العدوان منهم على المـ سلمين بخروج المـ سلمين عن مأمورات دينهم وتعطيلهم شرائعه، كما أوضحنا سابقا.

هل لعداوة الغرب للإسلام أسباب أخرى:

وما هو التهديد الذى يراه الغرب موجها ضد الثقافة الغربية؟

أ- إن حرص الإسلام الدائم على أن يحل الأمن والسلام ربوع الأرض وأن تتم تسوية المنازعات سلميا، أمر يتعارض مع العديد من مـ صالح القوى الكبرى. إن هدوء بؤر الـ صراع المـ سلح سيؤدى بالطبع إلى وقف مبيعات السـلاح أو تقليلها بدرجة كبيرة مما يمكن أن يهدد الدخول القومية للدول الكبرى المصـدرة للسـلاح. كما تعتبر الحروب والصـراعات الإقليمية فرصـة لاسـتهلاك السـلاح المتقادم وتجربة الأسـلحة الحديثة، خاصة إذا كانت تكلفة الحرب يتم تقاسمها بين أطراف متعددة، أو فى حالة قيام الدول بضمان توفير الحماية المدفوعة الأجر لدول أخرى.

ب- إن قيام الثقافة الإسلامية على مجموعة من المبادئ والتى منها عدم الإسراف، أمر يتعارض مع النمط الثقافى الرأسـمالى الذى يعتمد اعتمادا كبيرا على الإنتاج الكمى الهائل والذى يتطلب اسـتهلاكا عاليا متناسـبا مع ارتفاع طاقته الإنتاجية. فإذا أخذنا مثالا لإحدى الصـناعات كصـناعة السـيارات لوجدنا أن الهياكل الصناعية وخطوط الإنتاج تحتاج للوصول إلى الحد الإقتصادى أن تنتج ملايين من السيارات سنويا، وهذا يتطلب أسواق تصريف كبيرة فى كافة دول العالم، كما يتطلب أيضا أن يتبنى المستهلك ثقافة تغيير السيارة على فترات قصيرة حتى لو كانت تعمل بكفاءة. وقد استمعت إلى أحد التقارير التليفزيونية عن أزمة صناعة

السيارت الأمريكية وخاصة أزمة مجموعة جنرال موتورز، وكان مما قيل أنه يلزم أن توزع الشركة ما لا يقل عن خمسين مليونا من إنتاجها من المحركات كل عام حتى تتعدى أزمتها.

ج- إن تحريم الإسلام للخمور والمخدرات والتدخين والسابق للغرب فى هذا المضمار، يهدد صناعات عريقة فى الغرب تقوم على الخمور والتدخين ونحو ذلك، كما أن اعتدال المرأة الإسلامية فى زيها واستهلاكها لما تفرزه الثقافة الغربية من المنتجات الخاصة بها، وعدم جريها الحثيث وراء تقاليع الموضة يعتبر ثقافة غير مقبولة لدى الغرب لأن ذلك يهدد صناعات الملابس والصناعات الجلدية والأحذية وصناعات أدوات التجميل.

الإختلاف بين الإسلام والآخر فى مفهوم العدو وأسباب نشوب الحرب مع الأعداء:

أما مع الإسلام و المسلمين فالأمر مختلف ...

فالإسلام لا يعتبر الإنسان عدو الإنسان ... بل يعتبر الشيطان عدو الإنسان الأول والدائم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ ﴾ [يوسف] ، **وقال تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦ ﴾ [فاطر].

أ- الشيطان هو عدو الإنسان الأول والأشد والدائم والمستمر...

فقد كان الشيطان أول من ناصب العداء للإنسان عندما ناصب آدم عليه السلام و زوجه العداء ... كما قال تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ۝١١٧ ﴾ [طه] ، وقوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٢ ﴾ [الأعراف] .

وإذا كان الفقر من أعداء الإنسانية، فإن الفقر هو وعد الشيطان للإنسان كما قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۝٢٦٨ ﴾ [البقرة] .

وإذا كانت العداوة هى من الأسباب الرئيسية للحروب والصراعات وشقاء الإنسان فى الأرض، فإن العداوة والبغضاء بين بنى البشر هى من أهم أهداف الشيطان كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ [المائدة].

وإذا كان حرمان الإنسان من فضل الله ورضاه هى أهم أسباب شقائه، فهذه هى أدوات الشيطان فى قطع خط الرجعة للهداية على الإنسان ... بأن يحول بين الإنسان وذكر الله وعبادته والصلاة له ... لأن ذكر العبد لله تعالى والصلاة له هى مفتاح الخير له ...

والإنسان لا يصير عدوا لأخيه الإنسان إلا إذا تعاون مع الشيطان ضد أخيه الإنسان ... فيصير للشيطان وليا ويصير أداة فى يد الشيطان ... أداة تنفذ له ما يأمره به الشيطان من الشر ضد أخيه الإنسان ...

بل قد يتطور أداء الإنسان فى الشر ... فيصبح قادرا وحده دون معونة الشيطان على أن يفعل بأخيه الإنسان أكثر مما يستطيع فعله الشيطان ببنى الإنسان ... وهؤلاء وأمثالهم هم من يطلق عليهم القرآن الكريم شياطين الإنس فى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام].

ولكن ما أجهل الإنسان وما أغفله ... إن أعظم الجهل أن يجهل الإنسان ربه وعدوه ... وإن أعظم الغفلة أن يغفل الإنســان عن ربه وعدوه ... وإن أجهل الناس من يجهل ربه وعدوه ... وإن أغفل الناس من يغفل عن ربه وعن عدوه ...قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر].

إن هذه الآية الكريمة تؤكد لنا **على أن عدوا بهذه الخطورة وهذا الدوام، لابد أن يتخذه الإنسان عدوا دائما له. فأعظم الجهل والحماقة ألا تتخذ من اتخذك عدوا عدوا لك** ... فأى حماقة أعظم من أن تصادق و توالى من عاداك واتخذك عدوا دائما مبينا ... ومن لن يتغير عن معاداته لك ... بل ومن لا يجد فى حياته شــغلا إلا الإضــرار بك والإساءة إليك وإفساد حياتك وإهلاكك فى الدنيا والآخرة ...

أن إطلاق المسلمين صفة أو ا سم العدو على الآخر مرتبط بأن يطلق الآخر على المسلمين أ سم العدو أو يصــفهم بالأعداء ابتداء، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر]، **فلا نتخذ عدوا إلا من اتخذنا أعداء له ابتداء، فهو ســبحانه وتعالى لم يأمرنا أن نتخذ الشــيطان عدوا إلا بعد أن أعلن الشــيطان عداوته لآدم بالنص الـ صريح القاطع وتأكيده على ا ستمرار هذا العداء لذريته من بعده، صراحة والذى كان فى حـ ضرة الله عز وجل وملائكته،** وقد ا ستفـ ضنا فى بيان هذا الأمر فى مو ضعه من المو سوعة بما يغنى عن الا ستفا ضة به هنا.

ب- عداوة الكفار لله و أوليائه:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة]، فقد بين الله عز وجل أنه يعادى من اتخذ الله وملائكته ورسله أعداء.

ج- المنافقون هم العدو الثانى للمسلمين:

كما قال تعالى فى شأنهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون]، وكما بينها المفسرون فى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال].

أما القتال فله شأن آخر ...

لقد كان قتال الأعداء غير مأذون به فى بدء الدعوة الإسلامية، حتى بعد أن اشتد الأذى بالمسلمين، فقد أمروا بالصبر على إيذاء أعدائهم، وأن تستمر مسيرة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يقابل العنف و التعذيب من الكفار بمثله، رغم استشهاد العديد من المسلمين من أثر التعذيب كسمية ونفر من آل ياسر.

وبعد هجرة الى المدينة وبدء تفكير كفار مكة للتحول فى حربهم ضد المسلمين من صور التعذيب الفردى إلى صورة الحرب بقوات وحشود كبيرة، والتى أخذت أشكالا و صورا أكثر عنفا وقوة و ضراوة والتى كان منها طرد المسلمين من ديارهم ووطنهم فى مكة و نهب أموالهم، رغم أن ذلك ما كان يحدث بين أهل الجاهلية لتنافيه مع ما جبلوا عليه من الكرم ونصرة المظلوم، ثم تطورت لتأخذ شكل الحروب وكان أولها غزوة بدر، وبعدها ضمت هذه القوات تحالفات من غير أهل مكة، والمنافقين فى المدينة ثم اليهود وهم الذين خانوا الرسول الذى أمنهم فى المدينة وتعاهدوا معه على عدم الإعتداء على المسلمين، بل ونصرتهم.

هنا أذن الله تعالى للمسلمين بقتال الكافرين، **وكان ذلك بعد الهجرة. والإذن بالقتال دليل على أن المنع كان الحال قبله.**

وهذا الإذن لم يكن ليأتى ليسمح لهم بقتال الكافرين بنفس العقائد القتالية التى كانوا يستخدمونها فى حروبهم فى الجاهلية، وإنما جاء ليرسى أسس عقيدة قتالية جديدة تقوم على الآتى:

أ- أن السلام هو الأساس والأصل، وأن الحرب هو الاستثناء الذى يتطلب إذنا وترخيصا.

ب- أن القتال يكون ضد من اعتدى على المسلمين وليس ضد من اتصف بصفة العداء، فهو إجراء ضد فعل العدو وليس ضد من اتصف بالعداوة فقد ربطه الشرع بفعل العدو وليس بصفته. وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج]. فوصف المسلمين بأنهم يقاتلون وأن ما وجهه أعداؤهم إليهم من القتال إنما هو صورة من صور الظلم، وأن المسلمين فى هذه الحرب ليسوا ظالمين للكافرين، بمعنى

أنهم نهبوا حقوقهم أو بغوا عليهم بغير وجه حق. كما يتأكد ذلك فى قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة] ، والتى تأكد فيها النهى عن الاعتداء سواء أكان ذلك فى بدء الحرب أو أثناءها. وأن القتال لا يكون إلا لرد العدوان.

ج- أن القتال لدفع الظلم واسترداد الحق المغتصب لا يعنى ولا يبرر الاستيلاء على حقوق العدو أو تعدى الحق إلى الظلم. والتى يمكن أن تكون مما يستنبط أيضا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة] . **وأن بدء الحرب أو القتال من جانب المسلمين ضد أعدائهم مرهون بشروط،** من أوضحها قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة].

فبين القرآن الكريم أن قتال المسلمين لأعدائهم إنما يكون فى سبيل الله تعالى، وليس فى سبيل تحقيق أطماع توسعية كما كان فى عهود الاستعمار، أو من أجل بسط السيادة والسيطرة ونهب موارد الشعوب وخيراتها ...

وبين القرآن الكريم أن القتال لا يكون إلا ضد من يقاتلون المسلمين، ولا يكون ضد من يعاهدونهم أو يسالمونهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾[البقرة] .

يتضمن أربعة أمور هامة تقوم على التأكيد على احترام القيم وتفعيلها حتى عند قتال الأعداء:

أولها: هو تحريم العدوان على الآخرين تحت أى سبب أو مبرر... وهذا يؤكد أن الإسلام يمنع أن يبدأ المسلمون غيرهم بالعدوان تحت أى مسمى ما لم يعتدى الآخرون على المسلمين. وهذا ناتج من أن الإسلام يؤكد على حق الإنسان المسالم غير العدوانى فى أن ينعم بالأمن والسلام. وهو الذى يتأكد فى كثير من آيات القرآن والتى منها قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٦١﴾ [الأنفال].

وثانيها: هو حصر نشاط القتال وأعماله والدفاع لرد العدوان على من يقاتل المسلمين وهو ما ينص عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة]، وهم من يشتركون فى الحرب ضد المسلمين فى ميدان القتال دون أن يتعداهم إلى غيرهم ممن لم يقاتلوهم، فالإ سلام يحرم قتل النساء أو الأطفال أو الشيوخ أو حتى من ا ستسلم أو أدبر وترك القتال. وهذا من شأنه أن يجعل غير المقاتلين ومن لم يشترك فى الحرب ضد المسلمين فى مأمن من الأذى.

وثالثها: وأمره تعالى ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ [البقرة]، حصر نشاط القتال وأعماله والدفاع لرد العدوان على ميدان القتال بما فيه من أفراد وعتاد ويمنع المقاتلين أن يتعدوه إلى غيره، فلا تدمر بيوت الآمنين الذين لم يشتركوا فى القتال، ولا تدمر المزارع أو الحيوانات أو تسمم مصادر المياه، أو نحو ذلك مما يلجأ إليه غير المسلمين فى حروبهم ضد أعدائهم. كما حدث عند قيام الولايات المتحدة الأمريكية بضرب مدينتى هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية وقد كان أهالى هاتين المدينتين من المدنين الآمنين غير المشاركين فى المعركة وغير متواجدين فى ميدان القتال.

ورابعها: وهو تحريم اعتداء المسلمين على الكافرين ابتداء دون سبب من رد عدوان أو استعادة حق مغتصب أو دفع ظلم كما أوضحت الآيات التى أذنت للمسلمين بقتال أعدائهم من الكافرين، وهو ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، **وخارج هذه الشروط والظروف التى تستوجب قتال الأعداء فلا يستحق الآخر من المسلمين إلا البر وحسن المعاملة. فالأصل معهم هو حقهم فى البر وحسن المعاملة وتحرى العدالة معهم وهذه الإباحة لحسن المعاملة مع الآخرين واستحقاقهم لها مشروط بشروط تلزم الآخرين، ولا تتحول الإباحة إلى نقيضها إلا إذا فقدت شروطها، أو لم يلزم بها الآخرون ...**

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ [الممتحنة]، **يؤكد على أن الأصل مع الآخرين هو البر**

(وهو يشمل كافة وجوه الخير وأرقاها وأتمها)، فالآية الكريمة تحدد إطار العلاقة بين المسلمين ومن سالموا المسلمين ولم يقاتلوهم فى دينهم ولم يخرجوهم من ديارهم، وحدد لها إطارا تلتزم به وهو أن تلتزم معهم بالحق والعدل وعدم الظلم والذى يستوجبه أمر الله تعالى للمسلمين بالقسط . و لا يكون الخروج عن قواعد البر والقسط إلا مع من خرقوا هذا الشرط، بأن قاتلوا المسلمين فى دينهم، وأخرجوهم من ديارهم، فهؤلاء لا يستحقون من المسلمين حسن المعاملة أو البر بهم ...

فالإسلام لا يشترط لحسن معاملة الآخر غير المسلم أن يترك دينه الذى يدينه (من يهودية أو نصرانية) **ويدخل فى دين الإسلام،** كما يشترط ذلك الآخرون على المسلمين ... بل إن الإسلام – كما أوضحنا مرارا – دين الحق، ويقول شهادة الحق، ويبين للناس أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، وأن ما عليه أهل الكتاب من العقائد مخالف للأصول التى جاءت بها رسلهم، ولكنه لكونه دين الرحمة للعالمين يقبل المخالف فى الدين كما هو و بحاله التى هو عليها، و لا يشترط لقبول الآخر المخالف له فى الدين من أهل الكتاب أن يخرج عن دينه إلى الإسلام، **ولكنه يشترط عليه أن تتوفر لديه الرغبة الصادقة المؤكدة فى أمرين:**

أولهما: احترام دين الإســلام وعدم قتالهم للمســلمين بســبب اعتناقهم للإســلام، لأن اشــتراطهم لهذا الشرط سيجعل حربهم ضد الإسلام والمسلمين قائمة ومستعرة إلى يوم القيامة، فهذا الدين قائم ومستمر إلى يوم القيامة شاءوا أو أبوا، لأنه دين الحق الذى ارتضاه الله تعالى للبشر.

وثانيهما: حســن معاملة المســلمين. وهذا هو أحد الفوارق الجوهرية بين الإســلام وبين ما عليه أهل الكتاب.

<u>أما متى يمكن أن تنهى الحرب بين الآخر والإسلام والمسلمين:</u>

فقد أوضحنا مرارا أن أسباب الحرب التى يشنها الغرب وكافة أعداء الإسلام ضد الإسلام هى – كما أوضحنا مرارا – أسباب ثقافية فى جوهرها ودوافعها الحقيقة و أسبابها ... دينية فى دعواها وظاهرها ... وأنما هم الذين يعتبرونها حربا دينية لأنهم يصفون ثقافاتهم الدينية التى يقيمون عليها بأنها هى دينهم ... رغم التباين بينها وبين ما كان عليه أنبياؤهم من قبل وخاصة فى العقائد ... وقد أكدنا مرارا أنها حروب توجهها مصالحهم المزعومة وأطماعهم فى بلاد المسلمين وثرواتهم ... وأن القتال – كما بين القرآن الكريم – لن يتوقف، من جهة أعدائه إلا بتحقق لأحد شرطين أولهما أن تنتهى أطماعهم فى بلاد المسلمين، وهذا شرط يكاد أن يكون تحققه من المستحيل، لأن أطماعهم فى بلاد المسلمين لا تنتهى بل تتجدد على مر الزمان. وأما الشرط الثانى فهو أن يرتد المسلمون عن دينهم الحق كما قال تعـالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة].. فتحقق هذا الشرط كاف لتوقفهم عن حرب المسلمين وحلول السلام ...

أما شــرط حلول الأمن من جهة الآخرين بينهم وبين المســلمين فهو دخوله المســلمين فى دينهم ... فالنصارى يشترطون ليؤمنوا المسلمين أن يرتد المسلمون عن الإسلام إلى المسيحية ... كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾ [البقرة] .

وهذه شــروط تتنافى مع كرامة الإنســان وحريته وحقه فى اختيار دينه وقبولها بهذه الصــورة الفجة يعنى بالنسبة للمسلمين خسران الدنيا والآخرة معا لأنها شروط مجحفة لا يقبلها عقل أو فطرة سليمة أو إنسان ذو كرامة ...

أما رؤية الإسلام لحلول السلام مع الآخر فتشترط له شروطا يسهل قبولها من الآخرين لأنها شروط تقوم على الحق والعدل وهى:

أ- أن يتوقف الآخرون عن عدوانهم على دين الإسلام وكتابه الكريم ورمزه العظيم محمد رسول الله ﷺ.

ب-أن يتوقفوا عن عدوانهم وقتالهم للمسلمين بسبب دينهم وعن نهب أوطان المسلمين وعن إخراجهم من ديارهم.

ج- أن يلتزم الآخرون بحسن المعاملة المبنى على احترام قواعد الحق والعدل تجاه الإسلام والمسلمين.

مبادئ الحرب عند غير المسلمين:

مبادئ الحرب كما يعرفونها فى المراجع العـ سكرية هى مجموعة من المعايير المطلوب مراعاتها وتطبيقها فى الحرب لإحراز النصر على الأعداء.

فهى مجموعة من المعايير والقواعد التى يتم مراعاتها فى تخطيط وإدارة أعمال القتال، أى قبل بدء الحرب وخلالها، والتى بقدر النجاح فى الالتزام بها وتطبيقها يكون نجاح المعركة فى تحقيق أهدافها.

وتعتبر المبادئ بمثابة الإطار الفكرى الذى تدور من خلاله المعارك والعمليات العسكرية. وهذه المبادئ ليست قوالب ثابتة، بل تتسم بالمرونة والديناميكية والتطور المستمر، والا ستجابة لظروف القتال ومتغيراته السـريعة والمتلاحقة، وقد تبرز أهمية بعض المبادئ على البعض الآخر فى مرحلة عن غيرها، ومن هنا يأتى دور القادة على جميع المسـتويات فى اسـتيعاب وفهم تغيرات المعركة، ومدى ما تتطلبه من التركيز على مبدأ دون غيره فى كل مرحلة وتحت كل ظرف من الظروف.

وقد كانت الحروب العالمية والإقليمية ومسـارح العمليات على مر الزمان هى أماكن تطبيق هذه المبادئ ومناطق التجارب ومسارح الاختبار لهذا للتحقق من مصداقيتها أو تطويرها.

وقد تعارفت المدارس العسـكرية العالمية على مجموعة من المبادئ التى تختلف فى أهميتها من مدرسـة لأخرى ومن ميدان قتال لآخر. **وفيما يلى نسـتعرض اشـهر ما تعارفت عليه المدارس العسـكرية من مبادئ الحرب:**

أ- المحافظة على الهدف:

يتم التخطيط للعمليات العسكرية لتحقيق هدف معين أو مجموعة من الأهداف يمكن أن تنتهى الحرب عند تحقيقها، وهو الذى يتم تركيز الجهود الرئيسية لتحقيقه، ويتطلب النجاح فى تنفيذ المهام أن يتم المحافظة على الهدف الذى من أجله قامت الحرب، وألا يتم تغييره حتى انتهائها.

ب- المفاجأة:

تساعد المفاجأة على تحقيق المبادأة والاحتفاظ بها.تحقق المفاجأة إرباك المدافع وفقدها السيطرة والمبادأة. وتتحقق المفاجأة من خلال إخفاء النوايا، وسرية أعمال التحضير للمعركة، وخداع العدو قبل وأثناء العمليات.

ج- المبادأة:

وهى سبق العدو فى البدء بالأعمال العسكرية، وتتحقق بالأعمال الهجومية والشجاعة والقدرة على اتخاذ القرارات الجريئة والصحيحة فى الوقت المناسب.

د- الخداع:

وهو تضليل العدو عن توافر نية شن الحرب، وعن الإستعدادات التى تتم لصالح الحرب وعن نوايا القوات المهاجمة وحجم القوات ودرجات استعدادها وكفاءتها القتالية وخطط العمليات .

ويتم التخطيط للخداع مركزيا و على مستويات وأنواع متعددة، منها الخداع السياسى والإعلامى والخداع الإستراتيجى والخداع العسكرى.

هـ- الحشد و الانتشار:

ويتحقق هذا المبدأ من خلال حشد وتركيز القوات فى الإتجاهات الرئيسية بهدف تحقيق التفوق على العدو، وتخفيض حشد وكثافة القوات فى الاتجاهات الثانوية لتحقيق الإقتصاد فى القوات. ويتطلب ذلك تواجد قوات احتياطية للمناورة وصد ضربات العدو على الاتجاهات التى يركز العدو عليها هجومه.

و- القيادة والسيطرة:

وهى تحقق توجيه القوات لتنفيذ فكرة العمليات العسكرية من خلال التعاون والتنسيق بين القوات أثناء تنفيذ المهام. وتتطلب كفاءة القيادة والسيطرة تحقيق الإتصال الجيد بين القادة والمرؤوسين ووضوح المواقف للقادة.

ز- التعاون :

وهو تنسيق جهود القوات لتحقيق أفضل استخدام للقوات وتحقيق أفضل النتائج.

ح- المرونة و خفة الحركة:

تعنى المرونة توفر البدائل المناسبة التى يمكن للقادة اللجوء إليها عندما يتطلب الموقف ذلك. أما خفة الحركة فتعنى قدرة القوات على التحرك السريع والمناورة فى قطاعات الاختراق واتجاهات تفوق العدو لوقفها.

ط- التأمين الشامل للقوات :

ويتضمن توفير أفضل الظروف التى تمكن القوات من أداء مهامها بكفاءة ويسر. ويتحقق التأمين الشامل بالتامين القتالى والتأمين الإداري للقوات.

ى- الروح المعنوية:

تؤدى الروح المعنوية العالية للقوات إلى تنمية روح المبادأة والجرأة والشجاعة والقدرة على تنفيذ المهام الصعبة والإصرار على النجاح فى تنفيذ المهام، وتقبل ظروف القتال الصعبة والخسائر فى الأرواح والمعدات.

ماذا أضاف الإسلام لمبادئ الحرب:

لقد أضاف الإسلام لمبادئ الحرب مجموعتين أساسيتين من المبادئ هما:

مبدأ مشروعية أو شرعية الحرب، ومبدأ أخلاقيات الحرب، وفيما يلى سوف نلقى الضوء على هذين المبدأين.

١- مبدأ شرعية الحرب:

الإسلام دين السلام ويدعو إلى السلام بين الناس ويعتبر أن إثارة الحروب وإشاعة القتل بين الناس مخالف لهداية الله واختياره لعباده المؤمنين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ [المائدة]، وقد أمر الله سبحانه و تعالى المسلمين إلى مسالمة الأمم التي تقبل السلام وتكف عن العدوان فى قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ ﴾ [الأنفال]، وإعتبر إيقاد نار الحرب صورة من صور الفساد في الأرض كما فى قوله تعالى عن بني إسرائيل الذين يفعلون ذلك: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾ [المائدة] .

أ- متى تبدأ الحرب:

ليس معنى أن لك عدوا أن تقاتله، فلم يأذن القرآن الكريم بالقتال إلا ضـد من اعتدى وليس ضـد العدو. فهو مرتبط بالفعل وليس بالصـفة. وفيما يلى نوضـح الحالات التى أذن فيها الله عز وجل بالقتال. ولا تكون الحرب واجبة إلا إذا كانت هى الحل الوحيد الذي لا مفر منه.

وقد أمر الإسلام أتباعه بالاستعداد وليس الاعتداء فأمرهم بعمل جيش قوي فيه القوة بكافة ما استطاعوا من أسلحة فقال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ﴾ [الأنفال] .

والهدف من الحرب هو إحقاق الحق وإبطال الباطل وإيصال المستضعفين إلى حقوقهم ورفع الظلم عن المظلومين. والمقياس الذي يعرف به الحق والباطل والعدل والظلم هو شرع الله ودين الله. أما ما تشنه الأمم من الحروب في سبيل السيطرة أو الاستعلاء أو إستعباد الناس والسيطرة على مقدرات الشعوب ونهب خيراتها فان ذلك كله من عمل الشيطان وطغيان وتجاوز لا يرضى الله عنه قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ [النساء] .

ب- و قد شرع الإسلام الحرب فى الحالات الآتية:

(١) **رد العدوان**، فقال تعالى فى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، فقد نهى القرآن الكريم عن قتال غير المعتدين وأقر للمسلمين بحق الدفاع الشرعي الذي لم تعرفه البشرية إلا حديثًا فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة].

(٢) **كما شرعها الإسلام لرد و دفع الظلم** الذي يقع عليهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج].

(٣) **كما شرع الإسلام الحرب عقوبة للخيانة ونقض العهد للاتفاقيات التي يعقدها المسلمون مع غيرهم مع شرطها بشنهم الحرب على المسلمين**، كما قال تعالى﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ٥٨﴾ [الأنفال]، وكما قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ١٠ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١١ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ١٢ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة] .

(٤) **وأباح الإسلام الحرب لنصرة المظلوم فقال تعالى:** ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾ [النساء]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ٧٣﴾ [الأنفال].

(٥) وأكثر العلماء على أنه لا يقاتل أحد فى المسجد الحرام حتى يبدا بالقتال؛ ففى تفسير **قوله تعالى:** ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ [البقرة]، نقل المفسرون قول مجاهد: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم، وقال القرطبى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩١﴾ [البقرة]، للعلماء في هذه الآية قولان؛ أحدهما: أنها منسوخة، والثاني: أنها محكمة. قال مجاهد: الآية محكمة، ولا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن

يقاتل، وبه قال طاوس، وهو الذي يقتضيه نص الآية، وهو الصحيح من القولين، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه. وفي الصحيح عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة).

قال ابن العربي: حضرت في بيت المقدس، والقاضي الزنجاني يلقي علينا الدرس في يوم جمعة، فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا رجل بهي المنظر على ظهره أطمار، فقال القاضي مبادرا: سلوه على مسألة الكافر إذا التجأ إلى الحرم هل يقتل أم لا؟ فأفتى بأنه لا يقتل. فسئل عن الدليل، فقال قوله تعالى: «ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه» قرئ «ولا تقتلوهم، ولا تقاتلوهم» فإن قرئ «ولا تقتلوهم» فالمسألة نص، وإن قرئ «ولا تقاتلوهم» فهو تنبيه، لأنه إذا نهى عن القتال الذي هو سبب القتل كان دليلا بينا ظاهرا على النهي عن القتل. فاعترض عليه القاضي فقال: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة]، فقال له الصاغاني: هذا لا يليق بمنصب القاضي وعلمه، فإن هذه الآية التي اعترضت بها عامة في الأماكن، والتي احتججت بها خاصة، ولا يجوز لأحد أن يقول: إن العام ينسخ الخاص. فبهت القاضي الزنجاني.

ج – امتلاك القوة والإستعداد الدائم للحرب لردع الأعداء:

فرض الله تعالى الجهاد فريضة للدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد من يعتدى عليهم. وقد أوجب القران الكريم على المسلمين اليقظة التامة والاستعداد الدائم.

كما قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء]، وأمر الله تعالى المسلمين بأن يعدوا لأنفسهم قوة فعالة لرد المعتدى كما قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾ [الأنفال].

د– مبدأ توجيه الحرب لتكون فى سبيل الله:

قال تعالى في سورة [البقرة]: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)﴾ فالقتال لا يكون إلا فى سبيل الله عز وجل، وليس فى سبيل فرض سيطرة أو الاستيلاء على ثروات الغير. ولا يبدأ المسلمون عدوهم بالعدوان حتى عند المسجد الحرام حتى يكون أعداؤهم هم البادئون بالعدوان. وفى

الحديث: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). رواه أحمد عن أبي موسى. وفى الحديث: (لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب، ولقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب). أخرجه البخارى عن أبي هريرة.

٢- مبدأ أخلاقيات الحرب:

وهو المبدأ الثانى من مبادئ الإسلام التى ألزم بها المسلمين فى حربهم ضد أعدائهم.

يمكن أن نوجز أخلاقيات الحرب فى الإسلام فى الآتى:

أ- حرمة قتل النفس الإنسانية، فقد حرص الإسلام على النفس الإنسانية وحماها دون غيره من الملل والنحل والقوانين، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة]، وحرم قتل النفس فى العديد من آيات القرآن الكريم كما فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان].

وحرمها رســول الله ﷺ حين عد قتل النفس من الكبائر حين قال ﷺ عن قتل النفس أنها من الكبائر فى حديث: (الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس) رواه البخاري والترمذي والنسائي و أحمد عن عمرو. وقال أيضًا (لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا).

ب- وأن تراعى القيم فى رد العدوان والتى من أبرز ها قيم العدا لة فى تنفيذ العقو بات على المعتدين والظالمين كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل] ، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة].

ج- عدم الإعتداء على غير المقاتلين من المدنيين الذين لا يقاتلون والنســاء والشــيوخ والأطفال. ففي وصية الرسول ﷺ لقادة الجيش في كافة الغزوات قال: (انطلقوا بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شــيخا فانيا، ولا طفلا صــغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضــموا غنائمكم وأصــلحوا وأحســنوا إن الله يحب المحسنين). رواه أبو داود عن أنس، وفى الحديث: (اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذ لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإســلام فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله

الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شـيء، إلا أن يجاهدوا مع المسـلمين، فإن أبوا فسـلهم الجزية فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاسـتعن بالله وقاتلهم، فإذا حاصـرت أهل حصـن وأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أ صحابك، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة أ صحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة ر سوله، وإذا حاصـرت أهل الحصـن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا. رواه مسلم وأحمد عن بريدة.

كما نهى ﷺ عن المثله أي التمثيل بالجثث، فقد روى الطبرانى فى المعجم الكبير أنه لما ضرب ابن ملجم عليا ابن إبى طالب رضي الله تعالى عنه بالسيف هرب ... ولما أحضروه وأدخل بن ملجم على علي رضي الله تعالى عنه قال علي للحسـن رضـي الله تعالى عنهما:(إن بقيت رأيت فيه رأيي وإن هلكت من ضـربتي هذه فاضربه ضربة ولا تمثل به فإني سمعت رسول الله عليه وسلم ينهى عن المثلة ولو بالكلب العقور). وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: لعن رسـول اللّه ﷺ من مثل بالحيوان. وحديث عبد اللّه بن يزيد الأنصـاري، قال:(نهى رسـول اللّه ﷺ عن النهبة والمثلة) أخرجه البخارى، وحديث آخر رواه الطبراني عن الحكم بن عمير. وعائذ بن قرط، قالا: قال رسـول اللّه ﷺ: «لا تمثلوا بشـيء من خلق اللّه عز وجل فيه روح». وروى البخارى وأحمد عن أن رسـول الله ﷺ: (نهى عن النهبى وعن المثلة). وحديث عمر قال:(خطبنا رسـول الله ﷺ فأمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة). رواه الطبرانى فى الأوسط.

وفى حديث حنظلة قال: غزونا مع رسـول الله ﷺ فمررنا على امرأة مقتولة فقال: (ما كانت هذه تقاتل فيمن يقاتل، أدرك خالدا فقل له: إن رسول الله يأمرك أن لا تقتل ذرية، وفي لفظ: امرأة ولا عسيفا). رواه أحمد والنسائى وابن ماجة وابن حبان والطبرانى. وروى كنز العمال وصية أبى بكر الصديق للجيش:

(أو صيكم بتقوى، ولا تعصوا ولا تغلوا ولا تجبنوا، ولا تهدموا بيعة، ولا تغرقوا نخلا ولا تحرقوا زرعا، ولا تجسـدوا بهيمة، ولا تقطعوا شـجرة مثمرة، ولا تقتلوا شـيخا كبيرا ولا صـبيا ولا صـغيرا ولا امرأة، وسـتجدون أقواما قد حبسـوا أنفسـهم في الصـوامع فدعوهم وما حبسـوا أنفسـهم له، وسـتجدون أقواما قد اتخذت الشياطين من أو ساط رؤ سهم أفحا صا فا ضربوا أعناقهم، و ستردون بلدا تغدو وتروح عليهم فيه ألوان الطعام فلا يأتينكم لون إلا ذكرتم اسم الله عليه، ولا يرفع لون إلا حمدتم الله عليه) (ابن زنجويه).

وفيما رواه أهل السير أوصى أبو بكر الصديق قائده أسامة بن زيد بقوله: (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدورا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا تقطعوا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة وسوف تمرون على قوم فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له).

وكان عمر بن الخطاب يوصي قادة الجيوش فيقول لهم: (بسم الله على عون الله أمضوا بتأييد الله ولكم النصر بلزوم الحرب والصبر، قاتلوا ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليدًا وتوقوا قتلهم إذا التقى الفرسان وعند جمة النبضات وفي سن الغارات نزهو الجهاد عن عرض الدنيا وابشروا بالرياح في البيع الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم).

ومر خالد بن الوليد وهو يفتح بلاد فارس بمعبد فوجد به رجلين يتعبَّدان؛ رجلاً يسمَّى «نافعًا» ورجلاً يسمَّى « سيرين»؛ فكاد أن يقتلهما فتذكَّر وصية أبي بكر فتركهما؛ وكان من فضل الله تعالى على الأمة أن جاء من ذرية هذين الرجلين عقبة بن نافع القائد المشهور فاتح إفريقيا وابن سيرين العالم والمفسر المعروف.

د- منع المثلة بالقتلى والتشويه للجرحى من الأعداء وقد غضب رسول الله ﷺ من قريش لتمثيلها بقتلى أحد خاصة عمه الحمزة رضى الله عنه، وقد أمر المسلمين باحترام حرمة النفس الإنسانية حية أو ميتة ولم يسجل على الإسلام أن أمر بالتمثيل بالقاتل ولو كان كافرا، وقد حرم الرسول ﷺ الإحراق بالنار فقال: (لا ينبغي أن يضرب بالنار إلا رب النار) رواه أبو داوود والدارمي.

هـ- وقد شرع الإسلام حسن معاملة الأسرى والمحافظة على كرامة الأسير وعلى حياته كما فى قوله تعالى فى سورة [الأنفال] قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنفال] ، وقال تعالى: :﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ [محمد] ، وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان]، وفى الحديث قوله ﷺ: (استوصوا بالأسرى خيرًا) أخرجه الطبراني في الصغير. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [البلد].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن إيذاء الأسرى فعن صهيب أن أبا بكر مر بأسير له يستأمن له من رسول الله ﷺ و صهيب جالس في المسجد فقال لأبي بكر من هذا الذي معك؟ قال: أ سير لي من المشركين أ ستأمن له من ر سول الله ﷺ، فقال صهيب: لقد كان في عنق هذا مو ضع للسيف، فغضب أبو بكر، فرآه النبي ﷺ، فقال مالي أراك غ ضبان؟ قال مررت بأ سيري هذا على صهيب، فقال: لقد كان في رقبة هذا مو ضع الـ سيف، فقال النبي ﷺ: فلعلك آذيته، فقال: لا والله، فقال: (لو آذيته لآذيت الله ورسوله). أخرجه الطبراني في الكبير.

كما لا يجوز قتل الأ سرى أو الإجهاز على الجرحى. بل إن الإنفاق على الأ سير ومساعدته مما يثاب عليه المسلم وذلك لضعفه وانقطاعه عن أهله وقومه و شده حاجته للمساعدة. بل أثنى القران الكريم أعظم الثناء على على إبن أبى طالب وأهله عندما أطعموا الفقراء فى رمضان وكان منهم الأسير فزكاهم عز وجل فى قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان]، وبذلك يتلخص حكم الأسرى فى إحدى أحكام ثلاثة هى: حسن المعاملة حتى يُبت في أمرهم. أو المن «إطلاق سراحهم» أو قبول الفداء عمن يرجى صلاح أمره.أو القتل لمجرمي الحرب.

و- ولما خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة بعد فتح المسلمين لبيت المقدس ليتسلُّم مفاتيح بيت المقدس قام فأعطى لأهل «إيليا» من النصارى الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم، وأمر بألا تُهدَم كنائسهم وأعطاهم الأمان للنفس والمال والكنائس.

ز- المحافظة على البيئة وما فيها من موارد طبيعية كمصادر المياه والأشجار والزروع والحيوانات. فالمسلمون يسعون من وراء انتصاراتهم إلى منع البغى وتوفير مناخ الحرية الكاملة لأهلها دون الإفساد فى الأرض أو إذلال الناس وإدخالهم فى الإ سلام بالقوة. ومن أ شهر الو صايا فى ذلك و صيه أبى بكر الـ صديق رضى الله عنه لقاده الجيوش التي فتحت بلاد الشام وفارس والتى قال فيها: (لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطع شجرا ولا تخرب عامرا ولا تعقرن شاه ولا بعيرا إلا لمأكله ولا تعقرن نخلا ولا تحرقه ولا تغلل ولا تخبن أي لا تخن ولا تكذب).

ح- الوفاء بالعهود والمواثيق: ما حافظ عليها أعداؤهم كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)﴾ [التوبة]، أما من خشى المسلمون غدرهم وخيانتهم فلا يجوز قتالهم قبل إبلاغهم لأن الإسلام لا يقابل الخيانة بمثلها كما قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾ [الأنفال].

أما عن كيفية قتال أعداء المسلمين للمسلمين:

أ- أما عن أعدائهم:

العدو فى نظر أعداء المسلمين هم كل من يتعارض مع مصالحهم وأهوائهم.

أ- الأهداف:

والأهداف نوعان:

أما النوع الأول من الأهداف فهى الأهداف التى يسعى الإنسان لتحقيقها وهى المصالح والمنافع التى يسعى الإنسان إلى إنجازها وتحقيقها، ومنها على سبيل المثال الأمن والسلام والتنمية والارتقاء بالمستوى الصحى والقضاء على الأمراض وتحقيق الرفاهية والسلام الإجتماعى ونحو ذلك ...

وأما النوع الثانى من الأهداف فهى الأهداف المعادية والتى تمثل خطرا أو تهديدا، وهذه الأهداف هى التى يوجه إليها الإنسان جهوده بالقتل أو التدمير أو العزل أو إضعاف قوتها وشل فاعليتها.

ويوجه أعداء الإسلام سهامهم نحو أربعة أهداف:

(١) المرجعيات:

ومرجعيات الإسلام هى:

القرآن الكريم ...

ورسول الله ﷺ باعتباره المرجع الأعلى ... فهو المبلغ للكتاب، وهو صاحب السنة النبوية المطهرة ...

وإجماع علماء المسلمين على أمر من الأمور ... وقد حاربوه بإشاعة الفرقة والخلافات بين المسلمين عسى ألا يجتمعوا على خصلة من خصال الخير أو على فضيلة من الفضائل أو شريعة من الشرائع.

والعقل السليم ... وحاربوه بدعوتهم إلى شرب الخمر، ذات التأثير المتلف للعقل ... وحاربوه حين أفسدوا العلوم والمعارف التى يحتاج إليها العقل ليؤدى وظائفه بكفاءة ... وحاربوه حين قيدوه بأغلال التعصب والعنصرية التى تحول بينه و بين تعقل الأمور ... وو ضعها فى نصابها الصحيح ... وحاربوه حين جعلوا الشهوات تسيطر عليه و تصرفه عن التفكير السليم.

والفطرة السليمة ... وقد حاربوها بإفسادها، وإخراج الإنسان عن الفطرة السليمة التى تقوم على توحيد الله عز وجل، وإغرائه بالانغماس فى الشهوات والملذات المادية والمعنوية، ومنها شهوات الطعام والشراب والنساء و شهوات الحكم والسيطرة على الشعوب ومقدراتها والتى تدفع أصحابها البغى والطغيان وإلى نهب ثروات الشعوب وحرياتها والنيل من كرامتها ...

(٢) المثــل:

المثل – كما يراها المثقفون – هى النماذج التى تتجسد فيها قيم الثقافة أو الدين أو المذهب بصورة راقية وعظيمة تجعلها حجة على أهل هذه القيم أو الدين أو المذهب وأتباعها بخيرها وشــرها، فمن أراد أن يفهم منظومة القيم لثقافة معينة فعليه أن ينظر فى مثلها ليرى فيها صورة صادقة ومرجعية لقيم الثقافة.

وقد بين القرآن الكريم ذلك قبل أن تنطق بها الدراسات والبحوث الثقافية على مر التاريخ ...

فقد بين القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ﴾ [النحل] ، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)﴾ [الروم].

أن الله عز وجل له المثل الأعلى وله الكمال المطلق فى أســمائه وصــفاته وأفعاله. وأنه ســبحانه وتعالى – خلافا لما تراه اليهودية والمسيحية– منزه عن كل نقص وعن كل صفة لا تليق بكماله.

فهو الخالق لكل شئ وهو بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير، وهو القاهر فوق عباده، وهو نافذ الإرادة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾ [يس]، وهو المرجع للإنسان كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) ﴾ [الشورى] ، **وقوله تعالى:** ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) ﴾ [آل عمران]، **وقوله تعالى:** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾ [المائدة] ، **وقوله تعالى:** ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤) ﴾ [هود] ، **وقوله تعالى:** ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾ [المائدة].

وهو الذى أكرم الإنسان أعظم تكريم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء].

وهو سبحانه وتعالى الذى أنزل معايير التكريم وحرم أن يتعالى الناس بعضهم على بعض بسبب الجنس أو اللون بل جعل التقوى هى معيار التكريم وتفاضل الناس كما **قال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، ولبيت الإنســـان يتبع هذا النهج الر بانى الكريم فى احترام كرامة الإنســان والتى تسـمو فى درجتها عن مجرد الحقوق المجردة، واعتبار التقوى معيار التكريم وليس الجنس أو اللون والتى كانت الأساس للفصل والتمييز العنصرى ومعظم الصراعات على مر التاريخ.

كما بين القرآن الكريم أن المثل البشرى العملى للأمة الإ سلامية هو سيدنا محمد ر سول الله ﷺ ... فهو بشر يوحى إليه، فهو يجمع بين الخصائص البشرية وأنوار الوحى الربانى كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، فهو كما قال تعالى عنه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب] .

فمن كان صادقا فى رجائه لله عز وجل ورضوانه وحسن جزائه فى الآخرة فليتبع محمدا رسول الله ﷺ.

فهو خير من هدى الناس إلى صراط الله المستقيم كما قال تعالى له: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف] فهو على أعظم بصيرة بما يهدى الناس إلى الله عز وجل بعيدا عن ضلالات الآخرين. وهو ﷺ يريد من أتباعه أن يكونوا على بصيرة بما يدعوهم إليه من الحق، فهو ﷺ لا يريد إتباعا أعمى يعتمد فيه الأتباع على بصيرة الداعية والإمام والقائد دون أن تكون بصائرهم مدركة لما يدعوهم إليه من المنهج.

وقد بينت خاتمة سورة الكهف السابق ذكرها أن جوهر منهج رسول الله ﷺ فى هداية من يرجو الله واليوم الآخر هى فى الإيمان بالله الواحد الأحد عز وجل إيمانا لا يخالطه شرك فى العقائد وأن يلتزم العمل الـ صالح الذى لا يخالطه شرك يفسد توجهه الخالص لله عز وجل كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وهذه الأ سوة الحسنة ا ستحقها ر سول الله ﷺ مما تربع على عر شه من المعارف العظيمة وتقوى الله عز وجل كما قال ﷺ: (ألا إن أعلمكم بالله وأتقاكم له أنا) ولنا فى حق رسول الله ﷺ أعظم الشهادات والأوسمة ... الشهادات التى شهد له بها رب العزة فى كتابه الكريم ... والأوسمة التى منحها الله تعالى له ... فهو أول

المسلمين وأول من أسلم لأنه توجه لله تعالى بكل أموره ... صلاته ونسكه وكافة أمور حياته بل وكان مماته أيضا خالصا لله تعالى مخلصا له وجهه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام].. وهو صاحب أرفع وسام أخلاقى كما قال تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، ثم تأتى بعد هذه الأسوة الحسنة التامة الحسن والكمال والجمال مثل أخرى من الصحابه والتابعين ...

فمنهم المثل العامة المتعددة فيما تميزت به من وجوه الخير ومنهم السيدة خديجة أم المؤمنين وعلى ابن أبى طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وإبناها الحسن والحسين وأبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب و جابر ابن عبد الله ومن تلاهم كعمر ابن عبد العزيز ...

ومنهم المثل المتخصصة التى كان بروزها وتميزها فى بعض المجالات منقطع النظير ... كعبد الله ابن عباس فى الفقه والتأويل وعبد الله ابن عمر وحفظة القرآن ورواة الحديث كأبى هريرة، والمقاتلين كحمزة عم رسول الله ﷺ وخالد ابن الوليد وعمرو ابن العاص فاتح مصر وأبو عبيدة ابن الجراح وسعد ابن الوقاص والقعقاع ابن عمرو وغيرهم من قادة المسلمين على مر التاريخ ...

وتلاهم المتخصصون من التابعين وتابعى التابعين كنافع ومقاتل وابن سيرين وابن اسحق ...

والفقهاء كمالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد والليث ابن سعد والغزالى وغيرهم ...

وأهل الحديث كأحمد والبخارى ومسلم وأبوداود والترمذى والنسائى وابن ماجة والبيهقى و غيرهم من أعلام الحديث ...

وأهل التفسير كالطبرى وابن كثير والقرطبى والسيوطى ...

وأهل السير والتاريخ كابن اسحق وابن هشام و الطبرى وابن كثير ...

ومنهم من كانوا مثلا فى التقوى والورع والعمل الصالح كابراهيم ابن أدهم ...

وقد عكف أعداء الإسلام بسبب جهلهم له أو تجاهلهم لما فيه من الخير وإصراهم على ألا يبصروا ما فيه من الهدى متبعين نهج قوم نوح الذين قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح] .

ولهذا فقد وجهوا حربهم ضد مثل الإسلام

(٣) المنهجيات :

والمنهج هو الأسلوب الذى يتبع للوصول إلى الغاية وتحقيق الأهداف ...

وقد أوجز القرآن الكريم منهجية الإسلام التى كان عليها رسول الله ﷺ فى نص قرآنى لن تجد لدى الآخرين مثله روعة وجمالا وإيجازا وشمولا وبلاغة ... **فى قوله تعالى:** ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النحل].. فهى دعوته تجد سبيلها إلى الحكماء بخطاب الحكمة، وتجد قبولها عند أصحاب القلوب الرقيقة والأخلاق الحميدة والورع بالموعظة الحسنة، وتجد قبولها وقوتها وصمدها أمام أهل الجدال بالجدال ... وليس جدالا سفسطائيا لا يصل أصحابه وأطرافه لشئ ... ولكنه جدال بالتى هى أحسن ... جدال يقوم على الحقائق ويحترم عقل الإنسان وما يليق به ويحفظ له كرامته ويلتزم بقواعد الأخلاق ولا ينها إلى مهاوى الإسفاف أو السباب أو اللعان ... هذا فى الدعوة إلى سبيل الله تعالى وصراطه المستقيم.

أما منهج دعوة من عرفوا هذا الصراط المستقيم والتزموا به ... فلها آلية أخرى تليق بهم فتكون كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف] ... إنها البصيرة التى يبصر بها المؤمنون كل الخير ... وهى للداعية والأتباع فالكل مبصر ... وليست البصيرة قاصرة على الداعية دون الأتباع فيكونوا كالعميان الذين يتبعون مبصرا بل الجميع يبصر ويرى ويوقن بما دعاه إليه رسول الله ﷺ من دين الحق والخير ومكارم الأخلاق... وبهذه المنهجية الرائعة المتفردة والمتكاملة رسم الإسلام لأتباعه طريق السعادة ...

(٤) التاريخ والثقافة؛ وتهدف الحرب ضد التاريخ إلى تدمير المفاهيم الراسخة والدروس ويهدف تدمير الثقافة إلى بناء ثقافات تحض على العدوان والكراهية بدلاً من الثقافات التي تجمع الشعوب نحو أصولها.

أما أسلحتهم التى يصوبونها تجاه أهدافهم فهى على نوعين:

أ- الأسلحة المادية:

وهى الأسلحة التى توجه نحو البشر لقتلهم، أو نحو الموارد لنهبها أو تدميرها، ونحو الأوطان بالاستيلاء عليها ... أو أ سلحة التجويع والحرمان من ضرورات الحياة و مقوماتها ومن التقنيات التى ت ساعد الإن سان على إقامة أسس حضارة وحياة ميسرة وكريمة.

ب- الأسلحة المعنوية (الفكرية او الروحية):

وهى الحملات المسعورة التى توجه نحو العقائد لتفسدها وتصرفها عن التوحيد إلى الكفر أو الشرك ...

أو التى توجه نحو الأخلاق فتفسدها وتدمرها أو نحو الشهوات فتؤججها وتنشر الرذيلة والفواحش وسوء الأخلاق بين الناس ... والتى لا يخفى مالها من تأثير مدمر على الفرد والمجتمع، فتودى بتماسكه ووحدته، وتآلف أبنائه ...

أو التى توجه نحو الثقافات فتصرفها عن الخير والسلام والجدية فى العمل إلى الشر والعدوان واللهو واللعب ...

أما سمات من عادوا الإسلام والمسلمين:

التى حرصوا عليه طوال حربهم فقد جمعها القرآن فى كلمة جامعة لا نظير لها وهى الجاهلية.

ثقافة الجاهلية:

الجاهلية نقيض الإسلام وقد ارتبطت الكلمة بمفهوم شامل ينطلق خارج الحدود الزمنية والمكانية والبشرية لفترة ما قبل الإسلام وجزيرة العرب وسكان تلك المناطق فى تلك الفترة الزمنية.

وإذا كانت الجاهلية هى حالة العالم قبل ظهور الإ سلام، ب سماتها المعروفة، فإنه ممن الممكن لنا أن نعتبر الجاهلية هى نقيض الإسلام أو هى حالة نقض تعاليم الإسلام والخروج عنها أو الارتداد عنها إلى ما كانت عليه البشرية قبل الإ سلام بصورته الكلية أو الجزئية. لذلك فإذا أردنا أن نصوغ كلمة جامعة نعرف بها الشئ بضده لقلنا إن الإسلام يقوم على رفض الجاهلية ونقضها بكافة صورها وأشكالها وعقائدها ومناهجها وأخلاقياتها. **و فيما يلى نوضح مفهوم الجاهلية:**

أ- الجاهلية فى العلوم والمعارف:

وكلمة « الجاهلية » تعنى فى مجالات العلوم والمعارف غيبة الحقائق العلمية والمعرفية الأساسية والعلم الصحيح النافع والغرق فى مستنقعات الجهل وغياهب الظلمات والخرافات والأساطير والأوهام والأكاذيب وانتشار السفسطة والجدل الذى يفرق بين الناس وينشر بينهم الفتن ولا يصل بصاحبه إلى بر الأمان.

ب- الجاهلية فى العقائد:

وكلمة « الجاهلية » فى العقائد تعنى كافة المعتقدات التى تتنافى مع عقيدة التوحيد لله عز وجل. وتتضمن فساد الإيمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وهى بذلك تعنى الكفر والشرك بالله عز وجل. كما تعنى إنكار الرسالات السماوية وعدم الإيمان بالغيب أو تواجد مفاهيم خاطئة تجاه الغيبيات كم يعتقدون بمادية الإله أو بتجسيمه أو حلوله. والجاهلية فى العقائد تعنى أيضا سوء الظن بالله عز وجل أو أن ينسب إليه ما لا يليق به من الأسماء والصفات والأفعال والأخلاق.

ج- الجاهلية فى العبادات:

وتتضمن « الجاهلية » فى العبادات فساد العبادات وعبادة من دون الله عز وجل كعبادة الملائكة أو الشياطين أو الصالحين من البشر كمن عبدوا عيسى عليه السلام أو من عبدوا عزيرا أو من عبدوا الكائنات الحية كالحيوانات أو الأشجار أو الكائنات غير الحية كالنحوم والكواكب والأصنام سواء أكانت تلك الأصنام ذات هيئة مادية من أحجار أو أخشاب أو ذات هيئة معنوية.

ومن العجيب أن المشركين كانوا يصنعون تلك الأصنام بأيديهم ثم يعبدونها، وقد يكون ذلك راجعا لاعتقادهم أنها وسائط بين الله والبشر أو أن لها علاقة سببية مع السعادة أو النحوسة. أو الاعتقاد فى قداستها. أو إعتقاد حلول الله عز وجل فى هذه المقدسات أو حلول روح القدس فيها

ومن العجيب أيضا أن شركهم بالله عز وجل وعبادتهم لتلك الآلهة من دون الله عز وجل كانت تكتنفها العديد من المغالطات والمتناقضات فى المعتقدات الشركية والتى كان الوثنيون والمشركون يعلمونها حق العلم و التى منها علمهم أن الله تعالى هو خالق السموات والأرض وأنه هو الذى اسبغ على الإنسان نعمه ظاهرها وباطنها وأن ما يعبدون من دون الله لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنهم من الله شيئا.

د- الجاهلية « فى الشرائع :

وكلمة « الجاهلية » فى الشـرائع تعنى غيبة شـرائع السـماء القائمة على الحق والعدل وصـون المجتمع الإنسـانى من كل ما يهدد أمنه وسـلامه وكيانه المادى والمعنوى. ويتحقق ذلك من خلال تحقيق المقاصـد الأساسية للشريعة وهى حفظ الدين والعقل والأعراض والأموال. وفى غياب تشريعات السماء العادلة تنتشر السـرقات ونهب الأموال والأعراض والقتل والعنف والعدوان على الآمنين وقطع الطرق والفوضـى وغير ذلك مما يهدد الأمن والسلام. وكثرا ما يصطلح على حالة غياب الشرائع العادلة بانتشار شريعة الغاب التى يأكل فيها القوى الضعيف.

هـ- الجاهلية « فى الأخلاق:

وكلمة « الجاهلية » تعنى فى الأخلاق والمعاملات الخروج عن مكارم الأخلاق إلى السئ منها، والتى كان من أخبثها الظلم والعنصـرية والإسـتكبار والتهاجر والتعادى لأسـباب دنيوية ولهوى النفوس. وكان منها انتشار الزنا واللواط وشرب الخمر والميسر. ووأد البنات و التفاخر بالأنساب والأولاد والغنى.

و- الجاهلية فى العادات و التقاليد:

قال رسـول الله ﷺ: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحسـاب الطعن في الأنسـاب الا ستسقاء بالنجوم والنياحة). رواه مسلم عن أبي مالك الأ شعري. أي خصال أربع كائنة في أمتي ومن أمر الجاهلية.

وكان عادات أهل الجاهلية يعلقون التمائم على صدورهم يظنون أنها تدفع أو تنفع و كان منها الإسراف فى الطعام والشراب والنهم فيهما. و منها إرسال الثوب فى خيلاء و الزهو والخيلاء بالملابس.

وكان من شـأن الجاهلية سـلب ونهب الأموال وانتهاب ما يحصـل من الغارات. و كانوا في الجاهلية يأخذون بالثأر من غير القاتل وهو ما يعرف بالجناية فكانوا يقودون بالجناية من يجدونه من الجاني وأقاربه الأقرب فالأقرب.

وكانت عادة الجاهلية نسبة الحوادث إلى الزمان فيقولون (وما يهلكنا إلا الدهر) فيسبونه. كما أ شتهر فى الجاهلية التشاؤم.

ز- الجاهلية فى المعاملات (التعامل مع الآخر):

وكان من أشــهرها الربا فى المعاملات المالية والذى كان اليهود من وراء انتشــاره على مر العصــور. وفى المعاملات التجارية الغش، وبيع الغرر.

ويدخل تحت مسمى الجاهلية فى المعاملات: نقض العهود والمواثيق وازدراء الناس.

و كلمة « الجاهلية » فى الحوار مع الآخر تعنى عدم معقوليته أو رشده وقيامه على التعصب الأعمى للرأى أو المذهب حتى وإن ثبت زيفه وكذبه و ضــلاله، كما لا يرجعون للحق وإن تأكد وتبين وظهر. وتعنى الجاهلية فى الحوار أيضا بعد أطرافه عن السعى للفهم والتفاهم المتبادل والوصول بهم إلى معرفة الحقائق أو لحلول وســط ترضــى كافة الأطراف. وتتجســد الجاهلية واضــحة فى كافة حوارات الجاهلين التى أوردها القرآن الكريم بين دعاة الخير من الأنبياء والرسل والمصلحين على مر التاريخ و بين أهل الباطل.

ح- الأمن فى الجاهلية:

كان من شأن الجاهلية انتهاب ما يحصل من الغارات أي أخذ ما ليس له قهراً جهراً ونهب مال الغير مما لا يجوز أو النهب في الموهوب المشــاع كالطعام يقدم للقوم فلكل أن يأكل مما يليه ولا يجذب من غيره إلا برضاه.

ط- الجاهلية « المنهجية:

وكلمة « الجاهلية » تعنى الضلال والضلال فى المنهجيات يعنى فقد الغايات وأن تفقد طريقها إلى الحق والخير وأن تغيب عن تفعيل العقل والفطرة السليمة والحيدة عن الحق إلى الباطل وعن العدل إلى الظلم وعن اليسر على العسر وعن الشورى إلى الدكتاتورية ونحو ذلك.

وكان من أهم خصال الجاهلية الجمود الفكرى وعدم الرغبة فى الجديد أو التجديد أو الخروج على الموروث من الآباء والأجداد حتى وإن حمل الجديد الخير الوفير، وكان مرجع ذلك هو تعطيل العقول وعدم العقلانية، وتعطيل الحواس فهم وكأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون وقد بين القرآن الكريم تأصل هذا المنهج والسمت عند الجاهليين فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة] ، **وقوله تعـــالى:** ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان]، **وقوله تعـــــالى:** ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وبذلك يمكننا أن نرد على من يتهمون الإســلام بما ليس فيه بأن نوجز ما عليه أعداء الإســلام والذى يتلخص مما سبق إيضاحه فى مفهوم الجاهلية:

وهى التى تعد مزيجا عجيبا يصبغ أهله بالبعد عن العقلانية والاتصاف بتغييب العقل وعدم تفعيل وظائفه التى خلقه الله من أجلها وتعطيل تلك النعمة العظيمة التى تفضل الله تعالى بها على الإنسان.

ولا يمكننا أن نصنف من يسمون الإسلام بما ليس فيه إلا بأنهم أبعد ما يكون عن مكارم الأخلاق خاصة ما يتعلق منها بالصدق والعدل فى الحكم والإنصاف والموضوعية وعدم التحيز.

وأنهم لاشك تقودهم شهواتهم و توجه أداءهم نحو الإسراف وحب السيطرة والاستعلاء و العنصرية.

الفهرس

